عقيدة ختم النبوة

بالنبوة المحمدية

تأليف

أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي

دار طيبة

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد :

فإن عقيدة ختم النبوة المحمدية هي إحدى العقائد الأساسية في الاسلام والتي
يكمل إيمان المسلم بدونها.

وهي السياج المنيع للأمة الاسلامية من كل وارد غريب أو متسلل مريب يريد أن يم
وحدة الأمة أو يصرفها عن دينها.

وذلك لأن عقيدة الختم تعني استمرارية القيادة المحمدية للأمة الإسلامية الى
الساعة وانتهاء العالم. ولم يعد هناك مجال لظهور قيادات أخرى تحل محله ﷺ أو تن
في ذلك.

هذه حقيقة إسلامية يجب على كل مسلم أن يعيها جيدا وتكون جزءاً من عقي
الاسلامية.. وبمقدار فهم الأمة لها وإيمانها بها بمقدار ما تكتمل عقيدتها وتتح
شخصيتها.. وأي جهل بها أو غموض في فهمها فإن ذلك يعرض المسلم الى نقص دينه
إلى نقضه. هذه العقيدة هي إحدى العقائد المعروفة من دين الاسلام بالضرورة.

وقد تعرضت هذه العقيدة «عقيدة ختم النبوة» قديما وحديثا ــ لهجوم ماكر
أعداء الاسلام أرادوا به أن ينفذوا إلى تلك العقيدة ويفتحوا باب النبوة متخذين في ذلك ش
الأساليب.

الا أن تلك المحاولات قد باءت بالفشل في الماضي ولم يبق لها عين ولا أثر إلا
كان من حكاياتهم وأخبارهم التي تناقلها كتب التواريخ والأدب.

أما في العصر الحاضر فقد وجدت قبولاً عند بعض جهلة المسلمين وعامتهم وخا
في المجتمعات التي لم يتيسر لها من الثقافة الاسلامية ما يحصنها من تلك الحركات الض
زد على ذلك حماية الاستعمار لتلك الدعوات ورعايته لها.

ولهذا كله فإنه لا بد من دراسة جادة شاملة لتلك العقيدة بحيث لا تترك ثغرة يتس

ونظرا لأهمية هذا الموضوع وقياما بهذا الواجب فقد اخترت بحثي لنيل درجة الماجستير خاصا بدراسة تلك العقيدة دراسة مركزة وشاملة بحيث تعطي للمسلم حصانة علمية شرعية تحمي عقيدته وتحرسها مع الرد على الشبهات التي عارضتها ونقض حركات التنبؤ التي خرجت عليها مستمدا من الله العون والتوفيق.

وقد كان منهجي في هذا البحث : أنني حاولت استيعاب الأدلة النقلية التي تؤكد تلك العقيدة وتدعمها حتى انه ليخيل للقارىء الذي لا يدرك مكانة تلك العقيدة وما تعرضت له من شبهات ان ذلك جهد زائد عن القدر المطلوب.

ثم حاولت أن أعطي القارىء دراسة موجزة عن الخط التاريخي الايجابي ــ لحفظ تلك العقيدة ــ من علماء الأمة وحكّامها من القرن الأول الى اليوم بحيث يرى القارىء أن عقيدة الختم قد حملها المسلمون وتوارثوها جيلا بعد جيل ولم يَخْلُ جيل واحد عن حامل للوائها أو حارس لها.

كما درست حركات التنبؤ القديمة وأوضحت بطلانها وضلالها على ضوء التحليل المستأنى لأسباب ظهورها وبروزها مع الدراسة الموضوعية لمبادىء الحركات المعاصرة وأفكارها.

وقد جعلت هذه الدراسة في خمسة أبواب تشتمل على خمسة عشر فصلا قدمت بين يديها بمقدمة ذكرت فيها موضوع البحث وأسباب اختياره وأهدافه ومنهجه وخطته.

أما الباب الأول : فقد جعلته خاصا بدراسة عقيدة الختم نفسها حيث **جعلت الفصل الأول** منه تعريف ختم النبوة لغة وشرعا.

ثم جعلت الفصل الثاني : خاصا بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة الى جانب ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم وعلماء الأمة الاسلامية من القرن الأول إلى اليوم وموقف حكّام الأمة من كل خارج على هذه العقيدة ختمته ببعض النصوص من الكتب السماوية السابقة التي تشير الى ختمية الرسول ﷺ على سبيل الاستئناس فقط.

أما الفصل الثالث : فقد أجريت فيه مقارنة بين بعض الخصائص المشتركة بين الرسالة المحمدية والرسالات السابقة للدلالة على تميز الرسالة المحمدية وخلوّها من أسباب تتابع الرسل التي كانت قبلها وانها بذلك التميز تؤكد عقيدة الختم.

ثم جعلت الفصل الرابع لذكر بعض خصائص الأمة المحمدية التي تؤكد لنا
الختم كذلك.

وختمت هذا الباب بإبطال الشبهات التي قد ترد على عقيدة الختم بحيث تـ
صورة العقيدة اثباتا بالأدلة وتنزيهاً عن الشبهات الواردة عليها.

أما الباب الثاني فقد جعلته خاصا بمناقشة الشيعة الإمامية وأهل التصوف على
فكر ابن عربي والردّ على دعواهم نزول الوحي على أئمتهم وأوليائهم وذلك في فصلين
للرد على الشيعة الإمامية والثاني للرد على الصوفية.

وأما الباب الثالث : فقد جعلت موضوعه دراسة حركات التنبؤ في العصور الإ
الأولى وذلك في فصلين : أولهما : لدراسة حركات التنبّؤ في صدر الاسلام وثانيهما لـ
تلك الحركات في العصرين الاموي والعباسي وقد اتبعت كل فصل ببيان دوافع قيام
الحركات وأدلة بطلانها.

أما الباب الرابع : فقد جعلته خاصا بدراسة حركات التنبؤ الحديثة وهي :
والبهائية والقاديانية.

أفردت كل حركة منها في فصل مستقل عرضت فيه الحركة كما هي ثم بـ
بطلانها وضلالها على ضوء دراسة الحركة نفسها.

وأخيرا فقد جعلت الباب الخامس : دراسة تعقيبية على حركات التنبؤ السابقة
أسبابها ونتائجها وواجب المسلمين تجاهها وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول

وقد خصصت كل واحد من هذه الموضوعات الثلاثة بفصل مستقل.

ثم أنهيت تلك الدراسة بخاتمة أجملت فيها أهم نتائج البحث.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب لي في هذا البحث التوفيق والسداد إنه
مجيب.

مكة المكرمة
١٣٩٨/٧/١٤ هـ

البـــاحث
أحمد بن سعد بن حمدان الغ

الباب الأول

عقيدة ختم النبوة وأدلتها

الفصل الأول :
ختم النبوة لغةً وشرعاً

الفصل الثاني :
الأدلة النقلية على إثبات عقيدة ختم النبوة

الفصل الثالث :
خصائص الرسالة المحمدية ودلالتها على ختم النبوة

الفصل الرابع :
خصائص الأمة المحمدية ودلالتها على الختم

الفصل الخامس :
شبهات مردودة

الفصـــل الأول

ختـم النبـوة لغــةً وشـرعـــاً

(١) الختم لغــــة.
(٢) النبوة لغــة وشرعــا.
(٣) معنى ختم النبوة ـ لغة وشرعا ـ

(١) الختـــم لغـــة :

من تتبع المصادر اللغوية في تفسير الختم نجد أن مادة «ختم» لها عدة معان :

أولا : الطبع :

يقول ابن سِيْدَة (خَتَمَه يخْتِمه ختماً وختاما ــ الأخيرة عن اللحياني ــ : طبعه)[١].

وذكر ذلك أيضا ابن منظور[٢] والفيروز أبادي[٣].

ويقول المقرى الفيومي : (خَتَمْتُ الكتابَ ونَحوه خَتْمَاً. وخَتَمْتُ عليه من باب ضرب : طَبَعْتُ).[٤]

ويقول الزبيدي : (وقال الزجّاج معنى ختم وطبع واحد في اللغة)[٥]

ثانيا : تغطية الشيء والاستيثاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء :

قال ابن سيده : (والختم على القلب ألّا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع. وقال أبو اسحاق : معنى ختم وطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال جل وعز : «أم على قلوب أقفالها»).[٦]

وذكر هذه العبارة كذلك ابن منظور[٧] والزبيدي[٨] واحمد رضا[٩].

وقال الفيروز أبادي في مادة الختم : (وعلى قلبه ــ أي وختم على قلبه ــ جعله لا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء).[١٠]

---

(١) كتاب المحكم جـ ٥ ص ٢٦.

(٢) لسان العرب جـ ١٢ ص ١٦٣.

(٣) القاموس جـ ٢ ص ١٥ بترتيب الزاوي.

(٤) المصباح المنير جـ ١ ص ١٧٥.

(٥) تاج العروس جـ ٨ ص ٢٦٦.

(٦) المحكم جـ ٥ ص ٢٦ / سورة محمد آية ٢٤.

(٧) لسان العرب جـ ١٢ ص ١٦٣.

(٨) تاج العروس جـ ٨ ص ٢٦٦.

(٩) معجم متن اللغة جـ ٢ ص ٢٢٧.

وذكر أبو القاسم الحسين بن محمد ــ المعروف بالراغب الأصفهاني أنه (يتجو
بذلك ــ أي بالختم ــ تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنـ
بالختم على الكتب والأبواب نحو : «ختم الله على قلوبهم» ــ «وختم على سمعـ
وقلبه»[1] .

ثالثا : آخر الشيء ونهايته :

قال ابن سيده : (وختم الشيء يختمه ختما بلغ آخره وخاتم كل شيء وخاتمتـ
عاقبته وآخره، وختام كل مشروب : آخره وفي التنزيل : «ختامه مسك» أي آخره) وقا
كذلك : (ختام القوم وخاتمهم : آخرهم عن اللحياني... وفي التنزيل : «ولكن رسول الـ
وخاتم النبيين» أي آخرهم)[2].

وقال الراغب وهو يتكلم عن الصور التي يرد بها لفظ الختم :

(وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر، ومنه قيل : ختمت القرآن أي انتهيت الى آخره)
ثم قال (وخاتم النبيين ــ لأنه ختم النبوة ــ أي تممها بمجيئه)[3].

وقال الجوهري : (ختمت الشيء ختما فهو مختوم ــ وختمت القرآن : بلغت آخر
واختتمت الشيء : نقيض افتتحته، وخاتمة الشيء : آخره، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء عليه
الصلاة والسلام).[4]

ويقول الزمخشري : (وخَتَمَ القرآن وكل عمل اذا أتمه وفرغ منه، والتحميدُ : مُفْتَتَـ
القرآن، والاستعاذة : مُخْتَتَمُهُ، وقد افتتح عمل كذا واختتمه. وختم الله على سمعه وقلـ
ويقال للنحل اذا ملأ شورته عسلا : قد ختم. «وختامه مسك» أي : عاقبته ريح المسك)[5]

وقال الفيروز أبادي : (ــ والخاتم ــ من كل شيء : عاقبته وآخرته كخاتمته وآ
القوم)[6] ــ أي والخاتم آخر القوم.

---

(١) المفردات ص ١٤٢ / سورة الجاثية آية ٢٣.
(٢) المحكم جـ ٥ ص ٢٦.
(٣) المفردات ص ١٤٢ ــ ١٤٣.
(٤) الصحاح جـ ٥ ص ١٩٠٨.
(٥) أ ... ١٥٣

ويقول مجمع اللغة العربية : (والخاتم من كل شيء آخره والخاتمة من كل شيء عاقبته وآخره)[1] .

وهكذا نرى أن هناك تقاربا بين هذه المعاني التي يرد لها فعل «ختم» وهي : الطبع وتغطية الشيء وآخر الشيء وعاقبته، وهي جميعها كما تقدم تدل على الانتهاء من الشيء الذي يعبر عنه بهذا الفعل.

فاذا قيل خُتم ــ بضم الخاء ــ القوم بفلان : أي أنه كان آخرهم فلن يأتي بعده أحد واذا قيل : ختمت العمل أي أنهيته.

واذا ورد التعبير عن مادة الختم بوزن اسم الفاعل فانه يأتي على صورتين : (بفتح التاء وكسرها والكسر أشهر).[2]

وكلا الصورتين ــ الفتح والكسر ــ يشتركان في بعض المعاني وتنفرد صورة الكسر بكونها تأتى لفاعل الختم كما قال ابن منظور : (والخاتم ــ بكسر التاء ــ الفاعل).[3]

والمعاني التي تشترك فيها الصورتان ثلاثة معانٍ :

أولا : آخر القوم وعاقبة الشيء :

يقول ابن سيده : (وخاتم كل شيء وخاتمته عاقبته وآخره)[4] .

ويقول ابن منظور : (وختام القوم وخاتمهم وخاتَمهم ــ بالفتح ــ آخرهم عن اللحياني) وقال : (والخاتَم ــ بفتح التاء ــ والخاتم من أسماء النبي ﷺ وفي التنزيل : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) أي آخرهم)[5] .

ويقول الفيروز أبادي : (والخاتم من كل شيء عاقبته وآخرته وآخر القوم كالخاتم)[6] .

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢١٧.
(٢) المصباح المنير جـ ١ ص ١٧٥.
(٣) لسان العرب جـ ١٢ ص ١٦٤.
(٤) المحكم جـ ٥ ص ٢٦.
(٥) لسان العرب جـ ١٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

ثانيا : الحَلي المعروف الذي يوضع في الأُصبع :

ففي اللسان (والخَتْم ـــ بفتح التاء ـــ والخاتِم ـــ بكسرها ـــ والخاتَم ـــ بفتح ـــ والخيتام من الحلي).[١]

ثالثا : الطـابــــع :

ففي أساس البلاغة (خَتَمَ ـــ وضع الخاتِم ـــ بكسر التاء ـــ على الطعام والخا بفتح التاء ـــ وهو الطابع).[٢]

وقال في اللسان : (والخاتَم ـــ بالفتح ـــ ما يوضع على الطينة وهو اسم مثل ـــ بفتح اللام ـــ) الى أن قال : (وفي الحديث : «آمين خاتَمُ رب العالمين على المؤمنين»[٣] قيل معناه طابعه وعلامته التي تدفع عنهم الأعراض والعاهات لأن خاتِمَ ال يصونه ويمنع الناظرين عما في باطنه وتفتح تاؤه وتكسر لغتان).[٤]

هذه هي المعاني اللغوية لفعل «الختم» واسم فاعله «خاتم» كما أوردها أعلام في مصنفاتهم عن العرب وهي مع تعددها وتعدد ألفاظها المعبرة عنها والتي هي : الطبع الشيء، وانهاؤه وتغطيته، وآخر القوم وعاقبة الأمر : هي مع ذلك كله تؤكد دلالة قوله تع «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» على أن النبوة قد عليها فلا تفتح، وانها قد انتهت وسدت بمحمد ﷺ، وأنه آخر الأنبياء وشرعه آخر ال وعاقبتها.

ولوضوح هذه الكلمة وظهور معناها في لغة العرب فإنه لم ينقل عن أحا أصحاب رسول الله ﷺ أنه سأل النبي ﷺ بيان معناها بل فهموا المراد منها المقصود من نزولها وإن كان النبي ﷺ قد ذكر في أحاديثه الكثيرة ما يؤكد هذا ا ويوضحه ـــ كما سيأتي ان شاء الله تعالى ـــ.

---

(١) اللسان جـ ١٢ ص ١٦٣.

(٢) ص ١٥٣ للزمخشري.

(٣) هذا الحديث أخرجه الطبراني في الدعاء وابن مردويه بسند ضعيف ـ بزيادة كلمة « لسان » قبل عباده الم الدر المنثور جـ ١ ص ١٧.

(٢) النبوة لغة وشرعا :

أ ـ أصل النبوة في اللغة :

النبوة في اللغة العربية لها ثلاثة اشتقاقات :

* اما أن تكون مأخوذة من «النبأ» فتكون بمعنى الإخبار اذ النبأ هو الإخبار.

* واما أن تكون مأخوذة من النَّباوة أو النَّبْوة ــ وكلاهما يدل على الارتفاع ــ فتكون بمعنى الرفعة والعلو.

* واما أن تكون مأخوذة من «النّبي» وهو بمعنى الطريق فتكون النبوة بمعنى انها الطريق الى الله عز وجل.

يقول صاحب اللسان : (النبأ : الخبر والجمع أنباء وان لفلان نبأ : أي خبرا) ثم نقل عن الجوهري ان : (النبيءُ : المخبر عن الله)[١].

وقال كذلك : (وقيل النبي مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع)[٢].

وقال كذلك : (والنَّبيءُ : الطريق الواضح)[٣].

وقال ابن فارس (نَبْو ــ بتسكين الباء ــ ... أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره) ثم قال كذلك : (ويقال ان النبي ﷺ اسمه من ــ النَّبوه ــ بتشديد النون المفتوحة وتسكين الباء ــ وهو الارتفاع كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته) وقال كذلك : (النَّبي) : الطريق ــ بدون همز ــ.

ثم ذكر كذلك أن (نبأ ... قياسه الاتيان من مكان الى مكان) وقال : (ومن هذا القياس النبأ : الخبر لأنه يأتي من مكان الى مكان والمُنْبِيء المخبر)[٤].

وفي الحقيقة فإن النبوة الشرعية تشمل كل هذه المعاني اذ النبوة إخبار عن الله عز وجل وهي رفعه لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم وهي الطريق الموصلة الى الله سبحانه.. ومع ذلك فان أولى هذه المعاني بلفظ النبوة والنبي هو اشتقاقها من النبأ لأن النبي

---

(١) جـ ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) جـ ١ ص ١٦٣.

(٣) جـ ١ ص ١٦٤.

متبأ من الله وهو كذلك ينبىء الناس عن الله وتتحقق نبوته بمجرد ذلك وبهذا التحقق تثبت أوصاف العلو والارتفاع وكونه طريقا الى معرفة الله عز وجل.

ونرى مصداق ذلك ما يتردد في القرآن من اطلاق النبأ على الخبر فمثلا يقول سبحانه وتعالى : «نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم»[1]. ويقول حكاية عن رسول الله ﷺ أنه قال : «نبأني العليم الخبير»[2]. وغير ذلك عشرات الآيات كلها تذكر الإنباء بمع الإخبار.

ولعل ذلك يؤكد لنا أن النبوة مشتقة من النبأ وهو الاخبار فيكون معنى النبي المخبر من الله سبحانه وتعالى.

ب ـ النبوة شرعـــا :

النبوة في الشرع هي صفة تحدث في الشخص بعد أن يصطفيه الله عز وجل فيخ بخبر السماء فان كلفه بتبليغه الى الناس يكون نبيا رسولا وان لم يكلف بذلك فهو فقط.. أي مخبر في نفسه غير مطالب بالتبليغ ـ وهذا هو المشهور ـ.

وفي ذلك يقول شارح الطحاوية : (وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول وأحسنها ان نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو وليس برسول فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، ولكن الر أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة اذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الر فانهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم)[3].

ويقول صاحب لوامع الأنوار البهية عن معنى النبي : (وهو انسان أوحي اليه بشرع لم يؤمر بتبليغه فان أمر بتبليغه فهو رسول أيضا على المشهور فبين النبي والرسول ع وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا)[4].

ويقول البيجوري : (وعرّفوا النبي بأنه انسان ذكر حر من بني آدم سليم عن منفر أوحي اليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه وأما الرسول : فيعرّف بما ذكر ـ أي بالك

---

(١) سورة الحجر آية ٤٩.

(٢) سورة التحريم آية ٣.

(٣) ص ٨٩.

المتقدم ــ ولكن مع التقييد بقولنا وأمر بتبليغه فبينهما العموم والخصوص المطلق لأن كل رسول نبي ولا عكس)[1].

وذكر الخيالي أن (الجمهور اتفقوا على أن النبي ــ ﷺ ــ أعم ــ أي من الرسول).[2]

والذي نريد أن ننتهي اليه من هذه التعريفات أن النبوة تتحقق بمجرد إنباء الله عز وجل لنبيه واصطفائه له بالوحي بغض النظر عما يدور من الخلاف حول الفرق بين النبي والرسول والنسبة بينهما مما لا يتعلق لنا ببحثه هنا غرض.

(٣) معنى ختم النبوة لغة وشرعا :

بعد أن عرفنا معنى كلمة «ختم» من اللغة ثم معنى«النبوة» في اللغة والشرع فما هو المعنى المراد منهما بعد ان يركبا كلمة واحدة ؟

لقد رأينا ــ فيما سبق ــ أن فعل «ختم» يأتي بمعان عدة وهي : الطبع وتغطية الشيء والاستيثاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء وآخر الشيء ونهايته.

ورأينا كذلك أن معنى «النبوة» مشتق من عدة اشتقاقات والتي هي : الإخبار والعلو والطريق وكلها متلازمة في معنى النبوة الشرعي والذي هو : اخبار الله عز وجل لمن يصطفيه من البشر بخبر السماء...

هذا معنى كل من اللفظين على انفراد.

فاذا ما ركبا في جملة واحدة هي «ختم النبوة» فانه يكون معناها : (انتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء).

وفيما سيأتي من الفصول بيان لهذه الحقيقة بمشيئة الله تعالى.

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٦.

الفصـــل الثـــاني

الأدلـة النقليـــة على عقيدة ختـــم النبـــوة

تمهيـــد :

أ ــ الأدلة من القرآن الكريم

ب ــ الأدلة من السنة النبوية

ج ــ ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم

د ــ اجماع علماء الأمة الاسلامية

هـ ــ موقف الأمة من الخارجين عليها

ز ــ الشواهد من الكتب السماوية السابقة.

تمهيـــــد :

تتميز العقيدة الاسلامية من بين العقائد السماوية الأُخرى بمميزات فريدة تهيئها للبقاء والثبات ومغالبة التحريف والتشويه على مدار الزمن واختلاف الأحوال.. ذلك التمييز هو (حفظ الله عز وجل للأُصل الذي تستقي منه تلك العقيدة) كما قال تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولهذا بقيت تلك العقيدة سليمة منيعة لم يصل اليها كيد الكائدين ولم يضرها تحريف المبطلين.

ومن هنا فان المسلم في أي زمان ومكان يستطيع أن يستدل على عقيدته بهذا الكتاب وهو آمن من أنه لا يوجد خلل به أو خطأ فيه ويبقى بعد ذلك اختلاف الأُفهام وتباين الادراكات البشرية مما يغتفر الخطأ فيه مع بذل الجهد واخلاص النية ما لم يعارض نصا ثابتا أو اجماعا من الأمة على خلافه.

و«عقيدة ختم النبوة» هي احدى العقائد التي قررها كتاب الله عز وجل وبينها رسوله ﷺ في كل موطن يتطلب ذلك وأجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم وعلماء الأمة الاسلامية من صدر الاسلام الى اليوم ووجدت لها شواهد من الكتب السابقة قبل الاسلام رغم التحريف والتغيير بها.

وفي هذا الفصل سوف نورد الأدلة النقلية على صحة تلك العقيدة مذيلة بتفسيرها وبيانها من أئمة الاسلام وأعلامه.

أ ــ الأدلة من القرآن الكريم

وردت الأدلة في القرآن الكريم على عقيدة ختم النبوة بصور عدة منها ما

أولا : التصريح بالختم :

قال تعالى : «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين

في هذه الآية الكريمة التصريح بخاتميته ﷺ للأنبياء قبله فلا نبي بعده ولا

وهذا هو ما فهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه وتعالى من صدر الاسلام الى اليو

يقول الامام أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى ذ

كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد

عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع

فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذ

علم لا يخفى عليه شيء) ثم ذكر عن قتادة في قوله : «وخاتم النبيين» أنه قال

آخرهم)[٢] .

ويقول الحسين بن مسعود الفراء البغوي رحمه الله في قوله تعالى : (وخاتم ا

(ختم الله به النبوة) ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (يريد ــ أي الله تعالى

لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا)[٣] .

ويقول محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله : (وخاتم النبيين) يعني أنه لو كان

بالغ فبلغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء)[٤] .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠ . نزلت هذه الآية تعقيبا على قصة زيد بن حارثة الذي كان قد تبناه النبي ﷺ وقد ك
على الابن بالتبني ما يسري على الولد لصلب الرجل فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يبطل تلك العادة الجاهلية
ﷺ أن يتزوج من زينب مطلقة زيد بن حارثة ونزلت هذه الآية تعقيبا على تلك الحادثة ومخبرة بخاتميته ﷺ
قبله وأنه لا نبي بعده.

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن جـ ٢٢ ص ١٦ . وقد روى هذا الأثر السيوطي رحمه الله في كتابه الدر المنثور
الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم جـ ٥ ص ٢٠٤ .

(٣) معالم التنزيل جـ ٦ ص ٥٦٥ .

ويقول الفضل بن الحسن الطبرسي : (وخاتم النبيين) أي وآخر النبيين ختمت النبوة به فشريعته باقية الى يوم الدين. وهذه فضيلة له صلوات الله عليه وآله اختص بها من بين المرسلين)[١] .

ويقول عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (وخاتم النبيين) ومن قرأ «خاتم» بكسر التاء فمعناه وختم النبيين ومن فتحها فالمعنى آخر النبيين)[٢] ثم أورد قول ابن عباس الذي أورده البغوي سابقا.

يريد بقوله السابق أن من قرأ خاتم بكسر التاء، فمعناه وختم النبيين أي كأنه هو الفاعل للختم فكأنه ختمهم فلا يلحق بهم غيرهم بعده ﷺ.

ويقول الفخر الرازي رحمه الله : (وخاتم النبيين وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي ان ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى اذ هو كوالد الولد ليس له غيره من أحد. قوله «وكان الله بكل شيء عليما» يعني علمه بكل شيء دخل فيه ان لا نبي بعده فعلم أن من الحكمة اكمال شرع محمد ﷺ بتزوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع)[٣] .

ويقول ناصر الدين البيضاوي رحمه الله : (وخاتم النبيين) وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح)[٤] .

ويقول أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي رحمه الله : (وخاتم النبيين) قال ابن عطية : هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده ﷺ)[٥] .

ويقول النسفي رحمه الله : (بفتح التاء عاصم، بمعنى الطابع أي آخرهم يعني لا ينبأ أحد بعده)[٦] ومعنى قوله : عاصم أي قراءة عاصم.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن جـ ٢٢ ص ١٤٨.
(٢) زاد المسير ج ٦ ص ٣٩٣.
(٣) التفسير الكبير ٢٥ ص ٢١٤.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٥٥٩.
(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٩٦.
(٦) تفسير النسفي جـ ٣ ص ٢٣٤.

ويقول الحسين بن محمد القمي النيسابوري (وكان الله بكل شيء عليما) ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعده)[1].

ويقول علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن : (ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده)[2].

ويقول أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان : (وقرأ الجمهور وخاتِم بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم) وقال : «وروي عنه عليه السلام ألفاظ تقتضي نصا أنه لا نبي بعده ﷺ والمعنى أنه لا ينبأ أحد بعده)[3].

ويقول أبو الفداء اسماعيل بن كثير رحمه الله : (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. (ثم ساق عددا من الأحاديث)[4].

ويقول جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : «وكان الله بكل شيء عليما» منه بأن لا نبي بعده)[5] وذكر السيوطي رحمه الله أثرا عن الحسن أخرجه عبد بن حميد أنه قال في وخاتم النبيين (ختم الله النبيين بمحمد ﷺ وكان آخر من بعث)[6].

ويقول الخطيب الشربيني (أي آخرهم الذي ختم لأن رسالته عامة ومعها اعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك الى استنباء ولا ارسال)[7] ثم يقول : (والحاصل أنه لا يأتي بعده نبي مطلقا بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقا استنباء وهذه الآية مثبتة لكونه خاتما على أبلغ وجه وأعظمه وذلك أنها في سياق الانكار بأن يكون بينه وبين أحد من رجالهم بنبوة حقيقية أو مجازية ولو كانت بعده لأحد لم يكن ذلك الا لولده. ولأن فائدة اثبات النبي تتميم شيء

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ٢٢ ص ١٥.
(٢) كتاب التأويل في معاني التنزيل جـ ٣ ص ٦١١.
(٣) البحر المحيط جـ ٧ ص ٢٣٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٤٩٣.
(٥) تفسير القرآن العظيم المعروف بالجلالين جـ ٢ ص ١١٠.
(٦) الدر المنثور جـ ٥ ص ٢٠٤.
(٧) السراج المنير جـ ٣ ص ٢٣٧.

لم يأت به من قبله وقد حصل به ﷺ التمام فلم يبق بعد ذلك مرام ــ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1]

ويقول أبو السعود محمد العمادي الحنفي رحمه الله : «وخاتم النبيين» أي كان آخرهم الذين ختموا به)[2] .

ويقول محمد بن علي الشوكاني رحمه الله (وخاتم الشيء آخره ومنه قولهم خاتمة المسك)[3] .

ويقول محمود الالوسي رحمه الله (والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحلّيه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشأة)[4] .

ويقول محمد جمال الدين القاسمي في كلام له عن الآية (فتمت الرسالات برسالته الى الناس أجمعين وظهر مصداق ذلك بخيبة من ادعى النبوة بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها)[5] .

هذه هي أقوال المفسرين رحمهم الله في معنى آية الختم وهي أقوال واضحة كافية في تبيين المراد منها وهو «ختم النبوة بالنبوة المحمدية وأن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء «ولم ينقل عن أحد من المفسرين خلاف ذلك.

وقد تعرض المفسرون رحمهم الله تعالى للقراءات الواردة في الآية السابقة في «خاتم» وذكروا أن فيها قراءتين :

الأولى : قراءة الكسر، وهي الأشهر عند أهل اللغة والتفسير، وقد مضى قول أهل اللغة في ذلك.[6] وأما المفسرون فيجمعون على أن قراءة الكسر هي قراءة الجمهور وقراء الأمصار.[7]

---

(١) السراج المنير جـ ٣ ص ٢٣٨ وقوله : (بعثت لاتمم....) حديث رواه مالك / جـ ٨ كتاب حسن الخلق / وأحمد / ٢ : ٣٨١ / وصححه ابن عبد البر.

(٢) تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٤٢١.

(٣) فتح القدير جـ ٤ ص ٢٨٥.

(٤) روح المعاني جـ ٢٢ ص ٣٤.

(٥) محاسن التأويل ص ٤٨٦٦.

(٦) في بحث الختم لغة.

(٧) تفسير الطبري جـ ٢٢ ص ١٦ والبغوي جـ ٦ ص ٥٩٥ والقرطبي جـ ١٤ ص ١٩٦... وغيرهم.

والقراءة الثانية قراءة الفتح وهي الأقل استعمالا بين القراء ولهذا فان المفسرين لا يعزونها الا الى أفراد القراء كعاصم والحسن وابن عامر[1].

ورغم تعدد القراءات فان المفسرين لا يرون أن في ذلك تأثيرا على المعنى، وهو انقطاع النبوة بعد نبينا محمد ﷺ.

فيقول الطبري رحمه الله في ذلك : (واختلفت القراء في قراءة قوله (وخاتِم النبيين فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين بمعنى أنه ختم النبيين). ويستشهد على صحة هذه القراءة بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقرأ الآية على هذه الصورة : «ولكن نبيا ختم النبيين»[2]، فيقول رحمه الله : (فذلك ـــ أي قراءة ابن مسعود ـــ دليل على صحة قراءة من قرأ بكسر التاء بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء) فيكون معناها كما سبق من قول الطبري رحمه الله حيث يقول : (فطبع عليها فلا تفتح ـــ أي النبوة لأحد بعده ـــ ﷺ ـــ الى قيام الساعة)[3]. ويقول ابن الجوزي رحمه الله (ومن قرأ «خاتِم» بكسر التاء فمعناه وختم النبيين، ومن فتحها فالمعنى آخر النبيين)[4]. ويقول البغوي رحمه الله (وقرأ ابن عامر وعاصم «خاتَم» بفتح التاء على الاسم أي آخرهم وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم)[5]. وهذا المعنى ذكره بقية المفسرين في كتبهم وخاصة الذين تصدوا لذكر القراءات كالبيضاوي[6] والقرطبي[7] وأبي حيان[8] وغيرهم من أجلّة المفسرين. فهم يقررون ختمية الرسالة وانقطاع النبوة ولو تنوعت القراءات التي قد يظن منها خلاف المراد وذلك لأن موضوع انتهاء النبوة بنبوة نبينا محمد ﷺ أمر واضح بين. ولهذا نرى أنهم رحمهم الله لم يعنوا بسرد الآيات والأحاديث التي تؤيد ذلك سوى قليل منهم كابن كثير رحمه الله والمفسرين في هذا القرن والذي قبله حيث وجد فيهما أدعياء للنبوة.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) تفسير الطبري ٢٢ ص ١٦.
(٣) تفسير الطبري جـ ٢٢ ص ١٦.
(٤) زاد المسير جـ ٦ ص ٩٣ ووردت كذلك في الجلالين جـ ٢ ص ١١٠.
(٥) جـ ٦ ص ٥٦٥ معالم التنزيل.
(٦) تفسير البيضاوي ص ٥٥٩.
(٧) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ١٩٦.
(٨) البحر المحيط جـ ٧ ص ٢٣٦.

ثانيا : عموم الرسالة المحمدية

يقول الله عز وجل : «قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا»[1] . هذه الآية الكريمة تدل على عموم رسالته ﷺ الى الناس جميعا وهذه هي احدى الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء قبله اذ كان النبي انما يبعث الى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا الى من يبلغه أمر الله عز وجل ولئلا يتوهم هذا في رسولنا عليه الصلاة والسلام بيّن الله سبحانه وتعالى عموم رسالته الى الناس جميعا.

وهذا هو ما فهمه المفسرون من هذه الآية وأمثالها :

يقول أبو جعفر الطبري رحمه الله :

(قل يا محمد للناس كلهم اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلا الى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فان رسالته ليست الى بعضكم دون بعض ولكنها الى جميعكم)[2] .

ويقول ابن كثير رحمه الله : (يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل يا محمد : يا أيها الناس وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربيّ والعجميّ : «اني رسول الله اليكم جميعا» أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث الى الناس كافة) ثم ساق الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وقال بعدها : (والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الاسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله الى الناس كلهم)[3] .

وقد وردت آيات أخرى كثيرة تقرر هذا المعنى نحو قوله تعالى : «وما أرسلناك الا كافة للناس»[4] وقوله : «وأرسلناك للناس رسولا»[5] وقوله «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين»[6]، وغيرها من الآيات.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٨.
(٢) تفسير الطبري جـ ٩ ص ٨٦.
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٥٤.
(٤) سورة سبأ آية ٢٨.
(٥) سورة النساء آية ٧٩.
(٦) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

وبما أن هذه الرسالة عامة وتخاطب جميع الناس بدون تخصيص أو تقييد فهي اذن تشمل من كان في عهده ﷺ ومن سيأتي بعده وبذلك العموم يتضح أنها خاتمة الرسالات وآخرها اذ لا تحتاج البشرية الى دين جديد مادام هذا الدين قد خاطبهم جميعا ووسعهم جميعا.

وفي ذلك يقول الزمخشري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : «وما أرسلناك الا كافة للناس»[1]، يقول : (الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنهم اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم)[2].

ثالثا : كون القرآن حجة على كل من بلغه :

يقول تعالى : « قل أيُّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ »[3]. ومعنى الآية أن الله عز وجل يأمر رسوله ﷺ ليقول لقومه ان الله عز وجل أوحى إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغه هذا القرآن سواء كان موجوداً الآن أم سيأتي بعد إلى أن تقوم الساعة.

هذا هو ما فهمه المفسرون رحمهم الله :

يقول مقاتل رحمه الله (ومن يبلغ القرآن من الجن والانس فهو نذير لهم يعني — القرآن — الى يوم القيامة)[4].

ويذكر الطبري رحمه الله بسنده الى ابن زيد عند قوله تعالى : (وأوحى اليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ انه قال : ومن بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره وقرأ (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) وقال : لم يرسل رسولا الى الناس عامة الا نوحا بدأ به الخلق فكان رسول أهل الأرض كلهم ومحمد ﷺ ختم به)[5]، وروى بسنده عن ابن عباس (ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير)[6].

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨.

(٢) الكشاف جـ ٢ ص ٧.

(٣) سورة الأنعام آية ١٩.

(٤) تفسير مقاتل جـ ١ ص ٣٦٨ ونقله عنه البغوي جـ ٣ ص ٢٩٧.

(٥) تفسير الطبري جـ ١٨ ص ١٨٠.

(٦) جـ ٧ ص ١٦٣.

ويقول البغوي رحمه الله : (ومن بلغ القرآن من العجم وغيرهم من الأمم الى يوم القيامة)[1].

ويقول الطبرسي رحمه الله : (وفي قوله ومن بلغ دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث الى الناس كافة)[2].

ويقول أبو السعود : (أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر ومن الثقلين، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيامة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ)[3].

وقد وردت آيات أخرى في هذا المعنى نحو قوله تعالى : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)[4]. وقوله : (كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به)[5] وغير ذلك من آيات الانذار.

وكون القرآن الكريم نذيرا للعالمين فان ذلك يشمل كل البشر بدون استثناء فلا تحتاج البشرية بعد ذلك الى نبوة أخرى أو كتاب آخر.

يقول ابن جزي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) يقول : (وقوله للعالمين عموم يشمل الجن والانس من كان في عصره ومن يأتي بعده الى يوم القيامة)[6].

وفي هذا تأكيد لعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأن القرآن الكريم سيبقى حجة الله عز وجل على خلقه الى قيام الساعة.

---

(١) البغوي جـ ٣ ص ٢٩٧.
(٢) مجمع البيان جـ ٧ ص ٢٦.
(٣) تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ٨٧.
(٤) سورة الفرقان آية ١.
(٥) سورة الأعراف آية ٢.
(٦) تفسير التسهيل جـ ٤ ص ٧٤.

رابعا : الاخبار بكمال الدين :

يقول تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا).[1]

يمتنّ الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأنه قد أكمل هذا الدين فلا يحتاج الى رسول آخر يستدرك عليه شيئا أو يزيد عليه شيئا ويذكر سبحانه وتعالى أنها نعمة أنعم بها علينا باكمال هذا الدين... ثم رضي لنا هذا الدين الكامل دينا نتعبّده به..

فهو دين كامل.. وهي نعمة أتمها.. ثم رضي لنا أن نتعبّده بهذا الدين فقط.. ومعاذ الله عز وجل أن يسلب هذه النعمة التامة ويأتي بدين آخر أو رسالة أخرى..

يقول ابن كثير رحمه الله : (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره ولا الى نبيّ غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه. ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه الى الانس والجن فلا حلال الا ما أحلّه ولا حرام الا ما حرّمه ولا دين الا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق)[2].

وقد أخرج الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (أكملت لكم دينكم وهو الاسلام قال أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبدا، وقد أتمّه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدا وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا)[3].

ويقول سيد قطب رحمه الله عند هذه الآية : (أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيب لكم الاسلام دينا) يقول : (فأعلن لهم اكمال العقيدة واكمال الشريعة معا.. فهذا هو الدين.. ولم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذ الدين ــ بمعناه هذا ــ نقصا يستدعي الاكمال، ولا قصورا يستدعي الاضافة، ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير.. والا فما هو بمؤمن، وما هو بمقر بصدق الله، وما هو بمرتض ما ارتضاه الله للمؤمنين)[4].

هذه بعض أقوال المفسرين في الآية الكريمة كلها تؤكد أن معنى الآية أن الأمة لم تعد تحتاج الى نبي يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمله

---

(١) سورة المائدة آية ٣.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٢.
(٣) تفسير الطبري جـ ٩ ص ٥١٨ ــ تحقيق محمود شاكر.
(٤) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٨٤.

على يد رسول الله ﷺ ثم رضيه له ولأمته دينا يعبدون الله به الى يوم القيامة.

خامسا : تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم :

يقول سبحانه وتعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[1] . الاسلام ــ كما رأينا دين عام كامل.. ولا بد لهذا الدين العام الكامل أن يحفظ على صورته النقية لتتم الحجة به محفوظا ولئلا يكون هناك شك فيه.. ولذلك فانه سبحانه وتعالى تعهد بحفظه وصيانته من أن تمتد اليه عوامل النسيان او التحريف[2]، وفي ذلك دلالة قوية على ارادته سبحانه وتعالى بقاء هذا الدين حجة قائمة الى قيام الساعة والا فأي حاجة الى حفظه اذا كانت هناك نبوات جديدة ستأتي تكمل أو تصحح وذلك ما كانت عليه الأديان السابقة التي لم تحظ بهذا الضمان الرباني لأنها ليست نهاية المطاف التشريعي للبشر..

يقول الطبري رحمه الله عند تأويل هذه الآية : (وإنّا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه)[3] .

ويقول الزمخشري رحمه الله : (وهو حافظ ــ له ــ[4] في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربّانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل الى غيره حفظه)[5] أي حفظ القرآن.

وها هو القرآن الكريم قد بقي سراجا محفوظا يضيء الطريق لكل من أراد الوصول الى الله سبحانه وتعالى غضًا طريًا كما أنزل (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[6] ليكون الحجة القائمة للرسالة الخاتمة...[7] .

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) ومن المفسرين من يعيد الضمير في « له » الى رسول الله ﷺ والأصح ما ذكر والرسول قد قال الله فيه (والله يعصمك من الناس) ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله جـ ٢ ص ٥٤٧.

(٣) تفسيره جـ ١٤ ص ٧.

(٤) أرى أن العبارة لا تستقيم الا بهذه الكلمة فوضعتها كالبيان لمراد المفسر / رحمه الله.

(٥) الكشاف جـ ٢ ص ٣١١.

(٦) سورة فصّلت آية ٤٢.

(٧) وسيأتي مزيد شرح ومقارنة لهذا الحفظ ــ ان شاء الله ــ في الفصل الثالث.

سادسا : أمر الله بالايمان بالقرآن والكتب المنزلة قبله فقط :

وفي ذلك يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل)[1] فهو في هذه الآية انما يطالب عباده المؤمنين بالايمان بالكتب المنزلة من قبل ولم يطالبهم بالايمان بكتب اخرى ستأتي مع أن كلا النوعين غيب يجب الايمان به لو كان مما سيوجد، والا فان المنكر لشيء منها سيعرّض نفسه للكفر والضلال ولهذا فان الله سبحانه وتعالى عقّب على الآية السابقة بقوله : (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيدا)[2]. فهو سبحانه وتعالى قصّ علينا أخبار رسله ثم أمرنا بالايمان بها فقال : (فآمنوا بالله ورسله) ثم حذّر من التفريق في الايمان ببعضهم دون البعض الآخر فقال : (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)[3].

فلو كان هناك رسل بعد رسول الله ﷺ لطالبنا الله بالايمان بهم كما طالبنا بالايمان بمن قبله.

هذه هي بعض الآيات الدالة على عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية بشتى أنواع التأكيد التي لا يبقى بعدها مجال لنبوة جديدة أو دين جديد.. فنبيّ الاسلام خاتم الأنبياء وكتابه حجة على كل من بلغه ورسالته تخاطب الناس جميعا، وقد بلغ الاسلام على يده ﷺ ذروة كماله وتمامه ثم لما كان مراد الله عز وجل أن يكون دينا لخلقه من بعد فقد تكفّل بحفظه ورعايته هو بنفسه سبحانه وتعالى ليكون بقاؤه بصورته النقية حجة على كل الخلق الى يوم القيامة متى ما أرادوا الاهتداء بهديه أو أرادوا السير على نهجه.. بخلاف الرسالات السابقة التي لم يعطها من تلك المميزات شيئا لأنه لم يرد لها ما أراده للاسلام فكان أن أدى بها ذلك الى تعرضها لعوامل التحريف والضياع ـــ كما سيأتي ـــ وفقدت قيمتها الربانية بعد فترة قليلة من مجيئها.

---

(١) سورة النساء آية ١٣٦.

(٢) سورة النساء آية ١٣٦.

(٣) سورة النساء آية ١٥٠ ـ ١٥١.

ب ـ الأدلة من السنـــة

تمهيـــــد :

المتتبع لأحاديث رسول الله ﷺ يرى أنها قد أكدت ختمية النبوة وانقطاع الوحي بعده ﷺ بعبارات مختلفة متنوعة يصل بعضها الى حد التواتر وهي في جملتها متواترة تواترا قطعيا بحيث لا يبقى مجال للشك أو التردد في كون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء لا نبيّ بعده ولا شرع بعد شرعه.

وقد ذكر ذلك التواتر كثير من العلماء فقد قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي رحمه الله : (وقد تواترت الأخبار عنه ــ أي النبي ﷺ ــ بقوله : لا نبيّ بعدي)[1].

ويقول ابن حزم رحمه الله : (وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكواف التي نقلت نبوّته وكتابه أنه أخبر أنه : «لا نبيّ بعده»)[2].

ويقول ابن كثير رحمه الله : (وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبيّ بعده ليعلموا ان كل من ادّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل)[3].

وذكر السيوطي رحمه الله أن حديث (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي) متواتر ــ وسيأتي ــ وذكر كذلك أن حديث «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ــ غير أنه لا نبيّ بعدي ــ) أنه متواتر.[4]

وهكذا ترى أن كل حديث من هذه الأحاديث قد بلغ درجة التواتر بمفرده فكيف بها اذا اجتمعت لتقرر أمرا واحدا.

وليست هذه الأحاديث هي وحدها التي وردت في تأكيد عقيدة الختم بالنبوة المحمدية بل وردت معها أحاديث أخرى متعددة..

وقد وردت هذه الأحاديث المؤكدة لذلك المعنى بصور شتى وألفاظ متعددة بحيث

---

(١) أصول الدين ص ١٥٨.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٧٧.

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٩٣.

(٤) الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٣٦.

لا يبقى هناك منفذ الى عقيدة ختم النبوة ولا شبهة عليها وهذه هي الأحاديث الواردة في ذلك.

أولا : تصريحه ﷺ بأنه خاتم النبيين :

١ ـ ١ عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : (ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...) الى أن قال : (وانه سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبيّ وأنا خاتم النبيين لا نبيّ بعدي) رواه أبو داود[١] والترمذي[٢] واحمد[٣].

٢ ـ ٢ وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : (أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر) رواه احمد[٤].

٣ ـ ٣ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : (أنا سيد الناس يوم القيامة). ثم ذكر عليه الصلاة والسلام يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب وتخلي الأنبياء عن ذلك حتى يصل الناس الى رسولنا محمد ﷺ، فذكر عليه الصلاة والسلام أنهم يقولون : (أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك... الحديث). رواه البخاري[٥] ومسلم[٦].

٤ ـ ٤ وعن ابن عباس رضي الله عنه قريبا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الشفاعة يوم القيامة وفيه أن رسول الله ﷺ ذكر استشفاع الناس بالأنبياء واحدا واحدا ليشفعوا الى الله عز وجل في الحساب بين الناس لطول وقوفهم

---

(١) سنن أبي داود جـ ٤ ص ١٣٨.

(٢) سنن الترمذي جـ ٦ ص ٤٦٦ وقال (حديث صحيح).

(٣) المسند جـ ٥ ص ٢٧٨ وله أصل في مسلم ٤/٢٢١٥ وابن ماجه جـ ٢ ص ١٣٠٤.

(٤) المسند جـ ١ ص ٢٧ وقد اعتبره صاحب المشكاة من قسم الحسان وارتضاه الشيخ الألباني المحقق جـ ٣ ص ١٢٨.

(٥) صحيح البخاري جـ ٦ ص ١٠٦.

(٦) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٨٤.

بدون حساب وقال عليه الصلاة والسلام في آخره : (حتى يصل الناس الى عيسى عليه السلام فيقول لهم : أرأيتم لو كان متاع في وعاء قد ختم عليه أكان يقدر على ما في الوعاء حتى يفض الخاتم فيقولون لا. فيقول : ان محمدا ﷺ خاتم النبيين) رواه احمد[1] وأبو يعلى[2].

٥ ــ ٥ وعن ثابت عن أنس رضي الله عنهما حديث الشفاعة بطوله وفيه يقول عليه الصلاة والسلام ان الناس يذهبون الى عيسى : (فيقولون يا عيسى اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا فيقول اني لست هناكم ولكن ائتوا محمدا ﷺ فانه خاتم النبيين فانه قد حضر اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ــ ثم ذكر قول عيسى السابق : (أرأيتم لو كان متاع في وعاء قد ختم هل كان يقدر على ما في الوعاء حتى يفض الخاتم فيقولون لا. قال ان محمدا ﷺ خاتم النبيين) رواه احمد[3].

٦ ــ ٦ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال لأبي الوداك هل يقر الخوارج بالدجال قال أبو الوداك فقلت لا فقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : (اني خاتم ألف نبيّ وأكثر ما بعث نبيّ يتبع الا قد حذّر أمته الدجال.. الحديث) رواه أحمد[4] والحاكم[5].

٧ ــ ٧ وعن عرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (اني عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته) رواه أحمد[6].

٥ هذه الأحاديث التي رواها ستة من أصحاب رسول الله ﷺ بطرق متعددة كلها تثبت خاتمية رسول الله ﷺ وكونه آخر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأساليب متنوعة منها :

---

(١) المسند جـ ١ ص ٢٩٦.
(٢) مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣ وقال الهيثمي : (وفيه علي بن زيد وقد وثق على ضعفه وبقية رجالهما ــ أي أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح).
(٣) المسند جـ ٣ ص ٢٤٨ وسنده صحيح.
(٤) المسند جـ ٣ ص ٧٩.
(٥) المستدرك جـ ٢ ص ٥٩٧ / قال الذهبي (مجالد ضعيف) وهو أحد رجال السند.
(٦) المسند جـ ٤ ص ١٢٧ / وصححه ابن حبان كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح جـ ٦ ص ٥٥٩ وصححه الألباني في حاشية مشكاة المصابيح جـ ٣ ص ١٢٧.

أ ــ النص على كونه عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء وقد عرفنا من قبل معنى كلمة خاتم في اللغة وحديثا ابن عباس وأنس رضي الله عنهما أكدا ذلك وأوضحاه.

ب ــ المثال الذي ضربه عيسى عليه الصلاة والسلام حيث شبه الأنبياء بالمتاع والنبوة بالوعاء والرسول ﷺ بالخاتم الذي ختم به على الوعاء بحيث لا يصل الى ما في الوعاء الا بعد فض الخاتم الذي على الوعاء.

ج ــ ذكره ﷺ بعض خصائصه ومنها أنه قائد المرسلين وأنه خاتم النبيين وكونه قائد المرسلين دال على أنه أعظمهم وأكرمهم عند الله سبحانه وتعالى فيكون ذكر خاتم النبيين له دلالة أخرى وهي أنه آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعا والا لو كان المعنى واحدا لما كان لذكره فائدة، والتأسيس أولى من التوكيد.

د ــ ذكره ﷺ أن الأنبياء يحيلون الشفاعة اليه ثم عدم احالته لها الى أحد بعده. ففي ذلك دلالة على أنه آخر الأنبياء وخاتمهم.

ه هذه بعض الدلالات الواردة في الأحاديث المتقدمة على خاتمية رسول الله ﷺ للأنبياء وأنه آخرهم ولا نبيّ بعده.

ثانيا : تصريحه عليه الصلاة والسلام بانقطاع النبوة وانه لا نبيّ بعده :

٨ ــ ١ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كشف رسول الله ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال : (أيها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) رواه مسلم[١] واحمد[٢] والنسائي[٣] وابن ماجة[٤].

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٤٩.
(٢) المسند جـ ١ ص ٢١٩.
(٣) سنن النسائي جـ ٢ ص ١٨٩.
(٤) سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ١٢٨٣.

٩ ـ ٢ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ليس يبقى بعدي من النبوة الا الرؤيا الصالحة) رواه مالك[١] واحمد[٢] وأبو داود[٣] والحاكم[٤] والربيع بن حبيب[٥] والطبراني[٦].

١٠ ـ ٣ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ) قال فشق ذلك على الناس قال فقال : (ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : (رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة) رواه احمد[٧] والترمذي[٨] والحاكم[٩] وأبو يعلى[١٠].

١١ ـ ٤ وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (لا يبقى بعدي من النبوة شيء الا المبشرات قالوا يا رسول الله : وما المبشرات قال : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) رواه احمد[١١] والبزار[١٢].

١٢ ـ ٥ وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (لا نبوة بعدي الا المبشرات) قال قيل وما المبشرات يا رسول الله : قال : (الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة) رواه احمد[١٣] والطبراني[١٤].

---

(١) الموطأ جـ ٢ ص ٩٥٦.
(٢) المسند جـ ٢ ص ٣٢٥.
(٣) سنن أبي داود جـ ٤ ص ٤١٦.
(٤) المستدرك جـ ٤ ص ٣٩٠ وصححه الذهبي في الحاشية.
(٥) مسند الربيع جـ ١ ص ١٥.
(٦) سنن الترمذي بشرح تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٥٥١ ـ بمعناه.
(٧) المسند جـ ٣ ص ٢٦٧.
(٨) السنن جـ ٦ ص ٥٥١ بشرح تحفة الأحوذي.
(٩) المستدرك جـ ٤ ص ٣٩١ وذكر انه على شرط مسلم.
(١٠) الموطأ شرح الزرقاني جـ ٤ ص ٣٥٣ على الموطأ.
(١١) المسند جـ ٦ ص ١٢٩.
(١٢) مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٧٢ وقال (ورجال احمد رجال الصحيح).
(١٣) المسند جـ ٥ ص ٢٥٤.
(١٤) مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٧٣ وقال : (ورجاله ثقات).

٩ ــ ٢ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ليس يبقى بعدي من النبوة الا الرؤيا الصالحة) رواه مالك[١] واحمد[٢] وأبو داود[٣] والحاكم[٤] والربيع بن حبيب[٥] والطبراني[٦].

١٠ ــ ٣ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ) قال فشق ذلك على الناس قال فقال : (ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : (رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة) رواه احمد[٧] والترمذي[٨] والحاكم[٩] وأبو يعلى[١٠].

١١ ــ ٤ وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (لا يبقى بعدي من النبوة شيء الا المبشرات قالوا يا رسول الله : وما المبشرات قال : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) رواه احمد[١١] والبزار[١٢].

١٢ ــ ٥ وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (لا نبوة بعدي الا المبشرات) قال قيل وما المبشرات يا رسول الله : قال : (الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة) رواه احمد[١٣] والطبراني[١٤].

---

(١) الموطأ جـ ٢ ص ٩٥٦.
(٢) المسند جـ ٢ ص ٣٢٥.
(٣) سنن أبي داود جـ ٤ ص ٤١٦.
(٤) المستدرك جـ ٤ ص ٣٩٠ وصححه الذهبي في الحاشية.
(٥) مسند الربيع جـ ١ ص ١٥.
(٦) سنن الترمذي بشرح تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٥٥١ ــ بمعناه.
(٧) المسند جـ ٣ ص ٢٦٧.
(٨) السنن جـ ٦ ص ٥٥١ بشرح تحفة الأحوذي.
(٩) المستدرك جـ ٤ ص ٣٩١ وذكر انه على شرط مسلم.
(١٠) الموطأ شرح الزرقاني جـ ٤ ص ٣٥٣ على الموطأ.
(١١) المسند جـ ٦ ص ١٢٩.
(١٢) مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٧٢ وقال (ورجال احمد رجال الصحيح).
(١٣) المسند جـ ٥ ص ٢٥٤.
(١٤) مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٧٣ وقال : (ورجاله ثقات).

١٨ — ١١ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال : أتخلّفني في الصبيان والنساء ؟ قال : (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا إنه ليس نبيّ بعدي) رواه البخاري[١] ومسلم[٢] واحمد[٣] وأبو داود الطيالسي[٤].

١٩ — ١٢ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لعلى (أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا إنه لا نبيّ بعدي) رواه احمد[٥] والبزار[٦].

٢٠ — ١٣ وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لعلي : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا إنه ليس بعدي نبيّ) رواه احمد[٧] والطبراني[٨].

٢١ — ١٤ وعن أم سلمة رضي الله عنها نحو ما تقدم — رواه أبو يعلى والطبراني[٩].

٢٢ — ١٥ وعن ابن عباس رضي الله عنه — نحو ما تقدم — رواه البزار والطبراني[١٠].

٢٣ — ١٦ وعن علي رضي الله عنه كذلك — رواه الطبراني في الأوسط[١١].

٢٤ — ١٧ وعن البراء بن عازب وزيد بن أرقم — رواه الطبراني[١٢].

* هذا وقد وردت روايات أخرى في هذا المعنى من رواية ابن عمر وحبيش ابن

---

(١) في صحيحه جـ ٦ ص ٣.
(٢) في صحيحه جـ ٤ ص ١٨٧٠.
(٣) المسند جـ ١ ص ١٨٥ و جـ ١ ص ١٧٠.
(٤) مسند أبي داود بترتيب البنا المسمى بمنحة المعبود جـ ٢ ص ١١٠.
(٥) المسند جـ ٣ ص ٣٢.
(٦) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ١٠٩ وقال الهيثمي : (وفيه عطية العوفي وثقة ابن معين وضعفه احمد وجماعة وبقية رجال أحمد رجال الصحيح).
(٧) المسند جـ ٦ ص ٣٦٩ و ٤٣٨.
(٨) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ١٠٩ وقال : (ورجال احمد رجال الصحيح غير فاطمة بنت علي وهي ثقة).
(٩) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ١٠٩ وقال : (وفي اسناد أبي يعلى : محمد بن سلمة بن كهيل وثقة ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح).
(١٠) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ١٠٩ (وقال صاحب المجمع : (ورجال البزار رجال الصحيح غير أبي بلج الكبير وهو ثقة).
(١١) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ١١٠ وقال الهيثمي (ورجاله رجال الصحيح).
(١٢) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ١١١ وقال صاحب المجمع : (رواه الطبراني باسنادين في أحدهما ميمون أبو عبد الله البصري وثقة ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح).

جنادة السلولي وجابر بن سمرة وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم وغيرهم وكلها لا تخلو من مقال[1] فلم نر اثباتها هنا وان كانت تتقوى بما ثبت من الأحاديث الصحيحة ففي هذه الآثار التي أثبتناها هنا ما يكفي للاستدلال مع ما سبق من أدلة أخرى وما سيأتي ان شاء الله.

٥ وهذه الأحاديث التي رواها جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ جاءت في مناسبات شتى وبألفاظ متنوعة كلها تؤكد انتفاء النبوة بعده ﷺ. والمناسبات التي وردت فيها هي :

أ ــ عندما تحدث النبي ﷺ عن بني اسرائيل وكيف أنه كانت تتعاقب فيهم الأنبياء لسياستهم ورعايتهم.. فلو سكت رسول الله ﷺ ولم ينبه على عدم مجيء أنبياء بعده ﷺ فلربما توهم الناس أن هذه الأمة ليست بأقل في عين الله عز وجل من بني اسرائيل وأنه مادام قد جاء فيهم نبوات متعاقبة لرعايتهم وسياستهم فانه كائن في هذه الأمة ما كان فيهم.

ولكن رسول الله ﷺ لا يترك الأمر من غير بيان وان كانت هذه القضية قد ورد فيها عنه ﷺ ما يكفي لتوضيحها وبيانها وذلك لئلا يتدنس وجه عقيدة ختم النبوة بأية شبهة فذكر ﷺ أن هذه الأمة تختلف عن بني اسرائيل من هذه الناحية لأنه لم يعد هناك نبوات بعده ﷺ وانما سيكون في هذه الأمة خلفاء يخلفونه عليه الصلاة والسلام في رعاية أمته ودينه.

ب ــ عندما ترك عليا رضي الله عنه في المدينة في غزوة تبوك وأرجف المنافقون في ذلك فطمأنه في ذلك عليه الصلاة والسلام بأن بقاءه في المدينة لا ينقص من شأنه وأن هذه القضية شبيهة بقضية هارون مع أخيه موسى عليهما السلام حينما تركه وراءه في بني اسرائيل وذهب لميقات ربه وذلك تطييبا لخاطره رضي الله عنه.

ولما كان هارون نبيا كموسى فان عدم الاستدراك من النبي ﷺ قد يوهم أن عليا رضي الله عنه شبيه بهارون عليه السلام من كل وجه حتى من وجه النبوة مع أنه لا نبيّ بعد رسول الله ﷺ ولا معه ولئلا يقع تغبيش في

---

(١) يراجع مجمع الزوائد جـ ٩ ــ ص ١٠٩ ــ ١١٠ ــ ١١١.

صورة عقيدة ختم النبوة فانه ﷺ استدرك صفة النبوة فأخبر أنه لا نبيّ بعده ﷺ وبذلك تبقى هذه العقيدة نقية صافية عن كل ما يكدرها.

ج — وهو يودعهم عليه الصلاة والسلام ويوصيهم بكتاب الله عز وجل.. وذلك في حجة الوداع كما في حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه.. واهتمامه عليه الصلاة والسلام بذكر انقطاع النبوة في هذا الموطن يدل على خطورة ذلك الأمر وان الأمة ينبغي ألّا تنسى تلك القضية وهي كونه عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء ولا نبي بعده فلا تنخدع بعد ذلك بالأدعياء الكذبة.

د — في مرض موته الذي مات فيه عليه الصلاة والسلام وهو منعطف الوداع الذي سيودع فيه أمته ويلقى ربه فأراد ﷺ أن يترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك.. ولحرصه عليه الصلاة والسلام على تثبيت عقيدة ختم النبوة في نفوس أصحابه وأمته من بعده فانه ذكرهم بهذه القضية في هذا الموقف الأخير.. ولا شك أن ذلك سوف يترك هذا الأمر واضحا جليا.. وقد كان كما أراد عليه الصلاة والسلام كما سنرى ذلك في قتال الصحابة رضي الله عنهم للمتنبئين في عصرهم وكذلك موقف الأمة الاسلامية من بعد.

ه هذه هي المواقف والمناسبات التي ذكر فيها عليه الصلاة والسلام قضية ختم النبوة، كلها تؤكد لنا مدى اهتمامه بهذا الأمر وحرصه على وضوحه ورسوخه.

ثالثا : ضربه ﷺ الأمثال لختم النبوة :

٢٥ — ١ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ان مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلاّ وضعت اللبنة قال فأنا

اللبنة وأنا خاتم النبيين) رواه البخاري واللفظ له[1]، ومسلم[2] واحمد[3] والحميدي[4].

٢٦ ــ ٢ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ مثلي ومثل الانبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة) ثم قال رسول الله ﷺ : (فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء). رواه البخاري ــ واللفظ له ماعدا الزيادة[5] ومسلم والزيادة[6] له واحمد[7] والترمذي[8] وأبو داواد الطيالسي[9].

٢٧ ــ ٣ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (مثلي ومثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى دارا فأتمها الا لبنة واحدة فجئت أنا فاتممت تلك اللبنة) رواه مسلم[10] واحمد اللفظ له[11].

٢٨ ــ ٤ وعن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : (مثلي ومثل النبيين...) فذكر الحديث نحوا مما تقدم ــ رواه احمد[12] والترمذي[13].

* هذه الأحاديث الأربعة تتناول قضية الختم من طريق التمثيل والتشبيه الذي هو أقرب الأساليب الى الفهم فيشبّه النبي ﷺ النبوة ببيت لبناته هم أنبياء الله عز وجل الذين اختارهم قبل نبينا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام

---

(١) في صحيحه جـ ٤ ص ٢٢٦.

(٢) في صحيحه جـ ٤ ص ١٧٩٠.

(٣) المسند جـ ٢ ص ٣٩٨.

(٤) المسند جـ ٢ ص ٤٤٨.

(٥) في صحيحه جـ ٤ ص ٢٢٦.

(٦) في صحيحه جـ ص ١٧٩١.

(٧) المسند جـ ٣ ص ٣٦١.

(٨) سنن الترمذي جـ ٨ ص ١٥٨ بشرح تحفة الأحوذي.

(٩) مسنده بترتيب البنا المسمى بمنحة المعبود جـ ٢ ص ٨٥.

(١٠) في صحيحه جـ ٤ ص ١٧٩١.

(١١) المسند جـ ٣ ص ٩.

(١٢) المسند جـ ٥ ص ١٣٧.

(١٣) السنن جـ ١٠ ص ٨١.

وأن البيت قد بني وجمّل وكمل ولم يبق فيه الا موضع لبنة واحدة لا يزال البيت بدونها ناقصا فجاء رسول الله ﷺ فكمل ذلك البناء وسد ذلك المكان ولم يبق ثمة موضع آخر للبنة أخرى تجيء بعد.. وبذلك يكون بناء النبوة قد تم وكمل بعد مجيء رسول الله ﷺ الذي قد ختم به ذلك البناء فكان بذلك آخر الأنبياء. وبذلك تقرر عقيدة ختم النبوة في نفوس هذه الأمة ولا يبقى هناك مجال للكذب والادعاء.

يقول ابن حجر رحمه الله (وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين).[1]

رابعا : تحذيره ﷺ من المتنبئين بعده :

٢٩ ــ ١ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله) رواه البخاري[2] واللفظ له ومسلم[3] وأبو داود[4] والترمذي[5] واحمد[6].

٣٠ ــ ٢ عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ (إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبيّ) رواه الترمذي[7] وابن ماجة[8] واللفظ له.

٣١ ــ ٣ عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ان بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم) رواه مسلم[9] واحمد[10].

---

(١) فتح الباري جـ ٦ ص ٥٥٩.
(٢) صحيح البخاري جـ ٤ ص ٢٤٣.
(٣) صحيحه جـ ٤ ص ٢٢٤٠.
(٤) سننه جـ ٤ ص ١٧١.
(٥) سننه جـ ٦ ص ٤٩٥ ــ من تحفة الأحوذي.
(٦) المسند جـ ٢ ص ٤٣٩.
(٧) السنن جـ ٦ ص ٤٦٦ من تحفة الأحوذي.
(٨) السنن جـ ٢ ص ١٣٠٤.
(٩) جـ ٤ ص ٢٢٣٩.
(١٠) المسند جـ ٥ ص ٨٦ وص ٩٠ و ٩٢ وص ٩٤ و٩٦ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧.

٣٢ — ٤ عن أبي بكرة قال : أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئا فقام رسول الله ﷺ خطيبا فقال : (أما بعد ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه إنه كذاب من ثلاثين كذابا يخرجون بين يدي الساعة) رواه احمد[1] .

٣٣ — ٥ عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا رجالا كلهم يكذب على الله عز وجل ورسوله ﷺ) رواه أحمد[2].

* لم يكتف عليه الصلاة والسلام في تقريره لعقيدة ختم النبوة بتأكيدها وتنويع الأساليب التقريرية في ذلك فقط بل من شدة حرصه عليه الصلاة والسلام أخبر بما ستتعرض له الأمة من الفتن في هذه العقيدة التي لن يرضى عنها أعداء هذه الأمة لأنها تحول بينهم وبين تمزيق وحدة الأمة أو تلبيس دينهم عليهم... فأخبر عليه الصلاة والسلام بأنه سيخرج في هذه الأمة أنبياء كذبة يدجلون على الناس ويخدعونهم فيدّعون أنهم أنبياء ورسل فينبغي على الأمة أن تحذر فتنتهم ولا تنخدع بدعوتهم وباطلهم..

* هذا مع ما أبدى فيه وأعاد من تقرير عقيدة ختم النبوة في كل مناسبة بارزة في حياته ﷺ.

خامسا : التصريح بأنه آخر الأنبياء
وأن مسجده آخر المساجد
وأن أمته آخر الأمـــم

٣٤ — ١ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي عبد الله الأغر مولى الجهنيين (وكان من أصحاب أبي هريرة) أنهما سمعا أبا هريرة يقول : (صلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فان رسول الله ﷺ آخر الانبياء وان مسجده آخر

---

(١) المسند جـ ٥ ص ٤٦.
(٢) المسند جـ ٢ ص ٤٥٠.

المساجد). قال أبو سلمة وأبو عبد الله لم نشك أن أبا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ﷺ فمنعنا ذلك أن نستثبت أبا هريرة عن ذلك الحديث حتى اذا توفي أبو هريرة تذاكرنا ذلك وتلاومنا أن لا نكون كلمنا أبا هريرة في ذلك حتى يسنده الى رسول الله ﷺ ان كان سمعه منه فبينا نحن على ذلك جالسنا عبد الله ابن ابراهيم بن قارظ فذكرنا ذلك الحديث والذي فرطنا فيه من نصّ أبي هريرة عنه فقال لنا عبد الله بن إبراهيم : أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ (فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد). رواه مسلم[١] والنسائي[٢].

٣٥ — ٢ وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبه حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله : (انه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وان الله لم يبعث نبيا الا حذر أمته الدجال. وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم) رواه ابن ماجة[٣].

٣٦ — ٣ وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله) رواه الترمذي[٤] وابن ماجة[٥] والدارمي[٦] والحاكم[٧].

وفي رواية أخرى عن نفس الصحابي : (نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها) رواه ابن ماجة.[٨]

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠١٢.
(٢) سنن النسائي جـ ٢ ص ٣٥.
(٣) السنن جـ ٢ ص ١٣٥٩.
(٤) السنن جـ ٨ ص ٣٥٢ ـ بشرح تحفة الأحوذي.
(٥) السنن جـ ٢ ص ١٣٣٤.
(٦) السنن جـ ٢ ص ١٣.
(٧) المستدرك جـ ٤ ص ٨٤، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه ابن حجر رحمه الله ـ كذلك ـ في الفتح جـ ٨ ص ٢٢٥ مع أن الترمذي انما حسنه فقط.
(٨) السنن جـ ٢ ص ١٤٣٣.

٣٧ ـ ٤ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (نحن آخر الأمم. وأول من يحاسب يقال : أين الأمة الأمية ونبيها ؟ فنحن الآخرون الأولون) رواه ابن ماجة[١].

٣٨ ـ ٥ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة) رواه احمد[٢].

٣٩ ـ ٦ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر اجراء فقال من يعمل لي من غداة الى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط ؟ فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى أن تغيب الشمس على قيراطين ؟ فأنتم هم) رواه البخاري[٣] واحمد[٤] وفي رواية أخرى عندهما : (ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس)[٥].

٤٠ ـ ٧ وعن أبي موسى رضي الله عنه ـ نحوه ـ رواه البخاري[٦]

٤١ ـ ٨ وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه ـ نحوه ـ رواه الطبراني[٧].

* في هذه الأحاديث أمور عدة :

أ ـ التصريح بأنه عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء وذلك واضح الدلالة.

ب ـ التصريح بأن مسجده آخر المساجد التي تبنى في هذه الأرض على يد نبي من الأنبياء لأنه هو آخر الأنبياء والا فلو حمل على غير ذلك لما كان له معنى اذ بناء المساجد مستمر منذ صدر الاسلام الى اليوم والى

---

(١) السنن جـ ٢ ص ١٤٣٤ قال محمد عبد الباقي اسناده صحيح ورجاله ثقات.
(٢) المسند جـ ١٣ ص ٣٤ تحقيق احمد شاكر وقال فيه : (اسناده صحيح).
(٣) في صحيحه جـ ٤ ص ٤٤٥.
(٤) المسند جـ ٢ ص ٦.
(٥) صحيح البخاري جـ ١ ص ١٤٦ والمسند جـ ٢ ص ١٢٩.
(٦) الصحيح جـ ٢ ص ٣٨.
(٧) مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٢٩ ـ ٧٠ وقال (وفيه من لم أعرفهم).

أن تقوم الساعة بل هو ﷺ حث على بنائها كقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه : (من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة)[1] وغير هذا من الأحاديث التي تحث على بناء المساجد فكان المعنى السابق هو المعنى المراد وفي ذلك يقول مالك رحمه الله : (ختم الله به الأنبياء وختم بمسجده هذا مساجد الأنبياء)[2]".

ج — الاخبار بكون هذه الأمة أمته ﷺ هي آخر الأمم اذ لو كان هناك نبي سيبعث لما كانت هذه الأمة آخر الأمم لأن الأمة التي يبعث فيها النبي تنسب اليه ولهذا نراه ﷺ يضرب لذلك بمثل الأجراء الذين عملوا طوال النهار فجاءت هذه الأمة آخر اليوم الى غروب الشمس — فدل ذلك على أن الأمة المحمدية تبقى الى انتهاء هذه الدنيا لأن المعروف عند الناس أن العمل في النهار فقط فغروب الشمس حد لانتهاء زمن العمل وما خرج عن ذلك فهو شاذ كأي قاعدة أو عرف بين الناس لا بد له من شذوذ والأصل هو الشيء المتعارف عليه في أمثال هذه الأمور.

* هذه الأساليب هي احدى الطرق التي سلكها ﷺ لاثبات عقيدة ختم النبوة بنبوته ﷺ.

سادسا : التأكيد بأنه ﷺ حظ أمته من النبيين :

٤٢ — ١ عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة. ألا أعرضها عليك ؟ قال فتغير وجه رسول الله ﷺ قال — يعني ابن ثابت فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا. قال فسرى عن النبي ﷺ وقال : (والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم انكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين) رواه احمد[3].

(١) صحيح البخاري جـ ١ ص ١٢٣ وصحيح مسلم جـ ١ ص ٣٧٨ واللفظ له.
(٢) ذكره عنه الزرقاني في شرحه للموطأ جـ ٤ ص ٤٣٥ نقلا عن ابن وهب عنه في تفسيره لمعنى العاقب.
(٣) المسند جـ ٤ ص ٢٦٥.

٤٣ ــ ٢ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ــ نحوه ــ رواه الدارمي[١].

٤٤ ــ ٣ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (أنا حظكم من الأنبياء وأنتم حظي من الأمم) رواه البزار[٢].

هذه الآثار تصور لنا مدى غضب رسول الله ﷺ عندما رأى تلك الصحيفة من التوراة في يد عمر رضي الله عنه لأن الإسلام فيه الغناء عن بقية الكتب ولا تحتاج الأمة الاسلامية الى الاسترشاد بكتب أخرى مع القرآن الكريم فيعرف عمر رضي الله عنه أنه أخطأ ويردد قوله (رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا) وهذا هو المراد لرسول الله ﷺ وهو أن يرسخ في عقيدة الأمة أنه ليس لها دين آخر ولا نبي سوى محمد عليه الصلاة والسلام ثم لا يكتفي رسول الله بابداء الارتياح لاعتذار عمر رضي الله عنه بل يؤكد لهم أنهم أمته وحده لا ينازعه فيهم نبي آخر.. وهو واضح الدلالة على أن هذه الأمة لن يبعث فيهم نبي بعده ﷺ لأنهم أمته عليه الصلاة والسلام وقد جاء لهم بما يكفيهم ويهديهم.

سابعا : اخباره ﷺ بعدم وجود فاصل بينه وبين الساعة :

٤٥ ــ ١ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (بعثت أنا والساعة كهاتين) رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] والترمذي[٥] والدارمي[٦].

وفي بعض طرق الحديث في مسلم أن الراوي وهو شعبه قرن بين أصبعيه المسبحة والوسطى يحكيه[٧] ــ أي عمن قبله.

٤٦ ــ ٢ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (بعثت أنا والساعة كهاتين يعني أصبعين) رواه البخاري[٨].

---

(١) السنن جـ ١ ص ١١٥ من غير ذكر (انكم حظي)...

(٢) مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٦٨ وقال : (ورجاله رجال الصحيح غير أبي حبيبه الطائي وقد صحح له الترمذي حديثا وذكره ابن حيان في الثقات).

(٣) في صحيحه جـ ١١ ص ٣٤٧ بشرح فتح الباري.

(٤) في صحيحه جـ ٤ ص ٢٢٦٨.

(٥) في سننه جـ ٦ ص ٤٥٩ بشرح تحفة الأحوذي.

(٦) في سننه جـ ٢ ص ٣١٣.

(٧) جـ ٤ ص ٢٢٦٩.

(٨) في صحيحه جـ ١١ ص ٣٤٧ بشرح فتح الباري.

٤٧ ــ ٣ وعن سهل بن سعد قال : سمعت النبي ﷺ يشير باصبعه التي تلي الابهام والوسطى وهو يقول : (بعثت أنا والساعة هكذا) رواه مسلم[١] واحمد[٢].

٤٨ ــ ٤ عن المستورد بن شداد الفهري عن النبي ﷺ قال : (بعثت أنا في الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه لاصبعيه السبابة والوسطى) رواه الترمذي[٣].

* في هذه الأحاديث النص على مدى التلاصق بين النبوة المحمدية وقيام الساعة بحيث لا يفصل بينهما نبوة أخرى.

وهذا هو ما فهمه علماء الأمة الاسلامية من هذه الأحاديث.

ذكر ابن حجر رحمه الله عن ابن التين انه قال في معنى هذا الحديث : (اختلف في معنى «كهاتين» فقيل كما بين السبابة والوسطى في الطول وقيل المعنى ليس بينه وبينها نبي)[٤].

ويذكر ابن حجر رحمه الله كذلك قولاً آخر في المراد من الحديث وهو (استمرار دعوته ﷺ لا تفترق احداهما عن الأخرى كما أن الاصبعين لا تفترق احداهما عن الأخرى).

ويقول كذلك : (المراد بحديث الباب ــ أي هذا الحديث ــ أنه ليس بينه وبين الساعة نبي كما أنه ليس بين السبابة والوسطى اصبع آخر)[٥]

* وبهذه النقول اليسيرة يتضح أن هذه الآثار احدى الأدلة المؤكدة لعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية.

---

(١) في صحيحه جـ ٤ ص ٢٢٦٨.

(٢) المسند جـ ٥ ص ٣٣٠.

(٣) في سننه جـ ٦ ص ٤٥٩ واستغربه / بشرح تحفة الأحوذي.

(٤) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٩.

(٥) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٥٠.

ثامنا : تبشيره ﷺ ببقاء طائفة من هذه الأمة الى قيام الساعة :

٤٩ ــ ١ عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال (لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) رواه البخاري[١] ومسلم[٢] واحمد[٣] .

٥٠ ــ ٢ وعن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) رواه مسلم[٤] واحمد[٥] .

٥١ ــ ٣ وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : (لن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله) رواه البخاري[٦] ومسلم[٧] واحمد[٨] .

٥٢ ــ ٤ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه ــ نحوه ــ رواه مسلم[٩] .

٥٣ ــ ٥ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ــ نحوه كذلك ــ رواه مسلم[١٠] واحمد[١١] .

٥٤ ــ ٦ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ــ نحو ما تقدم ــ رواه مسلم[١٢] .

٥٥ ــ ٧ وعن معاوية بن قرة رضي الله عنه ــ كذلك ــ رواه الترمذي[١٣] .

٥ يبشر النبي ﷺ في هذه الآثار أمته بأنه سيبقى هذا الدين قائما منصورا يحمله طائفة منهم يجاهدون به وله حتى تنتهي هذه الحياة وذلك يعني بقاء هذا الدين في الأرض الى قيام الساعة فلا يظهر دين صحيح آخر

---

(١) في صحيحه جـ ٩ ص ١٢٥.
(٢) في صحيحه جـ ٣ ص ١٥٢٣.
(٣) في المسند جـ ٤ ص ٢٤٤.
(٤) في صحيحه جـ ٣ ص ١٥٢٣.
(٥) المسند جـ ٥ ص ٢٧٨.
(٦) في صحيحه جـ ٩ ص ١٢٥.
(٧) في صحيحه جـ ٣ ص ١٥٢٤.
(٨) المسند جـ ٤ ص ٩٣.
(٩) في صحيحه جـ ٣ ص ١٥٢٤.
(١٠) المصدر السابق.
(١١) المسند جـ ٣ ص ٣٤٥.
(١٢) في صحيحه جـ ٣ ص ١٥٢٥.
(١٣) في سننه جـ ٤ ص ٤٨٥ وقال حديث حسن صحيح وصححه كذلك الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ٣ ص ١٣٥.

ينافسه أو ينازعه — وفي ذلك تأكيد لختم النبوة وانتهاء سلسلة الوحي لأن هذا الدين قد ضمن له البقاء الى قيام الساعة وبقاؤه ذلك منار يهتدي به كل من أراد أن يعبد الله عز وجل فلا حاجة اذن الى دين جديد أو رسالة جديدة.

تاسعا : ذكره ﷺ لعموم رسالته :

٥٦ — ١ عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) رواه البخاري[١] والنسائي[٢] والدارمي[٣].

٥٧ — ٢ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (فضّلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون) رواه مسلم[٤] وأحمد[٥].

٥٨ — ٣ عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ : (أوتيت خمسا لم يؤتهن نبي قبلي نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، وبعثت الى الأحمر والأسود) رواه احمد[٦] وأبو داود الطيالسي[٧].

٥٩ — ٤ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : (لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي : أما أنا فأرسلت الى الناس كلهم...) الحديث رواه احمد[٨].

---

(١) ج ١ ص ٩١.
(٢) السنن جـ ١ ص ٢٠٩.
(٣) السنن جـ ١ ص ٣٢٢ مع اختلاف في الترتيب.
(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٧١.
(٥) المسند جـ ٢ ص ٤١٢.
(٦) المسند جـ ٥ ص ١٤٥ وقال في مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٥٩ (ورجاله رجال الصحيح).
(٧) مسنده بترتيب البنا المسمى بمنحة المعبود جـ ٢ ص ١٢٢.
(٨) المسند ج ٥ ص ٢٥٦ قال الهيثمي ورجاله ثقات ج ١٠ ص ٣٦٧ من مجمع الزوائد وقال احمد شاكر : (اسناده صحيح) ج ١٣ ص ٢٦ من المسند بتحقيقه

عاشرا : دلالة أسمائه ﷺ على خاتميته :

٦٣ — ١ عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي ﷺ قال : (أنا محمد وأنا احمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي وأنا العاقب — والعاقب الذي ليس بعده نبي) رواه البخاري[١] ومسلم[٢] واللفظ له — ومالك[٣] واحمد[٤] والدارمي[٥] والترمذي[٦] والحميدي[٧] وأبو داود الطيالسي[٨].

٦٤ — ٢ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في سكة من سكك المدينة (أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة) رواه مسلم[٩] وابن حبان[١٠].

٦٥ — ٣ وعن حذيفة رضي الله عنه — نحوه — رواه احمد[١١] والترمذي[١٢].

• في هذه الأحاديث ذكر بعض أسمائه وصفاته ﷺ والذي يهمنا منها هنا ثلاثة أسماء :

العاقب والمقفى والحاشر. وسنذكر شرح العلماء لها لنرى ما هو المقصود بها ومدى دلالتها على عقيدة الختم :

---

(١) في صحيحه ج ٦ ص ٥٥٤ وليس فيه زيادة تفسير العاقب
(٢) في صحيحه ج ٤ ص ١٨٢٨
(٣) الموطأ ج ٢ ص ١٠٠٤
(٤) المسند ج ٤ ص ٨٤ وفيه أن تفسير العاقب من كلام الزهري
(٥) السنن ج ٢ ص ٣١٧
(٦) الشمائل المحمدية ص ١٩٦
(٧) في مسنده جـ ١ ص ٢٥٣
(٨) في مسند الطيالسي ج ٢ ص ٨٥
(٩) في صحيحه ج ٤ ص ١٨٢٨
(١٠) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ص ٥١٤
(١١) المسند ج ٥ ص ٤٠٥ — وقال الهيثمي (ورجال احمد رجال الصحيح غير عاصم بن بهدله وهو ثقة وفيه سوء حفظ) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٨٤
(١٢) الشمائل المحمدية ص ١٩٧

أ ــ العاقب :

رأينا من قبل أنها فسرت بقول : (العاقب الذي ليس بعده نبي). وهذه الجملة اختلف في قائلها؛ فقيل : انها من كلام النبي ﷺ وقيل : انها من كلام الصحابي الراوي[1] وقيل : انها من كلام الزهري.

ففي احدى روايات مسلم (وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد)[2]، وفي بعضها أن عقيلا سأل الزهري رحمه الله وما العاقب ؟ قال(الذي ليس بعده نبي)[3] وفي احدى روايات احمد قال معمر للزهري ما العاقب ؟ قال : (الذي ليس بعده نبي)[4]. وعلى كل هذه الأحوال فانها لا تتأثر بأي منها الا أنها ان كانت من كلام رسول الله ﷺ لم نحتج الى بحث عن تفسيرها من مصدر آخر ولذا فاننا سنحملها على كل واحدة من هذه الاحتمالات الثلاث :

فان كانت من كلام رسول الله ﷺ لم نحتج عن بحث عن معناها كما تقدم آنفا.

وان كانت من كلام الصحابي الراوي فهو أعرف الناس بمراد رسول الله ﷺ.

وان كانت من كلام الزهري فهو عالم ثقة وهو أعرف بما يروي.

○ وهذا المعنى لكلمة العاقب هو ما تشهد له اللغة وأكده العلماء في مصنفاتهم.

يقول ابن فارس ان كلمة (عقب : العين والقاف والباء أصلان صحيحان :

أحدهما : يدل على تأخير الشيء واتيانه بعد غيره **والأصل الآخر** يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة . وينقل عن الخليل أنه قال : (كل شيء يعقب شيئا فهو عقيبه كقولك خلف يخلف بمنزلة الليل والنهار اذا مضى أحدهما عقب الآخر)[5]. وذكر كذلك عن

---

(١) يقول ابن حجر في فتح الباري عن هذه الجملة : (وهو محتمل للرفع والوقف ج ٦ ص ٥٥٧)

(٢) في صحيحه ج ٤ ص ١٨٢٨

(٣) في صحيحه ج ٤ ص ١٨٢٨

(٤) المسند ج ٤ ص ٨٤

(٥) معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٧٧

الخليل أنه قال : (عاقبة كل شيء آخره)[1] و(عقبت الرجل صرت عقبه)[2] ثم قال ابن فارس : (ومنه سمي رسول الله ﷺ : «العاقب» لأنه عقب من كان قبله من الأنبياء عليهم السلام)[3] .

ويقول ابن منظور رحمه الله : ومن أسمائه ﷺ ـ العاقب أيضا ومعناه آخر الأنبياء)[4] .

هذا كلام أهل اللغـة.

* أما العلماء الآخرون من شراح السنة وغيرهم فهذه أقوالهم :
يقول الأبّي رحمه الله : (والعاقب آخر الرسل عليهم السلام أي أرسل عقبهم)[5] .

ويقول الزرقاني رحمه الله : (وأنا العاقب أي آخر الأنبياء) ونقل عن أبي عبيد أن كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب ولذا قيل لوالد الرجل بعده هو عقبه وكذا آخر الشيء) وقال أبو عبيد : (قال سفيان : العاقب : آخر الأنبياء). وقد تقدم قول مالك رحمه الله في ذلك[6] .

وقال ابن القيم : (والعاقب الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي فان العاقب هو الآخر فهو بمنزلة الخاتم ولهذا سمي العاقب على الاطلاق أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم)[7] .

ويقول الحاكم : (وأما عاقب فانه عقب الأنبياء)[8]. هذا معنى العاقب وهو آخر الأنبياء.

ب ـ وأما الحـاشـر :

فقول النبي ﷺ (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي) واضح في تفسيرها اذ

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٧٩
(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٨٠
(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٨٠
(٤) لسان العرب ج ١٢ ص ١٦٤
(٥) اكمال اكمال المعلم شرح صحيح مسلم جـ ٦ ص ١٤٣
(٦) شرح الزرقاني للموطأ ج ٤ ص ٤٣٥
(٧) زاد المعاد ج ١ ص ٢٣
(٨) المستدرك ج ٤ ص ٢٧٣

كون الناس يحشرون على عقبه ﷺ أنه لم يعد هناك بينه وبين الحشر نبي وإلا لما كان الناس يحشرون على عقبه أي بعده ﷺ.

ولذلك يقول الأبيّ : (فأما رواية على عقبي فمعناها على أثري أي لا نبي بعدي)[1] وقال النووي : (أنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي) (معناها يحشرون على أثري وزمان نبوتي ورسالتي وليس بعدي نبي)[2].

ويقول ابن حجر رحمه الله : (فلما كان لا أمة بعد أمته لأنه لا نبي بعده نسب الحشر اليه لأنه يقع عقبه — ﷺ —) ويذكر كذلك أن اخبار النبي ﷺ بأنه حاشر ان ذلك : (اشارة الى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة)[3].

ويقول الحاكم رحمه الله : (فأما حاشر فيبعث مع الساعة نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[4].

وأما قوله : (يحشر الناس على قدمي) فقال فيها الأبيّ : (وأما رواية قدمي فمعناها : على سابقتي من قوله تعالى : (لهم قدم صدق عند ربهم) أي سابقة خير ترجع الى ما فسرت به الأولى التي هي (على عقبي) أي — لا نبي بعدي)[5].

ج — وأمــا المقفـــى :

فيقول فيها ابن القيم رحمه الله : (وأما المقفى فكذلك[6] — وهو الذي قفى على آثار من تقدمه فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل وهذه اللفظة مشتقة من القفو يقال

---

(١) اكمال اكمال المعلم شرح صحيح مسلم ج ٦ ص ١٤٣
(٢) شرح النووي على مسلم ج ١٥ ص ١٠٥
(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٥٥٧
(٤) المستدرك ج ٤ ص ٢٧٣
(٥) اكمال اكمال المعلم ج ٦ ص ١٤٣
(٦) اشارة الى ما تقدم من قوله وهو : (واما الحاشر فالحشر هو الضم والجمع فهو الذي يحشر الناس على قدمه فكأنه بعث ليحشر الناس والعاقب الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي فان العاقب... كما سبق في تفسير العاقب.. وهنا يشير بقوله فكذلك الى هذا الكلام)

: قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس وقافية البيت. فالمقفى الذي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم)[1].

ه هذه هي بعض أقوال العلماء في معاني تلك الأسماء النبوية التي تؤكد قضية ختم النبوة وتقرره.. وذلك في ضمن الأساليب المتعددة لتأكيد هذه القضية وتقريرها في نفوس المسلمين.

... « **وبعـــد** »

فهذه خمسة وستون حديثا كلها صحيحة أو مقاربة لذلك ما عدا حديث سمرة رقم (٤١) الذي ذكر الهيثمي رحمه الله أن فيه من لم يعرفهم وان كان انما جيء به معتمدا على ما ثبت من الصحيح وأما ما عدا هذا فهي أحاديث كلها صالحة للاحتجاج ولأكثرها طرق عدة لو تتبعناها لبلغت عشرات الطرق.. أقول هذه الأحاديث التي رويت عن سبعة وثلاثين صحابيا كلها تؤكد عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية وأنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ ولا رسول.. مع ما تقدم من الآيات القرآنية المثبتة لذلك.

فهذه هي الأدلة النقلية أو بعض الأدلة النقلية التي وردت في الكتاب والسنة تثبت تلك العقيدة وتقررها بشتى الأساليب ومختلف العبارات بحيث لا تجد مناسبة من المناسبات الا ورسول الله ﷺ يعلن تلك القضية ويشهرها حتى ترك أمرها واضحا جليا لا يزيغ عنها الا هالك.

وسنرى فيما سيأتي ــ ان شاء الله موقف الصحابة من الخارجين عليها وما ورد عنهم في شأنها وكذلك علماء الأمة الاسلامية وحكامها من أولئك الذين أرادوا تمزيق الأمة والخروج على عقيدتها، عقيدة ختم النبوة بعد رسول الله ﷺ.

ج : ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في تأكيد عقيدة ختم النبوة

أولا : اجماعهم رضي الله عنهم على قتال المتنبئين :

أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال المتنبئين بعد وفاة رسول الله ﷺ ــ كما سيأتي ان شاء الله ــ وتسيير الجيوش اليهم ــ التي كان معظمها منهم ــ مع أن بعض المتنبئين لم يكونوا يدعون النبوة استقلالا وذلك ــ كمسيلمة ــ وانما كان يزعم الشركة في

(١) زاد المعـاد جـ ١ ص ٢٣

النبوة مع رسول الله ﷺ معترفا برسالته ولم ينجّه ذلك من سيوف الصحابة رضي الله عنهم.

فقد جاء في كتابه الذي بعثه الى رسول الله ﷺ : (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك. أما بعد : فاني قد أشركت في الأمر معك فان لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر ولكن قريشا قوم لا يعدلون)[1].

وكان مؤذنه الذي يؤذن له يشهد في أذانه بـ (أن محمدا رسول الله)[2]. كل ذلك لم يحل بين الصحابة رضي الله عنهم وبين قتاله وقتل عشرة آلاف من أتباعه واستباحة دمائهم وأموالهم ولو لم يكن مدعي النبوة كافرا حلال الدم لما فعل الصحابة رضي الله عنهم ذلك..

ولو كانوا غير معتقدين بختم النبوة وانتهائها بعد رسول الله ﷺ لما تعجلوا في ذلك ولطالبوا المتنبئين بالدليل على دعواهم تلك ليظهروها ان كانوا صادقين.. ولكنهم لم يفعلوا لأنهم يعلمون علم اليقين أنه لا نبيّ بعد رسول الله ﷺ.

وقد ذكر البغدادي رحمه الله أسباب تكفير بني حنيفة وبني أسد وأن من ذلك دعواهم نبوة مسيلمة وطليحة فقال :

(فأما المرتدون من بني حنيفة وبني أسد فانهم كفروا من وجهين أحدهما : اسقاط وجوب الزكاة والثاني دعواهم نبوة مسيلمة وطليحة)[3].

ثانيا : روايتهم لأحاديث الختم :

ثم انهم هم رضي الله عنهم الذين نقلوا لنا الأحاديث السابقة عن رسول الله ﷺ في ختم النبوة والتي بلغت حد التواتر ولم ينقل عن أحد منهم أنه خالف ذلك ولو كانت هناك أدنى شبهة عند أحد منهم لرويت لنا ولكنه لم يحدث ذلك، وقد بلغ عدد الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الختم سبعة وثلاثين صحابيا.

---

(١) البداية لابن كثير ج ٥ ص ٥١
(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٨٣
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣١

ثالثا : التصريح بختم النبوة في أقوالهم :

فقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال : (ان ناسا كانوا يؤاخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وان الوحي قد انقطع وانما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم...) رواه البخاري[1].

ولو كان ذلك غير معروف عند الصحابة رضي الله عنهم ـــ أي انقطاع الوحي ـــ لاعترض عليه أحدهم ولكنهم لم يفعلوا لعلمهم بصدق قوله رضي الله عنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه ـــ ما رواه عنه عطاء في تفسيره آية الختم السابقة أنه قال (ان الله تعالى لما حكم أن لا نبيّ بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا)[2].

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه لما سئل عن ابرهيم ابن النبي ﷺ قال : (مات صغيرا ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبيّ عاش ابنه ولكن لا نبيّ بعده) رواه البخاري[3] واحمد[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال : (كان ابراهيم ـــ يعني ابن النبي ﷺ ـــ قد ملأ الأرض ولو بقي لكان نبيا ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء) رواه احمد[5].

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان عنده رجل من أهل الكوفة فجعل يحدثه عن المختار ـــ والذي كان يزعم نزول الوحي عليه ـــ فقال ابن عمر رضي الله عنه ان كان كما تقول فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ان بين يدي الساعة ثلاثين دجالا كذابا) رواه احمد[6].

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٥١ بشرح فتح الباري

(٢) معالم التنزيل للبغوي ج ٦ ص ٥٦٥

(٣) في صحيحه ج ٨ ص ٥٤

(٤) المسند ج ٤ ص ٣٥٣

(٥) المسند ج ٣ ص ١٣٣ وابن مندة كما في فتح الباري ج ١٠ ص ٥٧٩ ـــ كما سيأتي ذلك في الفصل الرابع في مناقشة نبوة ابراهيم عليه السلام ابن النبي ﷺ ان شاء الله.

(٦) المسند ج ٢ ص ١١٧ وسيأتي له قول آخر في الباب الثالث

فهو رضي الله عنه يستنكر حدوث النبوة ويذكر الحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ ليعلم السامع أن النبيّ ﷺ قد حذر من أدعياء النبوة لأنه لا نبيّ بعده.

هذه بعض الأقوال الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك.

رابعا : تهكمهم رضي الله عنهم بالمتنبئين :

لما قدمت وفود بني حنيفة على الصديق قال لهم أسمعونا شيئا من قرآن مسيلمة فقالوا أو تعفينا يا خليفة رسول الله فقال لا بد من ذلك فقالوا كان يقول : (يا ضفدع بنت الضفدعين نقي لكم نقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين... الخ)[1].

وقد سفه الصديق رضي الله عنه عقولهم لتصديقهم لتلك الخرافات.

وكذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه سأل بعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن أسلامه فقال له : أخبرنا عما كان يقول طليحة من الوحي فقال انه كان يقول (الحمام واليمام والصرد الصوّام قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغنّ ملكنا العراق والشام)[2].

د ـــ أقوال علماء الأمة رضي الله عنهم في عقيدة الختم

تمهيـــــد :

بعد أن رأينا مكانة تلك العقيدة في القرن الأول على ضوء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وكذلك موقف الصحابة رضي الله عنهم من الخارجين عليها نعرض أقوال الأمة في ذلك من القرن الثاني الى اليوم لنرى مدى رسوخ هذه العقيدة في نفوس المسلمين وذلك على ضوء أقوال علمائهم الذين يؤكدون لنا أن ذلك أمر مجمع عليه ولا يسع أحدا الخروج عليه.

يقول البغدادي رحمه الله : (أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وأولهم آدم وآخرهم عند المسلمين محمد ﷺ)[3] وقال كذلك (كل من أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ أقرّ بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأقر بتأييد شريعته ومنع من نسخها)[4].

---

(١) البداية لابن كثير ج ٦ ص ٣٢٦
(٢) البداية لابن كثير ج ٦ ص ٣١٨
(٣) أصول الدين ص ١٥٩ والفرق بين الفرق ص ٣٣٢
(٤) أصول الدين ص ١٦٢

ويقول القاضي عياض : (أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبيّ بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص)[1] .

ويقول الغزالي رحمه الله وهو يرد على من زعم جواز مجيء نبيّ بعد نبيّنا محمد ﷺ : (ولكن الرد على هذا القائل ان الأمة فهمت بالاجماع من هذا اللفظ أي — قوله تعالى (وخاتم النبيين) — ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم مجيء نبيّ بعده أبدا وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون الا منكر الاجماع)[2] .

ويذكر القرطبي عند تفسير آية الختم قول ابن عطية وهو (هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة على العموم التام مقتضية نصا انه لا نبيّ بعده ﷺ)[3] .

ويذكر أبو المعين النسفي مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك فيقول : (وقال أهل السنة والجماعة (لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ يدل عليه قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وقوله عليه السلام لا نبي بعدي)[4] .

وهكذا نرى أن الأمة الاسلامية قد أجمعت على تلك العقيدة من صدر الاسلام الى اليوم ولم ينقل عن أحد من علماء الأمة خلاف ذلك، بل كلهم يصرحون بها ويتوارثون رفع لوائها جيلا بعد جيل وزمنا بعد زمن، فلم يخل قرن واحد من رافع للوائها ومذكّر بها كما سنرى فيما سيأتي من أقوالهم.

فهذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني يقول في احدى خطبه بعد توليه الخلافة (أيها الناس : انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد عليه السلام واني لست بقاض ولكني منفذ واني لست بمبتدع ولكني متبع...) الى آخر كلامه رحمه الله. كما رواه عنه ابن كثير[5] وكذلك الدارمي[6]، والشاطبي[7] وغيرهم.

---

(١) الشفاء ج ٢ ص ٢٧١
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص ٢٢٥
(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٩٦
(٤) بحر الكلام مخطوطة
(٥) البداية ج ٩ — ص ١٩٩
(٦) السنن ج ١ ص ١١٥
(٧) الاعتصام ج ١ ص ١٠١

وهذا أبو حنيفة رحمه الله — وقد تنبأ رجل في زمنه وطلب الامهال حتى يجيء بالعلامات — يقول عند ذلك (من طلب منه علامة فقد كفر لقوله ﷺ «لا نبي بعدي»)[1].

ويقول أبو يوسف — يعقوب بن ابراهيم — : (اذا خرج متنبيء وادعى النبوة فمن طلب منه الحجة يكفر لأنه أنكر النص وكذلك لو شك فيه)[2].

ويقول محمد بن محمد الماتريدي : (ثم من حكم الله أن يختم بمحمد عليه السلام النبوة وأن لا يرسل الى أمته بعده رسولا جعل أمته بحيث لا يحتمل تغير الأمور الجسيمة ومنّ عليهم بكتاب حفظه يعلم به التغيير والتبديل فتبقى شريعته الى فناء العالم)[3].

ويقول احمد بن محمد بن سلامة الطحاوي : (وأنه خاتم الأنبياء وإمام الاتقياء وسيد المرسلين وكل دعوة بعده فغي وهوى)[4].

ويقول أبو بكر الطيب الباقلاني : (ويجب أن يعلم أن نبينا محمدا ﷺ مبعوث الى كافة الخلق وأن شرعه لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه)[5].

ويقول عبد الجبار بن احمد : (فانا نعلم من دينه ضرورة أنه آخر الرسل وخاتم الأنبياء)[6].

وذكر القاضي عياض تكفير (من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده)[7].

ويقول ابن تيمية رحمه الله : (ولما كان محمد ﷺ رسولا الى جميع الثقلين جنّهم وانسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء لا نبيّ بعده كان من نعم الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه)[8].

---

(١) مناقب الامام الأعظم أبي حنيفة جـ ١ ص ١٦١ للموفق احمد المكي
(٢) بحر الكلام لأبي المعين النسفي — مخطوطة غير مرقمة / ص ٥٧ / بعدي أنا
(٣) كتاب التوحيد ص ١٩٨
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٥
(٥) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٢
(٦) شرح الأصول الخمسة ص ٥٨٢
(٧) الشفاء ج ٢ ص ٢٧٠ — ٢٧١
(٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٤ ص ٦٣

ويقول ابن خلدون وهو يتحدث عن معاني الخاتم يقول (ويطلق على النهاية والتمام ومنه الأمر اذا بلغت آخره وختمت القرآن ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمر)[١].

ويقول شارح الطحاوية — علي بن محمد بن العز — : (لما ثبت أنه خاتم النبيين علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب)[٢].

ويقول زين الدين بن نجيم : (اذا لم يعرف — أي المسلم — أن محمداً آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات)[٣].

ويقول القسطلاني : (ان الوحي منقطع بموته ﷺ)[٤]. ويقول سعد الدين التفتازاني : (قد دلت النصوص وانعقد الاجماع أنه مبعوث الى الناس كافة بل الى الثقلين لا الى العرب خاصة وأنه خاتم النبيين لا نبيّ بعده ولا نسخ لشريعته)[٥].

ويقول اسماعيل حقي في تفسيره روح البيان عند قوله تعالى : «وخاتم النبيين» (وكان آخرهم الذي ختموا به)[٦].

هذه بعض الأقوال التي وردت زيادة على كلام المفسرين الذي ورد تفسيرا للآية الكريمة وكذلك المحدثين الذين رووا تلك الأحاديث الدالة على الختم في مصنفاتهم وكذلك علماء اللغة الذين سبق كلامهم في أول هذا البحث أثناء ذكرهم لمعنى خاتم، وبتتبع سنيّ وفاتهم نجد أنه لم يخل قرن من القرون من أوائل القرن الثاني — بعد قرن الصحابة — الى اليوم الا ولهذه العقيدة من يعلنها ويرفع رايتها وسنضع بين يدي القارىء أولئك الاعلام في ترتيب زمني مع ذكر سنيّ وفياتهم ليكون ذلك أكثر وضوحا على ما ذكر هنا :

في القرن الثـــاني :

عمر بن عبد العزيز — ت — ١٠١ هـ والحسن بن يسار البصري — ١١٠ — هـ وقتادة بن دعامة — ١٨٨ — و محمد بن مسلم الزهري — ١٢٤ وأبو حنيفة — ١٥٠ —

---

(١) المقدمة ٢٦٤
(٢) شرح الطحاوية ص ٩٥
(٣) الاشباه والنظائر ص ١٣٨
(٤) ارشاد الساري ج ١٠ ص ١٢٨
(٥) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٩١
(٦) روح البيان ج ٣ ص ١٢٢

ومقاتل بن سليمان — ١٥٠ — والخليل بن احمد — ١٧٠ — وأبو يوسف — ١٨٢ — ومالك بن أنس — ١٩٩.

في القرن الثالث :

عبد الله بن الزبير الحميدي — ٢١٩ — واحمد بن حنبل — ٢٤١ — وعبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي — ٢٥٥ — ومحمد بن اسماعيل البخاري — ٢٥٦ — وعلي بن سيدة — ٢٥٨ — ومسلم بن الحجاج — ٢٦١ — وابن ماجة — ٢٧٣ — وأبو داود سليمان ابن الاشعث — ٢٧٥ — ومحمد بن سورة الترمذي — ٢٧٩.

في القرن الرابع :

احمد بن شعيب النسائي — ٣٠٣ — ومحمد بن جرير الطبري — ٣١٠ — ومحمد ابن محمد الماتريدي — ٣٣٣ — واحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي — ٣٢١ — وعبد الله ابن عطية — ٣٨٣ — واحمد بن فارس — ٣٩٥.

في القرن الخــامس :

احمد بن محمد الجوهري : ٤٠١ و أبو بكر بن الطيب الباقلاني — ٤٠٣ و أبو عبد الله الحاكم النيسابوري — ٤٠٥ — وعبد الجبار بن احمد — ٤١٥ — وعبد القاهر ابن طاهر البغدادي — ٤٢٩ — ومحمد بن علي بن حزم — ٤٥٦ — والقاضي عياض — ٤٧٦ — والراغب الأصفهاني — ٥٠٢.

القـــرن الســادس :

محمد بن محمد الغزالي — ٥٠٥ — و ميمون بن ميمون بن محمد النسفي — ٥٠٨ — والحسن بن مسعود البغوي — ٥١٦ — ومحمود بن عمر الزمخشري — ٥٢٨ — وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي — ٥٣٨ — ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني — ٥٤٨ — وعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي — ٥٩٧.

القـــرن الســابع :

الفخر الرازي — ٦٠٦ — ومحمد بن احمد القرطبي — ٦٧١ — ويحي ابن شرف العوذي — ٦٧٦ — وناصر الدين البيضاوي — ٦٨٥.

القـــرن الثـــامن :

عمر بن محمد النفسي ـــ ٧٠١ ـــ ومحمد بن مكرم بن منظور ـــ ٧١١ ـــ واحمد ابن عبد الحليم بن تيمية ـــ ٧٢٨ ـــ والحسن بن محمد القمي النيسابوري ـــ ٧٢٨ ـــ وعبد الرحمن بن خلدون ـــ ٧٣٢ ـــ وعلاء الدين علي بن محمد الخازن ـــ ٧٤١ ـــ ومحمد بن جزي الكلبي ـــ ٧٤١ ـــ ومحمد بن يوسف بن حيان ـــ ٧٤٥ ـــ وعلي ابن محمد بن العز ـــ ٧٤٦ ـــ وابن القيم الجوزية ـــ ٧٥١ ـــ والفيومي ـــ ٧٧٠ ـــ واسماعيل ابن كثير ـــ ٧٧٤ ـــ وسعد الدين التفتازاني ـــ ٧٩١ ـــ وجلال الدين الحلي ـــ ٧٩١.

القـــرن التـــاسع :

عبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي ـــ ٨٠٢ ـــ وعلي بن أبي بكر الهيثمي ـــ ٨٠٧ ـــ ومحمد بن خلفة الأبيّ ـــ ٨٢٧.

القـــرن العـــاشر :

جلال الدين السيوطي ـــ ٩١١ ـــ وزين الدين بن نجيم ـــ ٩٧٠ ـــ والخطيب الشربيني ـــ ٩٧٧ ـــ وأبو السعود بن محمد بن العماد ـــ ٩٨٢.

القـــرن الحادي عشر :

محمد بن عبد الباقي الزرقاني ـــ ١٠٥٥.

القـــرن الثاني عشر :

اسماعيل حقي افندي ـــ ١١٢٧ ـــ ومحمد بن احمد الفارسي ـــ ١١٨٨.

القـــرن الثالث عشر :

محمد بن علي الشوكاني ـــ ١٢٥٠ ـــ ومحمود الألوسي البغدادي ـــ ١٢٧٠.

القـــرن الرابع عشـــر :

محمد بن جلال الدين القاسمي ـــ ١٣٣٢ ـــ وسيد قطب ١٣٦٦ هـ.

○ هؤلاء هم أعلام الأمة وعلماؤها قد حملوا راية الحق جيلا بعد جيل حتى بلغتنا واضحة نقية ولم يمر جيل واحد من غير أن يكون فيه من يحمل تلك الراية.. منهم المفسر لكتاب

الله عز وجل ومنهم الراوي لحديث رسول الله ﷺ ومنهم الباحث في أصول العقائد ومنهم غير ذلك.. ولو تتبعناهم جميعا لما وسعهم هذا الجزء من البحث اذ الرواة للحديث وشراحه فقط يبلغون مئات الأشخاص، هذا سوى المفسرين للقرآن الكريم والعلماء الآخرين، ولكنا نكتفي بهذا القدر منهم بحيث لم نترك قرنا من القرون المتقدمة حتى أثبتنا بعض علمائه الباحثين أو الذاكرين لعقيدة الختم ليكون ذلك واضحا في أذهان الأمة لئلا يجد أعداؤها المتربصون بها مدخلا الى تلك العقيدة فيصرفوها عن دينها وشريعة ربها...

هـ ــ موقف الأمة الاسلامية من المتنبئين

لما كان ادعاء النبوة بعده ﷺ أمرا منكرا وغير مقبول لدى الأمة الاسلامية بعد أن أخبرها الله سبحانه وتعالى بأن محمدا خاتم النبيين وأكد ذلك المعنى رسول الله ﷺ بشتى الأساليب كما تقدم، لما كان ذلك كذلك فقد كانت كل دعوة للنبوة بعده ﷺ تقابل بالحرب والقتل أو بالاستنكار الشديد أو بالتهكم والسخرية وذلك حسب شكلها وحجمها الذي تظهر به.

فان برزت تلك الدعوى في صورة جادة وكان لصاحبها من الوسائل والشعوذة ما يتمكن به من اقناع بعض الناس بدعواه تلك واستطاع أن يجمع حوله أحدا من الأتباع فانه عند ذلك يقابل بالجدّ والحزم وتستأصل شأفته وتقتلع جرثومته، لئلا يتأثر به عوام المسلمين الذين ليس لديهم من العلم ما يحميهم من تلك الدعاوى الباطلة.

وأول تلك الأحداث ما جرى للصحابة رضي الله عنهم مع المتنبئين الأربعة الذين حاربوهم وقتلوا بعضهم، ومع أن مسيلمة قد أظهر ادعاء النبوة في عهد رسول الله ﷺ كما سيأتي فلم يقاتله النبي ﷺ لعدم اجتماع الناس عليه حينذاك وأرسل الى الأسود وطليحة من يقاتلهما عندما برزت دعوتاهما الى واقع عملي حيث أعلنوا نبوتيهما وأخذا في تجميع الناس حولهما. وكذلك المتنبئون بعدُ بدءاً بالمختار بن عبيد الثقفي ومرورا بالمتنبئين في عهدي الخلافتين الأموية والعباسية والى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالمختار حاربه ابن الزبير حتى قتله، والحارث بن سعيد، والمغيرة بن سعيد، وبيان ابن سمعان ادعوها في عهد هشام بن عبد الملك فقتلهم، وادعاها كذلك أبو الخطاب في زمن المنصور فقتله. وهكذا مصير كل من ادعاها والتف حوله أتباع وأنصار.

وفي عهد المتوكل ظهر رجل يقال له : «محمود بن الفرج النيسابوري» فزعم أنه نبي، وأنه ذو القرنين وتبعه سبعة وعشرون رجلا، وخرج من أصحابه ببغداد رجلان بباب العامة، وآخران بالجانب الغربي، فأتي به وبأصحابه المتوكل، فأمر به فضرب ضربا شديدا، وحمل الى باب العامة فأكذب نفسه وأمر أصحابه أن يضربه كل رجل منهم عشر صفعات ففعلوا وأخذوا له مصحفا فيه كلام قد جمعه وذكر أنه قرآن وأن جبرائيل نزل به ثم مات من الضرب في ذي الحجة سنة ٢٣٥ وحبس أصحابه)[١].

وفي سنة ٣٢٢ ظهر بباسند من أعمال الصغانيان رجل يدعى النبوة واتبعه خلق كثير وكان صاحب حيل ومخاريق فأنفذ اليه أبو علي بن محمد بن المظفر جيشا حاربوه حتى قبضوا عليه وقتلوه وقتلوا خلقا كثيرا ممن اتبعه وآمن به[٢].

وفي أوائل القرن الثامن ادّعى شخص من الفقراء النبوة بمدينة مالقة بالأندلس في زمن السلطان ابن الأحمر فقتله وصلبه الى أن تناثر لحمه.[٣]

وذكر الشاطبي رحمه الله انه كان في عصره بمدينة مالقة رجل اسمه الفازازي ادّعى النبوة واستظهر عليها بأمور موهمة للكرامات والاخبار بالمغيبات ومخيلة الخوارق والعادات وأنه أخذ ينظر في قوله تعالى (وخاتم النبيين) وهل يمكن تأويله ؟ وجعل يطرق اليه الاحتمالات ليسوغ امكان بعث نبي بعد محمد ﷺ وذكر أنه قتل وان مقتله كان على يد الشيخ أبي جعفر بن الزبير رحمه الله[٤].

هذا موقف الأمة من المتنبئين قديما ولا يقل موقفهم من المتنبئين المحدثين عن تلك المواقف وذلك كالباب والبهاء والقادياني حيث طاردوهم وأعلنوا كفرهم وكان نهاية بعضهم القتل والآخر التشريد أو المحاصرة والمقاطعة لعدم وجود الخلافة المسلمة المعاقبة.. وسيأتي كل ذلك ان شاء الله في الأبواب القادمة.

وأما ان كان مدعي النبوة شخصا أحمق لا يخشى على العامة منه لعدم كياسته وفطنته أو لافلاسه من وسائل الدجل والشعوذة فانه يقابل بالسخرية والتهكم وقد حفظت لنا كتب التواريخ والأدب طرفا من تلك الأخبار ضمن أبواب النوادر والفكاهات.

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٥٠ وابن الوردي ج ١ ص ٢٣٥
(٢) الكامل ج ٨ ص ٢٨٩ لابن الأثير
(٣) البحر المحيط ج ٧ ص ٢٣٦١
(٤) الاعتصام ج ٢ ص ٢٦٣

يقول صاحب نهاية الأرب : (باب المجون والنوادر والفكاهات والملح)[1] وذكر تحت هذا الباب اخبار المتنبئين كمادة من مواد الفكاهة والنوادر. ومثله فعل صاحب العقد الفريد حيث قال : (كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين) ثم ذكر أن في أخبار هؤلاء (حدائق مؤنقة ورياضا زاهرة لما فيها من طرفة ونادرة)[2].

وسنذكر نماذج من تلك الأخبار التي ذكروها لما تدل عليه من تهكم الأمة بأولئك الممرورين :

ففي زمن المهدي جيء اليه برجل فقال له الى من بعثت فقال :

(ما تركتموني أذهب الى من بعثت اليهم فاني بعثت بالغداة وحبستموني بالعشي. فضحك المهدي وأمر له بجائزة وخلى سبيله).[3]

وفي زمن المأمون ادعت امرأة النبوة فأحضرت اليه فقال لها : من أنت ؟ قالت فاطمة النبية، فقال لها المأمون أتؤمنين بما جاء به محمد ﷺ ؟ قالت نعم كل ما جاء به فهو حق. فقال المأمون فقد قال محمد ﷺ : (لا نبي بعدي) قالت صدق عليه الصلاة والسلام فهل قال لا نبية بعدي ؟ فقال المأمون لمن حضره أما أنا فقد انقطعت فمن كانت عنده حجة فليأت بها وضحك حتى غطى على وجهه.[4]

وادعى رجل النبوة فقيل له : ما علامات نبوتك ؟ قال : أنبئكم بما في نفوسكم قالوا : فما في نفوسنا ؟ قال : في أنفسكم أنني كذبت ولست بنبي)[5].

وتنبأ رجل وادعى أنه موسى بن عمران فبلغ خبره الخليفة فأحضره وقال له من أنت قال أنا موسى بن عمران الكليم قال : وهذه عصاك التي صارت ثعبانا قال نعم قال فألقها من يدك ومرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى قال : قل أنت أنا ربكم الأعلى كما قال فرعون حتى أصيّر عصاي ثعبانا كما فعل موسى فضحك الخليفة منه واستظرفه وأحضرت المائدة فقيل له :

---

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ١

(٢) العقد الفريد ج ٧ ص ١٣٦

(٣) نهاية الأرب ج ٤ ص ١٤ — ١٥

(٤) نهاية الأرب جـ ٤ ص ١٤ — ١٥

(٥) نهاية الأرب ج ٤ ص ١٥ والعقد الفريد ج ٧ ص ١٤٠

أكلت شيئا فقال : ما أحسن العقل لو كان لي شيء آكله ما الذي كنت أعمل عندكم ؟ فأعجب الخليفة وأحسن اليه.[1]

فهذه بعض تلك النوادر التي سجلتها كتب الأدب مع أخبار أخرى كثيرة من نوعها، وهي توحي لنا بأمور عدة.

منها ما كان يلاقيه أدعياء النبوة في أوساط المتعلمين في المجتمع الاسلامي من التهكم والازدراء.

ومنها بعض الأسباب التي دفعتهم لتلك الحماقات المضحكة كقول أحدهم : (لو كان لي شيء آكله ما الذي كنت أعمل عندكم).

ومنها رسوخ عقيدة ختم النبوة في نفوس الأمة كما يدل عليه استحضار المأمون حديث (لا نبيَّ بعدي).

ومنها أن دعوى التنبؤ كانت تقابل بالتهكم كما رأينا في جميع القصص المثبتة سابقا وما كان يقابل به بعض المتنبئين من الضحك من حجته واستدلاله لصدق ادعائه كما سبق من ضحك المأمون حتى غطى على وجهه.

ومنها نظرة علماء الأمة الى أمثال تلك الدعاوى على أنها فكاهات ونوادر ولم يهتموا بالبحث في صدق شيء منها لعلمهم بعدم ظهور نبوة جديدة بعد محمد ﷺ.

هذان موقفان للأمة الاسلامية من أدعياء النبوة تلمح فيهما مدى رسوخ تلك العقيدة في نفوسهم وعدم الانخداع بتلك الدعاوي الضالة.

و ــ شواهد الختم من الكتب السابقة

رغم التحريف الذي اعترى كتب الأديان السابقة سواء في المعنى أم في اللفظ فان المطّلع عليها من المسلمين يرى أن بها بعض الحقائق التي يصدقها القرآن الكريم ويقوّيها أو تصدقها السنة النبوية وتشرحها.. ومع ذلك فان المسلم لا يعتمد عليها في اثبات أمر أو نفيه اذ عدم سلامتها من التحريف قد حطّ من مكانتها العلمية وبالتالي فلا تقوم بها حجة ــ

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ١٥

بمفردها ـ ولا تبنى عليها عقيدة وانما نستأنس بها هنا استئناسا ولنعلم أن خاتمية رسولنا ﷺ للأنبياء قبله وكونه آخرهم فلا نبيّ بعده أمر قد أخبرت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم قبل مجيئه كما بشّرت بمجيئه كلاهما سواء.

أولا : الشواهد من العهد القديم :

١) في سفر أشعيا (لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبديا رئيس السلام لنموّ رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضّدها بالحق والبر من الآن الى الأبد)[١].

هذه أوصاف النبي الذي وعد الله بارساله في الترجمة الحديثة من العهد القديم الا أن ابن تيمية رحمه الله ذكر في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن ترجمة تختلف عن هذه الترجمة بعض الاختلاف فيقول (ان غلاما ولد لنا أعطيناه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه ويدعى اسمه ملكا عظيم المشية مسيرا عجيبا إلها قويا مسلطا رئيس السلام في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء).

وكلا النصين يشتركان في اثبات خاتم النبوة الذي بين كتفيه وكون رياسته وسلطانه أبديا ليس له فناء أي ثابت لا ينسخ اذ لا نبيّ بعده ينسخه أو يغيره ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله في شرح المعنى الأول (المراد بها محمد ﷺ فانه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين :

من جهة أنّ خاتم النبوة على بعض كتفيه وهو علامة من أعلام النبوة الذي أخبرت به الأنبياء وعلامة ختمهم ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه)[٢].

ثم قال : (في كل الدهور سلطانه كامل ليس له فناء) وهذا صفة خاتم الرسل الذي لا يأتي بعده نبيّ ينسخ شرعه وسلطانه بالحجة واليد كامل لا يحتاج فيه الى استعانة بشرع آخر وشرعه ثابت باق الى آخر الدهر)[٣].

---

(١) العهد القديم سفر أشعيا الاصحاح التاسع فقرة ٦ ـ ٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص ٢١٣

(٣) المرجع السابق ص ٢١٤

وفي نص أشعيا السابق ذكر الأبدية مرتين (ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها أبديا رئيس السلام) وفي آخر النص (ويعضدها بالحق والبرّ من الآن الى الأبد). والفارق بين النصين أن النص الأول وهو الترجمة الحديثة للتوراة زيد فيه (على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر) وهذه الزيادة لكي يقيدوا هذه البشارة فيهم على كرسي داود ومملكته... ونحن نعتقد أن هذا النص أراد محمدا ﷺ للسببين اللذين ذكرهما ابن تيمية رحمه الله.

والنصارى تدّعي أن ذلك النص يراد به عيسى عليه السلام ولكن ابن تيمية رحمه الله يرد عليهم كما مضى اذ عيسى عليه السلام ليس بين كتفيه علامة نبوته ولا على عاتقه لأنه لم يحمل السيف.

٢) من سفر دانيـــال :

ذكر في هذه السفر أن نبوخذ نصّر — أي بختنصر — رأى رؤيا أفزعته ثم نسيها فطلب من المجوس والسحرة والعرّافين والكلداتيين أن يخبروه بتلك الرؤيا وتأويلها فعجزوا فأمر بقتلهم فطلب دانيال أن يمهلوهم ليسأل الله أن يخبره بها في المنام فتم له ما أراد وذهب الى الملك وأخبره برؤياه تلك وأنها تتعلق بمراحل الملك وخلفاء الملك وفي آخرها (وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهي تثبت الى الأبد)[١] وقد أورد الماوردي وابن تيمية رحمهما الله هذه القصة مع شيء من التغيير في الألفاظ. وذيلها الماوردي رحمه الله بقوله : (ومعلوم أنه لم يرسل الله تعالى سلطانا أزال به الممالك وملأ به الأرض ودام له الأمر إلا بنبوة محمد ﷺ)[٢].

ويقول ابن تيمية رحمه الله في ذلك : (فهذا بعث محمد ﷺ لا بعث المسيح فهو الذي بعث بشريعة قوية دون جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته في مشارق الأرض ومغاربها)[٣].

وهم وان كان سلطانهم المادي قد ضعف اليوم وتخلخل إلّا أنّ الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ لا يزال قائما محفوظا وسيبقى الى الأبد لا ينازعه دين آخر صحيح ولعل هذا

---

(١) بشائر دانيال : الاصحاح الثاني من فقرة ١ — الى فقرة ٤٦ من ص ١٢٦٤

(٢) اعلام النبوة ص ١٣٦

(٣) الجواب الصحيح / ٤ : ٤/

هو المراد ببقائه الى الأبد هذا اذا كانت الترجمة والنصوص الأصلية لم تحرّف.. أما ان كانت محرفة فيكفينا اشتراك هذه الأسفار قديمها وحديثها في التبشير بنبيّ يبقى سلطانه الى الأبد وليس ذلك الا للاسلام كما رأينا من قبل.

ثانيا : العهد الجديد وانجيل برنابا :

١) في انجيل برنابـــا :

٥ ــ ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيّ وسيمتدّ دينه ويعمّ العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ــ ٦ ــ وأن ما يعزّيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحا ــ ٧ ــ أجاب الكاهن : أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟ ــ ٨ ــ فأجاب يسوع لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله ــ ٩ ــ ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني.[1]

٢) في انجيل يوحنا

(١٥ ــ ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ــ ١٦ ــ وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد)[2].

ورواه كذلك ابن تيمية رحمه الله مع اختلاف يسير وبدل كلمه معزى عنده (فارقليط)[3] والمعنى واضح وهو أن عيسى يدعو الله أن يرسل لهم من يعلّمهم ويحفظ لهم دينهم وأنه يمكث معهم الى الأبد وهذا اشارة الى بقاء دينه وشريعته وهذا ما أراد عليه الصلاة والسلام لا انه أراد بقاء الشخص المرسل بشخصه بينهم الى الأبد.

وبقاء دينه يعني انتفاء مجيء أنبياء أو رسل بعده ﷺ. وفي بشائر أرميا بن برخنا من أنبياء بني اسرائيل في أيام بختنصر : أن بختنصر لما غزا العرب وصل الى تهامة فأتى بمعد ابن عدنان فأمر بقتله فقال له النبي ــ الذي كان معه ــ (لا تفعل فان في صلب هذا نبيا يبعث في آخر الزمان يختم الله به الأنبياء)[4].

---

(١) انجيل برنابا الفصل ٩٧ من فقرة ٥ الى آخر ٩

(٢) الاصحاح الرابع عشر

(٣) الجواب الصحيح / ٤ : ٦ ــ ٧ /

(٤) اعلام النبوة ص ١٣٦

ونحن لم ننقل غير هذه القصة من المصادر الاسلامية مستقلة اذ لا داعي للاستكثار من ايراد الشواهد التي لا نجدها في أصولها زد على ذلك عدم توقّف اعتقاد المسلم على أمثال هذه الشواهد التي لا ترتفع الى درجة الاحتجاج وانما أوردت ذلك كما قلت سابقا للاستئناس ببقايا الكتب السابقة والتي لم تتمكن عوامل التحريف من طمسها بالمرة فبقيت في ثناياها بعض الحقائق التي يقوّيها ورود أمثالها في القرآن أو السنة النبوية الصحيحة، وأما ما عداها فلا تصلح للاستدلال ولا للاستشهاد والاستئناس.

* هذه هي الأدلة النقلية من القرآن الكريم
والسنة النبوية
واجماع الصحابة رضي الله عنهم.
واجماع الأمة الاسلامية من بعد
وأخيرا تلك الشواهد الواردة في الكتب السابقة.

كلها تؤكد عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية وتقررها بحيث لم يبق ثغرة يستطيع أحد أن يدخل منها الى إبطال تلك العقيدة أو التشكيك في صحتها لأنها قد تواترت على اثباتها جميع الأدلة حتى عدت جزء أساسيا من عقيدة المسلمين لا يستطيع أحد أن يردها أو يكذب بها وإلا عرّض نفسه للقتل والكفر كما رأينا ذلك من قبل.

وسيأتي في الفصلين القادمين ــ ان شاء الله ــ بعض خصائص الرسالة المحمدية وبعض خصائص الأمة الاسلامية التي تؤكد هذه العقيدة وتثبيتها.

الفصل الثالث

خصائص الرسالة المحمدية ودلالتها على ختم النبوة

تمهيد :

أ ـ خصائص الرسالة المحمدية مقارنة بالرسالات الأخرى

ب ـ بعض الخصائص الأخرى للاسلام ودلالتها على الختم

تمهيـــــد :

عرضنا فيما مضى الأدلة النقلية الدالة على عقيدة ختم النبوة التي تميزت بها رسالة الاسلام عن بقية الرسالات الأولى.. وفي تلك الأدلة النقلية الحجة التامة والدليل القاطع على صحة تلك العقيدة ورسوخها في فكر الأمة الاسلامية وواقعها.

ولما كانت الشريعة الاسلامية تحمل من الخصائص ما يؤكد ختميتها فإنّا نقوم ـــ في هذا الفصل ـــ بدراسة لبعض تلك الخصائص مقارنة بالرسالات السابقة قبل الاسلام والتي كانت خاصة مؤقتة ليتضح ما تميزت به هذه الرسالة المحمدية من المميزات الفريدة التي تدل على خاتميتها ودوامها.

والناظر في خصائصها ومميزاتها يرى أنها قد وضعت على أساس الاستيعاب والشمول لكل الأحداث البشرية التي تطرأ وتجدّ في ظل الحق والعدل بحيث لا يحتاج البشر في واقعهم الى شريعة سواها بديلا أو معينا لها.

ولما كانت هذه الشريعة تحتاج الى حفظ ورعاية على مدى الزمن فقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظها وهيأ لها من يقوم بأمرها ورعايتها من الأمة الاسلامية نفسها.

هذه الجوانب وغيرها مما يمكّن الشريعة ويعطيها القدرة على الدوام والاستمرار قد روعيت في هذه الرسالة الخالدة والتي قد ثبتت على مدار التاريخ الى اليوم وهي تؤدي دورها في كل مرحلة من مراحل الحياة البشرية تستلهم فيها هذه الرسالة ويتنزل على أمرها سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات لأنها تشريع رب البشر وخالقهم : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[1].

---

(١) سورة الملك آية ١٤

أ ـــ خصائص الرسالة المحمدية مقارنة بالرسالات الأخرى

الباحث في الرسالات الأولى قبل الاسلام يرى أنها لم تحمل من الخصائص ما يؤهلها للبقاء والاستمرار مما كان سببا في تتابع الرسالات يعقب بعضها بعضا كلما استنفدت الرسالة الأولى أغراضها أو تعرضت للطمس والتحريف. وبعقد مقارنة موجزة بين الرسالة الاسلامية وتلك الرسالات في تلك الجوانب يتضح لنا مدى ما تحمله هذه الرسالة من عناصر الخلود والبقاء الى أن يرث الله الأرض والسماء.

وسنكتفي هنا بعقد المقارنة في الأمور التالية :

١) أسلوب كل من الاسلام والرسالات السابقة.
٢) معجزة الاسلام ومعجزات الرسالات السابقة.
٣) مدى حفظ كل من القرآن والكتب السابقة.
٤) طبيعة التشريع بين الاسلام والرسالات السابقة.

ولعل ذلك يعيننا على فهم مدى ما تحمله هذه الرسالة من مميزات تؤهلها للخاتمية.

أولا : أسلوب كل من الاسلام والرسالات السابقة :

لقد كان أنبياء الرسالات السابقة يخاطبون في رسالاتهم الأمم التي بعثوا فيها فقط اذ كان كل نبيّ ينادي بدعوته قومه وحدهم وذلك ما حدّثنا عنه القرآن الكريم حيث أخبر عز وجل أن كل نبيّ كان يقول لقومه : (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) [١] فلا تشمل دعوته بقية الأقوام الآخرين كما سبق في الحديث : (وكان النبيّ يبعث الى قومه خاصة) [٢].

هذا ما تقرره الأصول الاسلامية من القرآن والسنة ولو بحثنا في أصول الأديان السابقة والتي لا تزال بعض أصولها النظرية موجودة لدينا ـــ مع ما تحمله من التحريف ـــ لو بحثنا فيها لرأينا أنها لا تعدو نصوصها ذلك الأسلوب الخاص.

فالتوراة مثلا انما تخاطب عباراتها بني اسرائيل فقط ولا ترى فيها غير ذلك واستمع الى بعض نصوصها حيث تقول : (١ ـــ وكلم الرب موسى قائلا ٢ ـــ كلم بني اسرائيل وقل لهم أنا الرب الهكم) [٣].

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٩ ـــ ٦٥ ـــ ٧٣ ـــ ٨٥
(٢) الأدلة النقلية
(٣) التوراة ـــ سفر اللاويين ـــ الاصحاح ١٦ ـــ / ١ ـــ ٢

٥ وفي الانجيل : (٢٤ — لم أرسل إلا الى خراف بيت اسرائيل الضالة)[١].

وقال لرسله الاثنى عشر الذين أرسلهم للتبشير والدعوة : (٥ — الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا — ٦ — بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة)[٢].

وهكذا كانت الرسالات السابقة انما تخاطب أقواما بأعيانهم ثم يبقى غيرهم محتاجا الى رسالات أخرى تعقبها أو تعاصرها لتصل دعوة الله سبحانه الى بقية خلقه كما قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا)[٣] وقال سبحانه : (وان من أمة الا خلا فيها نذير)[٤].

٥ أما الرسالة الاسلامية :

فقد نهجت منهجا آخر وهو أسلوب العموم الذي يشمل الناس جميعا فقد خاطب رسول الله ﷺ الناس من أول أمره فقال : (يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا)[٥] — ولقد رأينا من قبل الآيات والأحاديث التي توضح ذلك وتبينه — وقال عليه الصلاة والسلام (وبعث إلى الناس كافة). وكل من الأسلوب القرآني والنبوي يخاطب الناس جميعا من غير تخصيص قوم دون قوم أو قبيلة دون أخرى وذلك يؤكد عموم الرسالة لكل البشر من غير قيد أو استثناء بخلاف الرسالات السابقة التي كانت محصورة في قوم بأعيانهم فلا تخاطب غيرهم، ولا تشرع لسواهم مما كان يستدعي رسالة أخرى تهدي غيرهم.

أما هذه الرسالة فليست كذلك لأنها تخاطب كل انسان، في كل عصر ومصر فلا حاجة اذن الى رسالة أخرى اذ لم يبق أحد محتاجا اليها.

---

(١) انجيل متى — الاصحاح ١٥ — فقرة ٢٤
(٢) المصدر السابق — الاصحاح ١٠ / فقرة — ٥ — ٦
(٣) سورة النحل آية ٣٦
(٤) سورة فاطر آية ٢٤
(٥) سورة الأعراف آية ١٥٨

ثانيا : معجزة الرسالات السابقة ومعجزة الاسلام :

لكل رسول يرسله الله عز وجل الى الناس آية يأتي بها مصدّقة لدعواه ومؤيدة له وتلك المعجزة تكون دائما فوق قدرة البشر وخارقة لما تعوّدوه في حياتهم وبذلك يفحمهم بها وتتقوّى حجته عليهم.

• وقد كانت المعجزات للرسالات السابقة كلها حسيّة مشاهدة تخاطب الحسّ البشريّ وتقهره وهي لا تتعدّى فترة زمنية بحيث تنتهي بانتهاء النبيّ الذي جاء بها :

فهذه معجزة صالح عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى : (والى ثمود أخاهم صالحا. قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربكم : هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم)[1] فهي مخلوق محسوس ينتهي بموته.

وهذه معجزة موسى عليه الصلاة والسلام : (قال ـــ أي فرعون ـــ ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين. فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين / ١٠٧ / ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين /١٠٨)[2] .

وهذه معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام : (ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين)[3] .

• أما معجزة الاسلام التي تحدّى بها البشر فهي غير ذلك فقد كانت معجزة تخاطب العقل البشري في كل مكان وزمان.. فهي معجزة ودعوة في آن واحد لا تنفك إحداهما عن الأخرى وتلك هي القرآن الكريم. يقول عليه الصلاة والسلام : (ما من نبيّ الا وأعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[4] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٧٣
(٢) سورة الأعراف آية ١٠٧ ـــ ١٠٨
(٣) سورة آل عمران آية ٤٩
(٤) رواه البخاري في صحيحه ج ٩ ص ١١٣ ومسلم في صحيحه ج ١ ص ١٣٤ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ

ولذلك فان القرآن الكريم أعظم المعجزات التي أيد الله بها رسوله لأنه معجزة دائمة باقية تتحدّى البشر على الاطلاق بما فيها من اعجاز اللفظ والمعنى.[1]

• هذه هي معجزات الأنبياء عليهم السلام التي رافقت دعواتهم لتكون سندا يدعمون به تلك الدعوات وهي كما ترى :

أ ـــ معجزات حسيّة : تعتمد في اقناعها على الحسّ والمشاهدة وهذا ما يمثله جميع المعجزات الأولى قبل الرسالة المحمدية.

ب ـــ معجزة عقلية تخاطب العقل البشري ـــ وهذا ما تفردت به الرسالة المحمدية.

ومن لوازم المعجزات الحسيّة :

١) أن المعجزة منقطعة الصلة عن الدعوة نفسها اذ تذهب المعجزة وتبقى الدعوة.[2]

٢) أنها تفقد قوة تأثيرها بانتهائها حيث تبقى رواية يتناقلها الأبناء عن الآباء ومن ثم لا تستطيع الأجيال العاقبة لذلك الجيل الأول الذي عاصر المعجزة أن تدرك بنفسها ربّانية الدعوة وصدق صاحبها فتحتاج البشرية كلما تطاول بها الزمن الى رسالة أخرى مدعمة بمعجزة أخرى... لأن المعجزة الحسيّة التي تختفي باختفاء صاحبها لا تملك الاقناع المستمر.

وفي هذا دلالة واضحة على أن تلك الدعوات لم يرد لها البقاء والاستمرار لأن سندها الأقوى غير باق ولا مستمر.. وبقاؤها دعوة مجردة من شواهد صدقها لا يؤدي الغرض من وجودها.

• أما المعجزة الاسلامية والتي يمثلها القرآن الكريم فهي معجزة دائمة باقية تحمل سرّ إعجازها ومضمون دعوتها في آن واحد.. وهي تؤدي دور الإعجاز ذلك في كل جيل من الأجيال البشرية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والإعجاز الذي يحمله القرآن الكريم له جانبان اثنان :

---

(١) راجع كتاب كبرى اليقينيّات الكونية ص ٢٣٠ ـــ ٢٣١ للدكتور محمد سعيد رمضان

(٢) يراجع عقيدة المسلم للأستاذ الغزالي ص ٢٠٩

الأول منهما هو : إعجاز المبنى وهو فصاحة الأسلوب والعبارة بحيث يعجز البشر أن يصوغوا مثله أو مثل سورة منه وهم يملكون الحرف والعبارة التي صيغ منها القرآن الكريم.

وقد عجز عن ذلك العرب الفصحاء الذين بلغت الفصاحة في عصرهم ذروتها وقمتها رغم تكرار التحدي واستمراره لهم في قوله تعالى : (وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين)[1] بل قد بهرهم جمال أسلوبه وقوة عبارته، فقد جاء الوليد بن المغيرة الى رسول الله ﷺ يوما من الأيام فقرأ عليه الرسول ﷺ القرآن فكأنه رقّ له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا : فقال لم ؟ قال ليعطوكه فانك أتيت محمدا لتعرض ما قبله، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له. قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار منّي ولا أعلم برجزه ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقوله حلاوة وانّ عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطّم ما تحته)[2].

هذه شهادة رجل كافر في عصر الفصاحة والبلاغة ولكن الاعجاز القرآني قد بهره وقهره حتى قال ما قال.

بل قد رأينا من القصص ما هو أعجب من ذلك فقد كان نفر من رؤوس قريش يسهرون ليلهم يستمعون الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن من حيث لا يعلم وكل منهم لا يعلم عن الآخر فيلتقون في الانصراف عند الفجر ثم يتلاومون ويتعاهدون على عدم الرجوع ولكنهم يعودون وتتكرر القصة ثلاث ليال وهم يفعلون ذلك[3] وما ذلك الا لما يجدونه في نفوسهم من اعجاب وإكبار لفصاحة القرآن وبلاغته.

ولقد بلغ من قوة تأثيره واعجازه أن أعرابيا لما سمع قوله تعالى : (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيّا)[4] سجد الأعرابيّ فقيل له لماذا سجدت فقال انما سجدت لبلاغته وأشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا[5].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣

(٢) البداية لابن كثير ج ٣ ص ٦٠ — ٦١

(٣) البداية لابن كثير ج ٣ ص ٦٤

(٤) سورة يوسف آية ٨٠

(٥) القرآن العظيم ص ١٥٥ للشيخ محمد الصادق العرجون

أما الجانب الثاني من جانبي الاعجاز القرآني فهو : جانب التشريعات والأنظمة التي يقدمها هذا الكتاب للبشر حيث بلغت قمة بعيدة لازالت البشرية تشعر بعظمتها وعلوّها سواء ما كان منها في جانب السياسة والاقتصاد أم ما كان في جانب الآداب والأخلاق. وقد تمثل ذلك التشريع في مجتمع بشري بلغ به رسول الله ﷺ أعلى درجات الحياة البشرية من السعادة والحياة الكريمة بعد أن كان ذلك المجتمع نفسه أقل المجتمعات البشرية فهما للحياة وادراكا لمعناها، فأخذهم هذا الكتاب المعجز وتدرج بهم في سلّم الحياة الصاعد حتى صنع منهم جيلا قرآنيا فريدا لا تزال الحياة اليوم تقف في سفحه مبهورة مقهورة.

وقد ذكرنا من قبل نماذج من شهادة أعدائه في صدر الاسلام على بلاغته واعجازه وسنورد هنا بعض شهادة أعدائه في هذا العصر لنرى مدى ما يؤديه من اعجاز في نفوس البشر.. والأولون أخذوا باعجازه اللفظي وهؤلاء أخذوا باعجازه المعنويّ لما فيه من تشريعات وآداب ولن نستطيع أن نثبت هنا أكثر من ذلك لعدم اتساع البحث لمثل ذلك.

يقول ول ديورانت ــ اليهودي ــ (فان الاسلام ساد لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الأيام تقديمه ؟؟ وكان يهب بني الانسان نظاما أفضل من أي نظام آخر)[1] . قوله استطاعت الأيام ــ هذه وجهة نظره كيهودي لا بدّ أن يثبتها والا لو اعترف بأنه وحي الله للزمه الايمان وانما يكفينا شهادته بأنه (أفضل من أي نظام آخر)[2].

ويقول ادوار جيبون من مشاهير مؤرخي الانجليز (ان موحّدا ذا دماغ مفكر لن يتردد في الاعتراف بوجهات نظر الاسلام فقد يكون الاسلام دينا أعلى من تطورنا الفكري)[3] .

ويقول المستشرق كارلايل وهو من أساتذة جامعة كمبريج : (ان علوية القرآن في حقيقته العالمية فهو حافل بالعدل والاخلاص والدعوة التي بلّغها محمد الى العالم حق وحقيقة)[4] .

ويقول مانويل كنج أحد علماء الانجليز في احدى محاضراته في كنيسة البرسيتان عام ١٩١٥ (اذا كان في عالم الالهام أمر يدعى وحيا وكان للوحي وجود كامل فلن يشك في أن القرآن كتاب منزل).

---

(١) قصة الحضارة ص ٢٤٩ كما في كتاب الموسوعة القرآنية ص ١١٢٠

(٢) قصة الحضارة ص ٦٤٩

(٣) الدين والعلم لمؤلف تركي ص ١٥٥

(٤) الدين والعلم لمؤلف تركي ص ١٥٥

ويقول الفيلسوف الفرنسي آلكسي لوازون : (خلّف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجلّ الأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية التي كشفت حديثا أو المخترعات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية. فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية)[1].

هذان جانبان من جوانب اعجازه وليسا هما كل ما فيه، بل فيه جوانب أخرى كالإخبار بالأمور الغيبية وحديثه عن الظواهر الطبيعية وبعض الجزئيات الكونية مما لا مجال لبحث شيء منها هنا اكتفاء بهذه الاشارة الى موطن اعجاز هذا الكتاب[2].

وهذان الجانبان اللذان سبق ذكرهما يمكن أن يؤديا دور الاعجاز في كل جيل من البشر، وفي شهادة هؤلاء الكتاب الأوربيين ما يدلنا على قوة تأثير هذا الكتاب على غير المسلمين. وبمقارنة ذلك بشهادات الجاهليين العرب الذين نزل القرآن فيهم فأعجزهم وأنطقهم بالشهادة له بالبلاغة والفصاحة كما تقدم يظهر لنا مقدار ما يحمله ذلك الكتاب المعجز من القدرة على التأثير في كل عصر ومصر بلفظه ومعناه... ولو تتبعنا تلك الشهادات التي سجلها غير المسلمين لرأينا من ذلك عجبا. ولا شك أن هذا من الشهادات القوية لهذا الكتاب. وفي الكتب الاسلامية ما هو أكثر وأعمق دراسة له من غيرها ولكنا فضّلنا شهادات غير المسلمين ليكون ذلك أكثر اقناعا. وان بقاء هذا القرآن العظيم يؤدي دور الاعجاز حتى شهد به أعداؤه لدلالة قوية على أن الله عز وجل قد أودعه من الاعجاز ما يمكن أن يخاطب به البشر الى آخر الحياة بخلاف المعجزات السابقة الموقوتة بوقتها.

ثالثا : مدى حفظ كل من القرآن والكتب السابقة :

من سنة الله سبحانه وتعالى أن ينزل مع كل رسول يرسله الى الناس كتابا أو صحفا تشرح لهم رسالته وتكون حكما لهم فيما بعد. يقول تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[3] ويقول تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[4].

---

(١) كتاب الدين والعلم ص ١٥٥ ـ ١٥٦

(٢) يراجع كتاب الاسلام في عصر العلم للشيخ الغمراوي والموسوعة في سماحة الاسلام وغيرهما من الكتب الحديثة التي تتحدث عن هذه الجوانب

(٣) سورة الحديد آية ٢٥

(٤) سورة البقرة آية ٢١٣

وبمقدار ما يلقى هذا الكتاب من الحفظ والرعاية بمقدار ما تبقى تلك الرسالة.. فاذا ما تعرض للضياع أو التحريف فان الرسالة تتعرض للتحريف والتشويه وتفقد قدرتها على قيادة أتباعها قيادة صحيحة فيكون ذلك سببا في بعث رسول جديد وكتاب جديد يتسلم قيادة البشر ويصحّح الأخطاء التي تعرضّوا لها بعد ضياع كتابهم أو تحريفه.

وسندرس في هذا المبحث بشيء من الايجاز مدى ما حظي به كل من الكتب السابقة والقرآن الكريم من الحفظ والرعاية، اذ عدم توفر ذلك في كتاب سماوي سبب في نسخه واسناده بكتاب آخر يصحح ما اعتراه من فساد أو أخطاء..

ولكن الكتاب الذي يبقى ثابتا صحيحا سليما من كل نقص أو زيادة بعيدا عن كل تحريف أو تشويه فانه بذلك يؤدي دوره كاملا فلا يحتاج بعد الى كتاب آخر ينزل للتصحيح. فما مكانة الكتب السابقة والقرآن الكريم في ذلك الميزان.

* أما عن الكتب السابقة قبل الاسلام فقد تعرضت لظروف عدة أدت ببعضها الى الضياع والبعض الآخر للتحريف مما كان سببا في نزول كتب أخرى لرفع ما تعرضت له من ذلك.

فالتوراة وهي من أكمل الكتب السماوية قبل القرآن الكريم قد تعرضت للضياع في فترة من الفترات ودخلها التحريف والتشويه مما أفقدها قيمتها الربّانية كمصدر للهداية والقيادة.

أما الضياع فقد تعرضت له بعد تخريب بيت المقدس وجلاء أهله منه الى بابل على يد بختنصر ملك بابل ثم كتبت بعد ذلك ــ كتبها رجل يسمى ــ عازر أو عزرا ــ يقول ابن تيمية رحمه الله في ذلك : (أما التوراة فان نقلها انقطع لما خرّب بيت المقدس أولا وأجلى منه بنو اسرائيل ثم ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عازر وزعموا أنه نبيّ)[1] بل نفس العهد القديم يوجد فيه الاشارة الى ضياعها ثم وجودها ففي أخبار اليوم الثاني منه ما يلي :

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ١ ص ٣٥٦ ــ ويراجع العهد القديم سفر عزرا الاصحاح السابع إذ فيه الاشارة الى ذلك

(١٤ ـــ وعند اخراجهم الفضة المدخلة الى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى ـــ ١٥ ـــ فأجاب حلقيا وقال لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلّم حلقيا السفر الى شافان)[١] فهو كما ترى يذكر أنه وجده مع الخزينة الفضية.

أما التحريف للتوراة فيقول تعالى فيه : (من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه)[٢] ولذلك فقد كان من أهداف بعثه المسيح عليه السلام كشف القناع عن تلك التحريفات وإبانة الأمور التي تعرض لها أتباع ذلك الكتاب المحرف نتيجة لما تعرض له من الضياع والتحريف.

يقول تعالى عن ذلك حكاية عن عيسى عليه السلام : (قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه)[٣] .

أما انجيل عيسى عليه السلام الذي نزل عليه من السماء فقد اختفى من الوجود والأناجيل الموجودة اليوم انما هي مما كتبه بعض تلامذة المسيح وغيرهم بعد رفع المسيح عليه السلام. يقول ابن تيمية رحمه الله في ذلك (وأما الانجيل الذي بأيديهم فانهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه السلام ولا أملاه على من كتبه وانما أملاه بعد رفع المسيح متى ويوحنا)[٤] بل ان صحة نسبة بعض الأناجيل الأربعة الى من نسبت اليهم فيه شك حتى عند النصارى[٥] .

ولذلك فان الانجيل قد فقد مكانته في القدرة على القيادة والتوجيه مما أدى الى انحراف العقيدة النصرانية عن مجراها الصحيح حتى زعموا أن المسيح ابن الله وأنه ثالث ثلاثة فأرسل الله عز وجل محمدا ﷺ ليصحح تلك الانحرافات ويعيد البشرية الى صفاء العقيدة ونقائها. يقول عز وجل عن محمد ﷺ : (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٦] .

---

(١) الاصحاح ٣٤ ـــ فقرة ـــ ١٤ ـــ ١٥ ويراجع كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للدكتور علي عبد الواحد
(٢) سورة النساء آية ٤٦
(٣) سورة الزخرف آية ٦٣
(٤) الجواب الصحيح فمن بدّل دين المسيح ج ١ ص ٣٥٦
(٥) الاسفار المقدسة في الأديان السابقة قبل الاسلام ص ٦٤ ـــ ٦٨
(٦) سورة النحل آية ٦٤

وعدم حفظ الله سبحانه وتعالى لتلك الكتب دليل على عدم ارادته سبحانه وتعالى لاستمرارها وبقائها وأنها انما جاءت لأداء دور زمنيّ مؤقت ثم ينتهي دورها لتجيء رسالة أخرى.

يقول الأستاذ سليمان الندوي في ذلك : (ان أولئك الرسل خصّت رسالاتهم ببعض الأمم ولبعض الأزمان.. لذلك لم تمس الحاجة الى حفظها من عوامل التصحيف والتحريف ولم تتعلق غاية الله بصيانتها من أيدي البلى وعبث الدهر فضاعت أصولها المعاصرة لأصحابها أو قريبة العهد منهم ووجدت بعد ضياعها تراجم دخلها كثير من التغيير والتبديل فبعدت التراجم عن أصلها كل البعد واختلفت وألحق بها وزيد فيها كثير مما لا أصل له في الصحف المنزلة.. وان ضياع تلك الأصول الأولى دليل واضح على أن تلك الرسالات كانت لزمن محدود قد مضى ولولا ذلك لاقتضت حكمة الله بقاء أصولها)[1]. لقد استحفظهم الله عليها بقوله تعالى : (بما استحفظوا من كتاب الله) فلم يحفظوها بل ضيّعوها وحرّفوها.

أما القرآن فلم يكل حفظه للمسلمين بل تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه كما قال سبحانه (انّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[2] ـــ وهذه ضمانة ربانية عظيمة تعطي هذا الكتاب مكانة عالية تجعله يبقى نورا مشعًا يهتدي به البشر أينما كانوا ومتى وجدوا على اتساع المساحتين المكانية والزمانية وذلك دليل ارادته سبحانه لبقائه واستمراره وقد مرّ عليه حتى اليوم أربعة عشر قرنا وهو لا يزال غضًا طريا كأنه الآن أنزل ولم يستطع أعداء الاسلام أن ينالوا منه أو يعرّضوه للضياع أو التحريف رغم ما تعرّضت له الأمة الاسلامية من الحروب والفتن على مدى تاريخها الطويل ورغم الجهود المبذولة من أعداء دينها من اليهود والنصارى لإضلالها وإفساد دينها.

ويذكر البيهقي رحمه الله قصة غريبة في هذا الأمر ـــ أمر الحفظ ـــ كانت سببا لاسلام بعض اليهود كما يذكرها يحيى بن أكثم حيث قال : (دخل يهوديّ على المأمون فتكلم فأحسن الكلام فدعاه المأمون الى الاسلام فأبى فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما فتكلم بأحسن الكلام فقال له المأمون ما كان سبب اسلامك ؟ قال انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن الأديان فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني. وعمدت الى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني وعمدت الى القرآن فعملت ثلاث نسخ فيها نقص

---

(١) الرسالة المحمدية ص ٢٠

(٢) سورة الحجر ـــ وقد تقدمت

وزيادة وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما ان وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي. قال يحيى بن أكثم فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الحديث فقال مصداق هذا في كتاب الله تعالى قلت في أي موضع ؟ قال : قال الله تعالى في التوراة والانجيل : (بما استحفظوا من كتاب الله)[1] فجعل حفظه اليهم فضاع وقال : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[2] فحفظه الله فلم يضع)[3].

* وقد قيّض الله سبحانه وتعالى لحفظه عشرات الأسباب من تيسير لحفظه في الصدور ويسر قراءته وتلاوته حتى أصبح أطفال المسلمين يستظهرونه عن ظهر قلب ولا تكاد تدخل مجتمعاً من مجتمعات المسلمين الا وتجد فيه من يحفظ كتاب الله عن ظهر قلب، زد على ذلك ما حظي به من علماء الأمة من دراسة وتنقيب عن معانيه حتى انه لم يخل جيل من البشر الا وتجد فيه من يؤلف المؤلفات في تفسيره وبيان اعجازه وأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه، بل قد تعدت الدراسة ذلك الى احصاء آياته وكلماته وحروفه[4] بل بلغ الأمر بالصحابة رضي الله عنهم الى أنهم ذكروا وقت نزول كل آية من ليل أو نهار[5] أو سفر أو حضر أو غير ذلك مما يدل دلالة قوية على أنه كتاب خاتم أنزله الله عز وجل ليحفظ ويبقى ليكون قائدا لخطى البشرية الى الحق والعدل وحارسا لمسيرتها في ظل الأخوة والمحبة فلا دين بعده ولا شريعة سواه.

وان هذه الميزة العظيمة التي تفرّد بها هذا الكتاب لمما يعترف بها أعداء الاسلام ويعلنونها في قوة وصراحة وان كان الواقع أكثر صراحة وأعظم شهادة :

يقول لين بول ــ أحد المستشرقين ــ عن القرآن الكريم : (ان أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك الى أصالته.. ان كل حرف فيه تقرأه اليوم تستطيع أن تثق بأنه لم يقبل أي تغيير منذ ثلاثة عشر قرنا).

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤
(٢) سورة الحجر آية ٩
(٣) الخصائص الكبرى ج ٣ ص ١٢٨
(٤) راجع الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ ص ٨٤ والبرهان جـ ١ ص ٢٤٩
(٤) المرجع السابق ١ / ٥١ ــ ٦٠ وما بعدها والبرهان للزركشي ج ١ ص ١٩٨..

ويقول وهيري : (ان القرآن أبعد الصحف القديمة بالاطلاق عن الخلط والالحاق وأكثرها صحة وأصالة).

ويقول موير ـ وهو من المتحاملين على الاسلام ـ (فلعله ـ أي القرآن ـ هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي بقي نصه محفوظا من التحريف طيلة ألف ومائتي سنة)[1].

هذه شهادة هؤلاء النصارى للقرآن الكريم بأنه هو الكتاب الوحيد الذي لم تستطع عوامل التحريف أن تصل اليه.

وهذا الحفظ العظيم لهذا الكتاب يجعله وأتباعه غير محتاجين الى رسالة أخرى أو كتاب آخر لأنه لا يزال محفوظا كما انزل يقوم بدور الهداية والتوجيه بالصورة التي أرادها الله سبحانه وتعالى له.

رابعا : طبيعة التشريع بين الأديان السابقة والاسلام :

لم تكن الشرائع السابقة تخاطب الفطرة البشرية عموما أو تتلاءم معها في كل أحوالها مما لم يجعل لها من الحيوية والمرونة ما يوافق كل الحياة البشرية اذ كانت أحكامها انما تخاطب القوم المنزلة عليهم وهي تؤدي بذلك دورا خاصا ينتهي بانتهاء فترته الزمنية مما يجعل البشرية بعد ذلك تحتاج الى تشريع آخر بصورة أخرى تتلاءم مع ظروفها ونفسياتها هي. فكانت الشرائع لذلك تتوالى وتتابع الى أن جاءت شريعة الاسلام بصورة تتلاءم مع الفطرة البشرية... فانتهت بذلك الحاجة الى تشريع آخر.

* فالتشريع في الأديان السابقة : كما يتضح ذلك في التشريع لبني اسرائيل تظهر فيه ملامح الخصوصية في التشريع واضحة جليّة حيث كانت الشريعة في ذلك الوقت تتسم بميسم الشدة والقسوة التي تتناسب مع بني اسرائيل وحدهم في ذلك العصر لِمَا كانت عليه نفوسهم من الطباع الجافة والأخلاق الظالمة يقول جل وعلا : (فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات أحلت لهم)[2] فرتب هذا الحكم في الآية وهو تحريم الطيبات على سبب خاص وهو الظلم المشين الذي كانت تتصف به بنو اسرائيل آنذاك فناسب ذلك التشريع عقابا لهم.

---

(١) من كتاب النبي الخاتم لأبي الحسن الندوي ص ٣٠ ـ ٣١
(٢) سورة النساء آية ١٦٠

وقد تحدثت أسفار العهد القديم عن قسوة قلوبهم وخشونة طبعهم في أماكن عدة منها :

فقد جاء فيها : (وكان الرب قد قال لموسى قل لبني اسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة)[1] وفيها كذلك : (وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب فاذا هو شعب صلب الرقبة)[2].

وتقول كذلك : (قل للبيت المتمرد)[3] وكذلك : (لكن بيت اسرائيل لا يشاء أن يسمع لك لأنهم لا يشاؤون أن يسمعوا لي لأن كل بيت اسرائيل صلاب الجباة قساة القلوب)[4].

ولهذه القسوة التي كانت عليها قلوبهم فقد شدّد عليهم في التشريع ليقوّم طباعهم ويهذب نفوسهم.. أو لعل ما جبلت عليه نفوسهم من الذلة التي عاشوها في ظل الاستبداد الفرعوني كان سببا في بلادة حسّهم وانتكاس فطرهم وهذا ما ذهب اليه ابن تيمية رحمه الله في التعليل لتلك الشدة التي عوملوا بها حيث يقول : (ان بني اسرائيل كانت نفوسهم قد ذلّت بقهر فرعون لهم واستعباد فرعون وقومه لهم فشرعت لهم الشدة لتقوى نفوسهم ويزول عنهم ذلك الذل)[5].

وتوجد في التوراة المعاصرة نماذج كثيرة من تلك التشريعات التي شرعت لبني اسرائيل كتحريم لحوم بعض الحيوانات وبعض اللحوم كذلك وما شرع لهم من أمور الطهارة وغير ذلك[6] مما يدل على أنها تشريعات خاصة تنتهي بانتهاء ذلك الدور، ولهذا كان من وظيفة رسولنا محمد ﷺ رفع تلك التشريعات الشديدة ووضع التشريع المتناسب مع الفطرة البشرية عامة يقول الله عز وجل عن بعض وظائف الرسول ﷺ : (ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم)[7].

---

(١) سفر الخروج ــ الاصحاح ــ ٣٣ ــ فقرة ٥
(٢) سفر الخروج ــ الاصحاح ــ ٣٢ ــ فقرة ٩
(٣) سفر حزقيال ــ الاصحاح ــ ١٧ ــ فقرة ١٢
(٤) سفر حزقيال ــ الاصحاح ــ ٣ ــ فقرة ٨
(٥) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ١ ص ٢٩٤
(٦) التوراة ــ سفر اللاويين الاصحاح ١١ فقرة ٢٣ ــ ٢٨... بل كل السفر يراجع
(٧) سورة الأعراف آية ١٥٧

فوجود أمثال تلك التشريعات في رسالة من الرسالات مما كان السبب في تشريعه ظروف خاصة وجود ذلك دليل قاطع على خصوصيتها وتوقيتها.

هذا في شريعة التوراة أما الانجيل فلم يكن كتابا مستقلا عن التوراة وانما جاء مكمّلا لها وليس فيه إلا آداب عامة وأخلاق وبعض التشريعات القليلة : يقول الشهرستاني رحمه الله : (والانجيل النازل على المسيح عليه السلام لا يتضمن أحكاما ولا يستبطن حلالا ولا حراما ولكنه رموز وأمثال ومواعظ ومزاجر وما سواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة)[1].

فليس فيه اذن ما تحتاج اليه البشرية من التشريعات وانما فيه أخلاق ومواعظ تؤدي دورا مؤقتا.

هذه لمحة قصيرة عن ذينك الكتابين توضح لنا الصورة العامة لتلك التشريعات التي جاءت بها الكتب السابقة والتي لم تكن تخاطب الفطرة البشرية عامة وانما تخاطب قوما بأعيانهم بما يتلاءم مع طباعهم ونفسيّاتهم في تلك الفترة من الزمن. ثم تبقى البشرية فيما بعد محتاجة الى تشريع يتلاءم مع فطرتها وانسانيتها.

* أما الشريعة الاسلامية : فقد امتازت بيسرها وسهولتها ومسايرتها للفطرة البشرية. فرفعت تلك التكاليف الشديدة التي كانت من قبل وصيغت أحكامها بصورة تتناسب مع الدور الذي ستؤديه في حياة البشر فجاءت سهلة ميسرة.

وقد رأينا من قبل الدور الذي جاء له ﷺ كما تصوره الآية السابقة يقول تعالى : (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم)[2] ففي هذه الآية خمسة أمور كلها تتناسب مع الفطرة الانسانية.

الأول : كونه ﷺ انما يأمرهم بالمعروف الذي تعارفت الفطر السليمة على كونه معروفا.. لا يأمرهم بسوى ذلك فليس التشريع مرتبطا بظروف ولا نفسيات.

الثاني وينهاهم عن المنكر فحسب الذي تنكره الطباع السليمة أما الأمور التي هي خير وبرّ فلا ينهاهم عنها.. نعم العقل البشري قد يهبط ويسفّ بحيث لا يدرك الخير من الشر ولكنه بعد أن يصحو فانه يدرك ذلك ويفهمه.

---

(١) الملل والنحل ج ٢ ص ١٤ ويراجع كذلك الجواب الصحيح لابن تيمية ج ٣ ص ٢٤٠
(٢) تقدمت

الثالث : ويحل لهم الطيبات لأنها طيبات لا لشيء آخر.

الرابع : ويحرّم عليهم الخبائث التي تحمل في ثناياها أضرارا على الإنسان نفسه سواء ما كان منها ماديا أو معنويا وليس هناك أي مؤثر خارجي حرم عليهم الشيء لأجله.

الخامس : ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم في الشرائع السابقة مما كان سبب تشريعه خاصا بزمنه..

هذه هي بعض خصائص الشريعة الاسلامية لم تقم على أسس مؤقتة لظروف خاصة وانما قامت على أسس عامة تتلاءم مع كل الأجيال البشرية.

وانظر الى قوله تعالى وهو يخبرنا بمقصد هذه الشرائع يقول : (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)[١]. ويقول : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[٢]. ويقول عليه الصلاة والسلام : (يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا)[٣].

هذه هي بعض الملامح من الشريعة الاسلامية التي جاءت لتواجه الحياة البشرية بكل أبعادها المكانية والزمانية لأنها لا تنتظر نبيا آخر ليرفع شيئا مما قد يتسم بطابع التوقيت الزمني كما كانت عليه الشرائع السابقة.. وبهذا تكون الشريعة الاسلامية قد جاءت تمثل الاعتدال التشريعي الذي كانت الشرائع السابقة تمثل طرفيه.

وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله وهو يقارن بين الاسلام والشرائع السابقة (ان شريعة التوراة يغلب عليها الشدة وشريعة الانجيل يغلب عليها اللين وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا كما قال تعالى : (وجعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس).[٤]

فهذه هي الشريعة الاسلامية شريعة وسط بين الشدة واللين. وذلك كما قيل : (بعث موسى بالجلال وبعث عيسى بالجمال وبعث محمد بالكمال)[٥].

---

(١) سورة النساء آية ٢٨

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥

(٣) رواه مسلم ج ٣ ص ١٣٥٩ وغيره

(٤) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٤٠ ــ والآية في سورة البقرة آية ١٤٣

(٥) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٤٣

ورحم الله أبا الحسن العامري اذ يقول : (ان أحق الأديان بطول البقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين ليجد كل من ذوي الطبائع المختلفة ما يصلح به حاله في معاده ومعاشه ويستجمع له منه خير دنياه وآخرته)[1].

هذه هي الشريعة الاسلامية شريعة متميزة على الشرائع السابقة في أسلوبها وفي معجزتها وفي الحفظ الذي تفردت به وأخيرا في تشريعاتها الملائمة للفطرة الانسانية. وان وجود هذه المميزات الفريدة بها لمما يؤكد لنا ارادة الله سبحانه وتعالى في جعلها شريعة خاتمة خالدة باقية الى قيام الساعة.

وسنعرض فيما يأتي بعض الخصائص الاسلامية الأخرى التي تؤيد خاتمية الرسالة الاسلامية وتوضحها.

ب ـ بعض الخصائص الأخرى للاسلام ودلالتها على الختم :

بعد هذه المقارنة التي أجريناها بين بعض الجوانب في كل من الاسلام والرسالات السابقة نذكر هنا بعض الخصائص الأخرى[2] ـ التي تؤكد كذلك ختمية الرسالة الاسلامية.

وتلك الخصائص هي : المرونة والشمول واليسر.

أولا : المرونــة :

المتتبع لأحكام التشريع الاسلامي يراها تتسم بطابع المرونة والعموم بحيث يمكن أن تكون تلك الأحكام ميزانا عاما في الحياة البشرية على اختلاف الزمان وتعدد المكان وذلك مما يؤكد خاتمية هذه الرسالة وأنها جاءت لتحكم الحياة الانسانية الى قيام الساعة.

ولهذا فقد اعتمد التشريع الاسلامي فيها على قواعد عامة يمكن أن تؤدي دورها في أي مرحلة زمنية وذلك ما سيتضح لنا بالأمثلة الآتية :

فمن تلك القواعد مثلا قاعدة : «ايجاب الشورى في الحكم» فهي قاعدة واجبة الاتباع بأمر الله تعالى حيث يقول «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما

---

(١) كتابه الاعلام بمناقب الاسلام / ص ١٤٩ ـ عاش في القرن الرابع

(٢) وافراد هذه الخصائص بالذكر هنا لعدم تيسر المقارنة بينها وبين ما يقابلها من خصائص الرسالات الأخرى

رزقناهم ينفقون»[1] فجمع سبحانه وتعالى بين اقامة الصلاة واقامة الشورى وكلاهما واجب على الأمة.

ولكنه تعالى لم يحدد صورة معينة لتلك الشورى مما يجعل هذه القاعدة «قاعدة الشورى» مرنة وصالحة التطبيق في كل عصر ومصر بالكيفية التي يمكن الاستفادة منها بها.

يقول الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله بعد أن ساق آيتي الشورى ــ الآية السابقة وقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر)[2] ــ يقول: (وظاهر من صيغة النصين المقررين لمبدأ الشورى أنهما عامان مرنان الى آخر حدود العموم والمرونة بحيث لا يمكن أن يحتاج الأمر الى تعديلهما أو تبديلهما في المستقبل وفي هذا بيان لما قلناه من أن الشريعة تتميز بصفة الدوام وانها لا تقبل التبديل والتعديل. ولهذه الاعتبارات اكتفت الشريعة بتقرير الشورى كمبدأ عام وتركت لأولياء الأمور في الجماعة أن يضعوا معظم القواعد اللازمة لتنفيذه لأن هذه القواعد تختلف تبعا لاختلاف الأمكنة والجماعات والأوقات)[3].

ومن تلك القواعد كذلك «ايجاب العدل في الحكم بين الناس» وسواء أكان ذلك من الحاكم أو من غيره ممن تعرض للحكم يقول تعالى: (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)[4].

ولكنه لم يحدد صورة لاقامة العدل.. فأي صورة يمكن أن يقام بها العدل ــ في حدود روح الشريعة ــ جاز للحاكم أن يستخدمها لذلك..

ومنها كذلك قاعدة «درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة»[5] وهي قاعدة شرعية يمكن أن تستخدم في كل أمر يترتب على حصوله مصلحة ومفسدة فيترك الأمر الصالح درءاً

---

(١) سورة الشورى آية ٣٨

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩

(٣) التشريع الجنائي ج ١ ص ٣٧ ويراجع كتب التفاسير لهاتين الآيتين اذ كلها تؤكد وجوب الشورى من غير تحديد لصورتها

(٤) سورة النساء آية ٥٨

(٥) يراجع اعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤٧ ــ ١٧١ فقد أطال النفس في بحث هذا الموضوع.

للمفسدة الناتجة عن فعله. ومن الأدلة على تلك القاعدة قوله تعالى : (ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدوا بغير علم..)[1] يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية : (يقول تعالى[2] ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وان كان فيه مصلحة الا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو «الله لا إله الا هو»)[3] فيكون في ذلك ترك المصلحة درء للمفسدة. وهذا حكم لا يتأثر بتغير الزمن.

وهناك قواعد أخرى كثيرة منها : (الضرورات تبيح المحظورات) ومنها : (الضرر يزال) ومنها : (المشقة تجلب التيسير)[4] وأخرى غيرها كثير.

ولو تتبعناها من مصنفات الفقه الاسلامي وأصوله لخرج بنا ذلك عن موضوع البحث ولكنّا تكتفي بذكر هذا القدر من تلك القواعد العامة التي تؤكد لنا ما تحمله الشريعة الاسلامية من القدرة على استيعاب أحداث الحياة وحكمها في كل الأزمنة المختلفة لعدم انحصار أحكامها في جزئيات محددة.

ثانيا : الشمـــول : قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[5].

* لقد شمل التشريع الاسلامي كل شئون الحياة فلم يغادر شأنا من شئونها ولا جانبا من جوانبها الا وضع له تشريعا يحفظ له صلاحه واستقامته بدء بالاخلاق والآداب وانتهاء بالاقتصاد والسياسة. وقد لاحظ المشركون المعاصرون لنزول التشريع الاسلامي ذلك الجانب الفريد في هذا الدين واهتمامه بكل نواحي الحياة الانسانية حتى الأمور التي قد يراها الناس في تصورهم لا تحتاج الى تنظيم ورعاية.. فقد نظم الاسلام كل الجوانب الحياتية بحيث يسير المسلم في خط منظم لكل أموره ولما كان عليه الصلاة والسلام يعلّم أصحابه كل شيء حتى أمور قضاء الحاجة عجب المشركون من ذلك الأمر الذي لم يترك حتى تلك

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٨

(٢) لم يذكر مقول القول وان كان ذلك مفهوما ضمنا ولكن لعله أراد بقوله يقول تعالى ــ أي ــ (ولا تسبوا..) وهو لا شك أراد هذا

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٦٤

(٤) قواعد الاحكام ج ١ ص ٤ ــ ٥٠ الأشباه والنظائر للسيوطي ج ١ ص ٧٦ ــ ٨٣ ــ ٨٦ وابن نجيم ج ١ ص ٧٥ ــ ٨٥

(٥) سورة النحل آية ٨٩

الأمور التي قد لا يؤبه لها فقال المشركون لسلمان الفارسي رضي الله عنه : (انا نرى صاحبكم يعلمكم ؟ حتى يعلمكم الخراءة قال : أجل ؟ انه ينهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه أو يستقبل القبلة. وينهانا عن الروث والعظام وقال لا يستنجي أحدكم بدون ثلاث أحجار)[1].

وقد اشتمل الاسلام على كل ما يحتاجه الناس من أمور عقائدهم أو شرائعهم بحيث لا يحتاجون بعده الى دين آخر جديد يكمل لهم ما تركه الاسلام أو يستدركه.

• **فأما في أمر عقائدهم** فقد أفاض فيها القرآن الكريم افاضة لم يترك بعدها زيادة لمستزيد مراعيا في ذلك ما تحتمله عقولهم وما ينفعهم معرفته في حياتهم.

فتحدث عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته وأفعاله.. وعلاقة الناس والكون كله به وعن عالم الغيب المرتبط بالانسان كالملائكة والجن والجنة والنار واليوم الآخر وما فيه من أمور.. وتحدث كذلك عن الرسل السابقين وكتبهم وأممهم كما تحدث عن القدر خيره وشره.. كل هذه الأمور وغيرها تحدث عنها القرآن الكريم وشرحت السنة أكثر ما أجمل فيه بحيث أصبح أمر هذه الجوانب واضحا في حس المسلم بحيث لا يحتاج بعده الى زيادة أو بيان. هذا في أمر عقائدهم.

أما في أمر شرائعهم فلا يقل كذلك عن العقائد حيث شملت الشريعة الاسلامية كل جانب من جوانب حياتهم بحيث لا يشذ عنها شيء.

فبيّنت أمور الأخلاق وما ينبغي أن يتحلى به المسلم من الصدق والأمانة والاحسان.. وغير ذلك. وبيّنت الآداب التي يحتاجها المسلم في الطعام والشراب والجلوس والقيام وغير ذلك.

وبيّنت حقوق الله الخاصة على الانسان كالصلاة والصيام والحج وغير ذلك.

وبيّنت حقوق الناس على الفرد سواء في محيط الأسرة كالزوجية والابوّة والبنوّة.. أم في محيط المجتمع وحقوق الفرد كذلك على المجتمع.

وبيّنت الأمور الاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع سواء في محيط الحلال كالبيع والميراث والصدقات.. أم في محيط الحرام كالربا والاحتكار والميسر..

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٢٢٣ واحمد في المسند ج ١ ص ٤٣٧ وسنن الترمذي ج ١ ص ٢٤ وابن ماجة ج ١ ص ١١٥ وابن خزيمة ج ١ ص ٤١ وغيرهم

وبيّنت أمور الخلافة والإمامة وما لها على الأمة من طاعة ومؤازرة ومناصحة ومشاورة.. وما للأمة عليها من الوفاء لها والتزام الحق والعدل في حكمها..

ولم تترك صغيرا ولا كبيرا مما ينفع المسلمين أو يضرهم الا وبينته أتم بيان.، يقول ابن القيم رحمه الله في ذلك : (وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحيه في السماء الا ذكر للأمة منه علما وعلّمهم كل شيء حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب والركوب والنزول والسفر والاقامة والصمت والكلام والعزلة والخلطة والغنى والفقر والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت ووصف لهم العرش والكرسي والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه كأنه رأى عين وعرفهم معبودهم والههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله وعرّفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم وعرّفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرّفه نبيّ لأمته قبله..) الى أن قال : (وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمّته ولم يحوجهم الى أحد سواه)[1].

ثم وضعت لهذا المجتمع من الحدود والأحكام ما يحفظه من الفساد والعبث بحيث لا يشغل الناس عن مصالحهم بأمور جانبيه تعوقهم وتخل بأمنهم.. كالحدود لحماية الأنفس والأعراض والأموال.. والوعيد الأخروي للمجرمين والمفسدين.

وهذه الأمور المتعددة الجوانب والتي لم تغادر شيئا في حياة البشر الا وضعت له ما يحكمه ويضبطه — تؤكد لنا شمول الشريعة وأنها أنزلت من الله سبحانه وتعالى لتكون الرسالة الخاتمة فلا يحتاج البشر بعدها الى سواها.

ثالثا : اليســـــر :

من الخصائص التي ينبغي أن تحتوي عليها الشريعة العامة المستمرة مراعاة الفروق البشرية المختلفة والمستويات العقلية المتباينة وحالات الضعف والعجز التي قد يتعرض لها بعض البشر سواء كان ذلك في أمر عقائدهم أم في أمر شرائعهم اذ عموم الرسالة وشمولها ودوامها يقتضي أن يكون طابع اليسر والسهولة هو الطابع المميز لكل جوانبها حتى يتمكن الناس عامة من الانضواء تحت لوائها والحياة في ظلالها وهذا ما نراه واضحا بارزا في دين الاسلام الذي يقوم على السهولة في عقائده واليسر في شرائعه.

---

(١) اعلام الموقعين ج ٤ ص ٣٧٥ — ٣٧٦

٥ فقد خاطب البشر في أمر عقائدهم مراعيا في ذلك أقل المستويات العقلية.. وهم الذين ليس لهم حظ في العلم والثقافة لئلا تكون خاصة لطائفة المثقفين والعلماء ولذلك فهي عقيدة أميّة وشريعة الأميّين بهذا المعنى.. ولا يعني ذلك أنها للاميين فقط بل فيها من آيات الحث على العلم والنظر في الكون والحجاج العقلي ما تخاطب به أعلى المستويات العقلية في البشر. فهي عقيدة وشريعة يفهمها الرجل العادي ويخشع لجلالها وعظمتها أعلا الناس فكرا وأكثرهم ثقافة وعلما.

وقد تعرض الشاطبي رحمه الله لأمية الشريعة وذكر في ذلك أن من مقتضى أميّتها : (أن تكون التكاليف الاعتقادية والعملية ممّا يسع الأميّ تعقّلها ليسعه الدخول تحت حكمها). ثم زاد ايضاحا فقال : (أما الاعتقادية بأن تكون من القرب للفهم والسهولة على العقل بحيث يشترك فيها الجمهور من كان منهم ثاقب الفهم أو بليدا فانها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص لم تكن الشريعة عامة ولم تكن أميّة وقد ثبت كونها كذلك فلا بد أن تكون المعاني المطلوب علمها واعتقادها سهلة المأخذ)[1].

ونحن نرى سهولة العقيدة يتمثل في قوله تعالى : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)[2]. وفي قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتواتر : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله)[3] فهي شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله كلمات سهلة ومعان أسهل يدركها كل من سمعها وقد كان الأعرابي يأتي الى رسول الله ﷺ من البادية فتعرض عليه الشهادتان فيفهمهما بمجرد سماعه لهما، ويؤمن ثم يعود الى قومه داعيا الى الاسلام.

ولم ينقل التاريخ أن أحدا جاء اليه ﷺ فصعب عليه فهم الاسلام أو ادراك شيء من أصوله أو فروعه رغم أن الذين نزلت فيهم كانوا كأي مجتمع آخر درجات شتى منهم الذكي الملهم ومنهم ما هو دون ذلك.. وفيهم ابن الحاضرة وابن البادية وكلهم قد فهموها وامتزجت بقلوبهم، وكانوا قمة في العلم والايمان يهتدي بعلومهم جهابذة العلماء وكبارهم من بعدهم.

---

(١) الموافقات ج ٢ ص ٨٨

(٢) سورة البقرة اية ١٦٣

(٣) رواه الستة واللفظ لمسلم ج ١ ص ٥٢ ذكر تواتره جماعة منهم السيوطي في كتابه الفتح الكبير ج ١ ص ٣٦٠

وقد ذكر علماء الأمة سهولة هذه العقيدة وبساطتها قديما وحديثا. وقد سمعنا من قبل قول الشاطبي رحمه الله من قدماء علماء الأمة. وأما أقوال المحدثين فنكتفي هنا كذلك بقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله حيث يقول : (أول ما يستشعره القلب والعقل أمام العقيدة الاسلامية هو الاستقامة والبساطة والوضوح.. وهذه هي السمة التي تجتذب الافراد الذين يدخلون في هذا الدين من الأوربيين والأمريكيين المعاصرين فيتحدثون عنها بوصفها أول ما طرق حسهم من هذا الدين، وهي ذاتها السّمة التي تجتذب البدائيين في افريقيا وآسيا في القديم والحديث لانها سمة الفطرة التي يشترك فيها الناس أجمعين متحضرين وبدائيين)[1].

هذه ميزة العقيدة في هذا الدين سهولة ووضوح.

* **أما الشريعة** فهي لا تقل عن ذلك.. سهلة ميسّرة لا عنت فيها ولا مشقة ويتضح ذلك في أمور ثلاثة :

الأول : يسر العبادات الاسلامية وهي :

الصلاة ــ والتي لا تزيد في اليوم والليلة عن سبعة عشر ركعة في أوقات متفرقة.. كل انسان يستطيع القيام بها.

والزكاة : وهي مقدار يسير من كل صنف من أصناف المال يؤديه المسلم الى اخوانه المحتاجين فيسدّ حاجتهم ويجبر نفوسهم.

والصيام : شهر من كل عام يعوّد نفسه فيه على الصبر وتقوية العزيمة طاعة لله عز وجل..

والحج مرة في العمر يشارك المؤمنين في زيارة بيت الله الكريم[2].

وهكذا بقية الشعائر الاسلامية سهلة ميسورة.

---

(١) خصائص التصور الاسلامي ص ٢٢٨

(٢) يراجع كتاب العامري مناقب الاسلام فقد أسهب في ذكر فضائل الاسلام بطريقة المقابلة بين الاسلام والأديان الأخرى بما يثلج الصدر رغم قدم عصره وكتابات المحدثين في ذلك أشهر من أن تذكر

الثاني : **الرخص الشرعية** التي شرعت مراعاة للضعف البشري والحالات الطارئة اذ لا تستقيم حياة الانسان على حال واحد ولا تبقى على وتيرة واحدة بل يعتريها العجز والمرض وتتعرض للكيد والاكراه والشريعة الاسلامية ترعى تلك الأمور وتلحظها في تشريعاتها.

فلو تعرض المسلم في حياته لشيء من الكيد والاكراه جازله أن يتلفظ بكلمة الكفر اذا لم يقو على تحمل ذلك الكيد، يقول سبحانه وتعالى : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون /١٠٥/ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم / ١٠٦)[١].

يقول ابن كثير رحمه الله : (اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي ابقاء لمهجته)[٢].

أما في العبادات ففيها من الرخص ما يرفع الحرج عن المسلم فيخفف بعضها أحيانا ويعفى عن البعض احيانا اخرى فالصلاة مثلا شرع تخفيفها على المسافر فلا يصلي من الرباعية الا ركعتين[٣]، وتعفى المرأة الحائض من أدائها والمريض يصليها حسب طاقته أو قاعدا.. أو غير ذلك[٤].

والصيام يباح تركه للمسافر والمريض ثم يقضي متى استطاع ذلك[٥].

والزكاة لا تجب على من لا يملك نصابا لها.

والحج لا يجب على العاجز ولا الفقير ولا الخائف ولا على المرأة عديمة المحرم[٦].

---

(١) سورة النحل آية ١٠٥ ــ ١٠٦

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٨

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٢

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٦٠

(٥) المرجع السابق ج ٣ ص ٤٣ ــ ٥١

(٦) تراجع كتب السنة والفقه وغيرهما ففيها زيادة توضيح وبيان

الثالث : النص على تيسير الشريعة في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة :

يقول تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج)[1] ويقول : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[2] ويقول : (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)[3] ويقول : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[4].

وفي السنة يقول عليه الصلاة والسلام : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[5]. وعنه ﷺ : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[6]. وقال : (لا تشدّدوا على أنفسكم فانما أهلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم)[7]. وعنه ﷺ : (قيل له أي الأديان أحب قال الحنيفية السمحة)[8]. وقال : (ان دين الله عز وجل في يسر ثلاثا)[9].

ولو تتبعنا ما ورد في ذلك من أحاديث رسول الله ﷺ لبلغت أكثر من هذا ولكننا نكتفي بهذا القدر للدلالة على يسر هذا الدين وأنه يتلاءم مع الفطرة البشرية على مدى الزمن ولا تحتاج بعده الى دين يرفع عنها أغلالا فيه أو آصارا كما كانت الأديان من قبل.

وقد شهد لهذه الشريعة حتى أعداؤها الذين لم يؤمنوا بها، وسنذكر بعض تلك الشهادات ليعلم أن روعة الشريعة وعظمتها ليست خافية على أحد، وأن ما فيها من المميزات الخاصة التي تؤكد خاتميتها وقدرتها على استيعاب الحياة ورعايتها يلمسه كل من درس هذه الشريعة أو اطّلع على بعض أصولها.

١) يقول رينان الفرنسي وهو من أحرار الفكر الفرنسيين والمؤرخين : (الاسلام هو دين الانسان)[10].

---

(١) سورة الحج آية ٧٨
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦
(٣) سورة النساء آية ٢٨
(٤) سورة البقرة آية ١٨٥
(٥) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٥٩ — وقد تقدم
(٦) رواه احمد كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ٦٢
(٧) رواه الطبراني في الأوسط والكبير كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ٦٢
(٨) رواه احمد في المسند ج ١ ص ٢٣٦ وغيره
(٩) رواح احمد في المسند ج ٥ ص ٦٨ — ٦٩ وغيره
(١٠) تراث الاسلام ص ٤١٢

٢) ويقول دافيد دي سانتيلانا الباحث في الفقه الاسلامي والقانون : (لمّا كان الشرع الاسلامي يستهدف منفعة المجموع فهو بجوهره شريعة تطورية[١] غير جامدة)[٢] ويعقّب على ذكره لميزات الشريعة بقوله : (تلك هي الميزات التي تسم الشريعة الاسلامية في كبد حقيقتها قد نجرأ على وضعها في أرفع مكان وتقليدها أجلّ مديح علماء القانون وهو الخليق بها)[٣].

٣) ويقول البحاثة الأمريكي «هوكنج» والذي كان أستاذا للفلسفة بجامعة هارفرد في كتابه (روح السياسة العالمية) يقول : (ان في نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنموّ، لا بل انه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا النظم المماثلة. والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النموّ والنهضة في الشرع الاسلامي وانما في انعدام الميل الى استخدامها. وانّي أشعر بكوني على حق حين أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض)[٤].

٤) ويقول الدكتور «ازيكو انسابا توحين» : (ان الاسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل في خلال القرون ويبقى محتفظا بكامل ماله من قوة الحياة والمرونة... فهو الذي أعطى للعالم أرسخ الشرائع بتاتا وشريعته تفوق في كثير من تفاصيلها الشرائع الأوربية)[٥].

وقد تمثل هذا التشريع في مجتمع بشري حيّ ــ هو المجتمع الاسلامي الأول ــ وارتقى به الى مدارج الكمال وقمة العزة من غير أن يضيق بشيء من أمورهم أو يغفل عنه ــ وتلك شهادة الواقع وهي من أكبر الشهادات وأقواها.

وذلك لأنها شريعة خالدة جاءت لتكون قائدة للبشرية في كل عصورها.

---

(١) هذا تعبيره الذي أراد أن يصف به الشريعة وهو لا شك وصف مدح في ميزان القانونيين، أما نحن فنعتبر ذلك تعبيرا خاطئا لأن الشريعة قد كملت منذ جاءت فلم يعد بها حاجة الى تطور وانما هي المرونة والشمول.

(٢) تراث الاسلام ص ٤٣٣

(٣) المصدر السابق ص ٤٣٨

(٤) روح الدين الاسلامي ص ٣٠١

(٥) المصدر السابق ص ٣٠٢ نقلا عن كتاب الاسلام وسياسة الخلفاء

الفصـــل الرابـــع

خصائص الأمة المحمدية ودلالتها على الختم

تمهيـــــد :

أ ــ مسئولية الأمة المحمدية عن حفظ الدين وتبليغه.

ب ــ ظهور المجددين في الأمة الاسلامية على رأس كل قرن.

ج ــ قيام المهدي والمسيح بالاصلاح في آخر عهد الأمة الاسلامية.

تمهيـــــد :

تحتاج الأديان السماوية التي ينزلها الله سبحانه وتعالى الى الناس الى صيانة ورعاية، كما تحتاج كذلك المجتمعات التي تتنزل عليها تلك الأديان الى رقابة وهداية لتستقيم على تلك الأديان المنزلة عليهم... هذا أمر بدهيّ لا يحتاج الى اقرار أو تأكيد.

ولهذا فانّا نرى أن من سنة الله تعالى أنه يتعهد دينه الذي ينزله الى خلقه بمن يرعاه ويحافظ على صلاحه. ومن ذلك ما أخبرنا به نبينا ﷺ حيث يقول : (كانت بنو اسرائيل تسوسها الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبيّ وانه لا نبيّ بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون)[1]. وهكذا كانت سنة الله عز وجل مع الأمم السابقة وخاصة بني اسرائيل يبعث لها الأنبياء لسياستها ورعاية دينها..

أما هذه الأمة فان الله سبحانه وتعالى قد أكرمها بأن خصها من بين الأمم بميزات خاصة ومنها انه جعلها هي صاحبة ذلك الأمر.. فهي بنفسها التي ترعى نفسها وتحافظ على تنفيذ شريعتها.. فلم يحوجها بعد الى أنبياء يبعثون للقيام بذلك..

وتلك الرعاية لها ثلاثة جوانب.. منها ما هو مسئولية الأمة بأسرها.. ومنها ما هو مهمة أناس أفذاذ يكونون على رأس كل مائة سنة.. ومنها ما يكون في آخر الحياة الدنيا اذ تكون الأمة قد تعرضت لفساد كبير لبعدها الزمني عن فترة نزول الوحي وضعف تمسكها بدينها، زد على ذلك الفتنة العظمى التي تتمثل في الدجال الذي لا يقوم لفتنته الا شخصية أعلى من الأشخاص العاديين.. وبهذا تكون الأمة قد اكتفت بنفسها ولا حاجة لها الى نبوات جديدة.

وسنرى في هذا المبحث ان شاء الله تلك الجوانب الثلاثة.

---

(١) تقدم ص (٢٨)

أ ـــ مسئولية الأمة المحمدية عن حفظ الدين وتبليغه :

* لقد كلف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة المسلمة بوظيفة الاصلاح والرعاية لنفسها ولدينها، وتلك هي وظيفة الأنبياء والرسل. يقول تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[1] . فانظر كيف جعل الله سبحانه وتعالى لها مكانة الأنبياء التي هي الشهادة على الناس ويوضح تلك الوظيفة قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[2]، فذكر سبحانه وتعالى أنه جعلهم خير أمة وجدت على هذه الأرض، وذكر أنها «أخرجت للناس».. وان هذا التعبير يوحي بذلك التكريم الرباني الذي أسبغه الله عز ذكره على هذه الأمة.. فهي صنعت وربّيت لتقوم بوظيفة الرسل.. فقال «أخرجت» ولم يقل خرجت ثم انها أخرجت للناس ولم يقل أخرجت لنفسها. ثم يذكر جلّ وعلا وظيفتها في هذه الحياة وهي : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فأقامها سبحانه وتعالى حارسة لنفسها ولدينها فلا تترك منافذ الشر قائمة في المجتمع.. فكلما ترك أحد منهم معروفا أمرته بأدائه، وكلما ظهر منكر في أوساطها حاربته وقضت عليه، وبذلك يبقى هذا الدين قائما محفوظا.

ويقول عليه الصلاة والسلام : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)[3] .

وبهذا الأمر الذي يشمل كل أفراد الأمة تتحقق وظيفة الأمة وتتحدد مسئوليتها تجاه دينها وشريعتها.

* هذه وظيفتها في داخل المجتمع المسلم. أما في خارجه فهي كذلك مطالبة بالدعوة الى دين الله سبحانه وتعالى والجهاد في سبيله لتبلّغ كلمته سبحانه وتعالى الى كل البشر والا فبماذا تشهد يوم القيامة اذا دعيت للشهادة التي حملتها في هذه الدنيا. يقول تعالى عن ذلك : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)[4] ويقول ﷺ :(من مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بالغزو

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣
(٢) سورة آل عمران آية ١١٠
(٣) مسلم ج ١ ص ٦٩ واحمد وأصحاب السنن كذلك
(٤) سورة الحجرات آية ١٥

مات على شعبة من النفاق)[1]. هذه وظيفة الأمة عامة، رعاية الاسلام في الداخل ونشره في الخارج.. فأيّ حاجة بعد ذلك الى رسل يبعثهم الله سبحانه وتعالى.

والتاريخ يشهد لهذه الأمة بما قامت به من فتوحات في سبيل دينها وبلوغها به ما لم تبلغه أمة من الأمم في فترة قصيرة من الزمن. هذا في خارج الأمة.

أما في داخلها فقد كان التناصح ـــ ولا يزال ـــ مسئولية يشعر بها كل مسلم.

هذه هي وظيفة الأمة بأسرها ولكن الأمة قد تصاب بشيء من الضعف والوهن عن القيام بهذه الوظيفة بمجموعها فتوجد في الدين ثغرات لا يسدها الا شخصيات أقوى من العامة، ولذلك فان الله سبحانه وتعالى قد حفظ هذا الدين برجال أفذاذ يحيون ما مات من السنن، ويجددون ما وهن من الشريعة وهم المجددون الذين يبعثهم الله سبحانه وتعالى لتجديد دينه على رأس كل قرن.

ب ـــ ظهور المجددين في الأمة الاسلامية على رأس كل قرن :

ذكرنا سابقا أن الأمة مسئولة عن حراسة هذا الدين ورعاية حدوده متى تعرضت للتجاوز عنها أو التقصير فيها الا أنه قد تضعف الأمة وتصاب بشيء من الإلف للواقع المنحرف وتشغل بأمور دنياها عن تصحيحه مما قد يخلّ به.. أو قد تفاجأ بما هو أكبر من قدرتها وتفكيرها فيؤدي ذلك الى توهين أمر الشريعة واضعافها.. ولذلك فان الله سبحانه وتعالى يقيّض لها في كل قرن من الزمان رجلا أو رجالا يقومون بذلك الدور.. هذا ما وعد به رسول الله ﷺ هذه الأمة.

وقد وردت الآثار بذكر نوعين من هؤلاء المجددين :

النوع الأول : وهم المجددون في كل قرن من غير ذكر لأسمائهم أو شيء من أوصافهم غير التجديد.

والنوع الثاني : ـــ هم الذين ذكر النبي ﷺ ـــ أسماءهم وحدد أشخاصهم وهم المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١٧ وغيره

• فأما المجددون فقد ورد فيهم حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ان الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) رواه أبو داود[1] والحاكم[2] وقد صححه جماعة من الأئمة[3].

ومعنى هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يمتن على هذه الأمة بعالم مجاهد أو بعلماء مجاهدين عند رأس كل قرن يحيون ما انطمس من هذه الشريعة ويظهرون ما اختفى من سننها.

وفكرة التجديد قديمة في الأمة مما يقوي صحة الحديث في ذلك فقد ذكر البزار أنه سمع عبد الله بن عبد الحميد المغربي يقول : كنت عند أحمد بن حنبل فجرى ذكر الشافعي فرأيت احمد يرفعه وقال : (روى عن النبي ﷺ أنه قال : ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها قال : عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى وأرجو أن يكون الشافعي على المائة الأخرى)[4].

ولهذا يقول السيوطي (وأما المتقدمون فكلهم لهجوا بذكر هذا الحديث)[5] وقد أفرد له بعض العلماء رسائل تتحدث عن التجديد مع ذكر المجددين الذين قاموا بدور التجديد.

---

(١) السنن ج ٤ ص ١٥٤ وذكر أن له سندين. أحدهما موصول والآخر معضل

(٢) المستدرك ج ٤ ص ٥٢٢ وسكت علية الذهبي

(٣) صححه الزين العراقي كما في فيض القدير ج ٢ ص ٢٨٢ وصححه السيوطي في كتابه : التنبئة بمن يبعثهم الله على رأس كل مائة ـــ المثبت في كتاب المجددون في الاسلام ص ٦٢ وهذه عبارته : (اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح) وعزاه كذلك الى البزار والطبراني في الأوسط وابن عدى وغيرهم. وقال الألباني : (والسند صحيح ورجاله رجال مسلم) في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٢ ص ١٥٠ ـــ ١٥١

(٤) كتاب التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة / المثبت في كتاب المجددون في الاسلام وقد عزاه السيوطي الى البيهقي وابن عساكر في تاريخه وقد ذكره ابن كثير في البداية ج ١٠ ص ٢٥٣

(٥) المصدر السابق

وقد علل المنــاوي رحمه الله علة التجديد وبعث الله سبحانه للمجددين بقوله : (لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل، وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة الى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها بل لابد من طريق واف بشأنها اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم من الاعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث اجراء لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني اسرائيل مع أنبيائهم)[1].

وتختلف وجهات النظر بين العلماء في عدد المجددين في كل فترة هل يكون المجدد واحدا فقط أم أنه لا يمنع أن يكون أكثر من ذلك ؟ كما ادعت كل فرقة أن إمامهم هو مجدد تلك الفترة. ولذلك نرى المناوي رحمه الله يرى أنه (قد يكون المجدد أكثر من واحد)[2]. ويقول ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق الحديث (وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث والظاهر والله أعلم أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين الى غير ذلك من الأصناف)[3].

والذين يقيضهم الله عز وجل لهذا العمل قد لا يعلمون أنهم مجددون، ولا يدعون الناس الى الايمان بهم، اذ ليس ذلك الا للأنبياء فقط، أما هؤلاء الآخرون فلا يحق لهم ذلك ولهذا لم نر أحدا ممن أكرمه الله سبحانه وتعالى بالتجديد ادعى لنفسه تلك الصفة أو دعى الناس للايمان بما جاء به الا اذا كان فريضة من فرائض الاسلام أو سنة من سننه أحياها فهو انما يدعو الناس الى العمل بدينهم وشريعة نبيهم محمد ﷺ من غير أي اعتبارات أخرى.

وفي ذلك يقول الأستاذ المودودي (على أن الفارق الأساسي الذي يفرق بين المجدد والنبيّ هو أن النبيّ يكون مأموراً من عند الله بأمر تشريعي ويكون عارفا بكونه مأمورا من الله فيأتيه الوحي ويبتدئ بعمله بدعوى النبوة ويدعو الناس الى نفسه، وعلى قبول دعواه أو رفضها يتوقف الايمان والكفر.

والمجدد بخلاف ذلك لا يكون في شيء من تلك المنزلة فلا يكون مأمورا من الله، وان فرض أنه يكون فيأمر لا تشريعي، وكثيرا ما لا يكون هو نفسه عالما بكونه مجددا بل يعلم الناس بمكانه ذلك بعد موته عندما يستعرضون مآثره.

---

(١) فيض القدير ج ١ ص ١٠
(٢) فيض القدير ج ١ ص ١١
(٣) النهاية ج ١ ص ٢٠ والبداية بمعناه ج ٦ ص ٢٥٦

ولا يلهم المجدد بالضرورة، وان كان يلهم فلا لزام أن يكون على شعور بذلك الالهام. ثم انه لا يبتدئ عمله بدعوى من الدعاوي ولا يجوز له ذلك البتة لأن المجدد لا يكون أحد مكلفا بالايمان به) الى أن قال : (وعلى كل لا يكون الايمان به شرطا من شروط الاسلام)[1].

وقد قام بهذه المهمة رجال وجماعات عدة منذ القرن الأول الى اليوم ولا يزال الاسلام بفضل الله عز وجل ثم بفضل ما بذلوه من جهود عظيمة في سبيل حفظه وحفظ أهله لا يزال غضاً طريا كما أنزل يسهل على كل من أراد أن يعبد الله سبحانه على بصيرة أن يعرفه ويستبينه.

والمتتبع لتاريخ الأمة يرى في كل قرن عشرات العلماء الذين قاموا بمهمة الاصلاح اشتهروا بالتجديد[2]. ولا يزال العلماء المجددون لهذا الدين يأتون في كل زمن يجاهدون لاحيائه ويزيلون عنه ما قد علق به من الشبهات متحملين في سبيل ذلك أصناف الابتلاء والأذى...

وهذه المهمة القيادية التي يصطفى الله لها رجالا مجاهدين في سبيله عالمين بشرعه ودينه تكفي لحراسة هذه الأمة وتوضيح الطريق أمامها في كل عصر ومصر فتكون حجة الله قائمة الى قيام الساعة..

فلا حاجة اذن الى نبوات جديدة أو رسالات جديدة تقوم بدور الرعاية لأن الأمة الاسلامية غنية بنفسها عن ذلك تكرمة الله لهذه الأمة.

ج ــ قيام المهدي والمسيح بمهمة الاصلاح في آخر عهد الأمة الاسلامية :

• فأما النوع الثاني وهم الذين وردت الآثار بتحديد أسمائهم أو صفاتهم فهم ــ المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام ــ وذلك أنه كلما تقادم العهد بالمسلمين وتعاورت عليهم السنون كلما ضعفت شوكتهم رغم ما يوجد فيهم من مصلحين ومجددين الا أنه قد تصل الحال الى درجة لا يستطيع القيام بأعباء الاصلاح فيها الا رجل فذّ يختاره الله سبحانه للاصلاح وقد حددت الآثار النبوية شخصيتين ينوط الله بهما مهمة حفظ الدين وصلاح الأمة اذا وصلت الى ذلك الحد في آخر عمرها وهما المهدي والمسيح عليه السلام.

---

(١) موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه ص ٥٣ ــ ٥٤

(٢) يراجع كتاب فيض القدير ج ٢ ص ٢٨٢ وكتاب عون المعبود ج ١١ ص ٣٩٣ وكتاب تاريخ الأستاذ محمد عبده ج ١ المقدمة اذا تحدثت عن أسماء المجددين.

* **فأما المهدي** : فقد ورد فيه عدة أحاديث منها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (أبشركم المهدي في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحا فقال رجل وما صحاحا ؟ قال : بالسويّة بين الناس قال ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله حتى يأمر مناديا فينادي فيقول من له في مال حاجة ؟ فما يقوم من الناس الا رجل واحد فيقول ائت السّدّان — وفي رواية السّادن — يعني الخازن — فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالا فيقول له احث حتى اذا جعله في حجره وأبرزه ندم فيقول كنت أجشع أمة محمد نفسا ؟ أو عجز عني ما وسعهم ؟ قال فيرده فلا يقبل منه فيقال له انّا لا نأخذ شيئا أعطيناه فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ثم لا خير في العيش بعده أو قال ثم لا خير في الحياة بعده) رواه احمد[1] وأبو داود[2] وابن ماجة[3] والحاكم[4] وأبو يعلى[5].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (يلي رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي) وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي) رواه احمد[6] والترمذي[7].

وقد ورد فيه أحاديث كثيرة عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم نكتفي بالاشارة اليها :

١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه أبو داود[8] واحمد[9] وابن ماجة[10].

---

(١) المسند جـ ٣ ص ٣٧
(٢) السنن ج ٤ ص ١٥٢
(٣) السنن ج ٢ ص ١٣٦٦
(٤) المستدرك جـ ٤ ص ٤٦٤ وقال الذهبي سنده مظلم
(٥) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٤ وقال المؤلف : (رواه احمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات)
(٦) المسند ج ١ ص ٣٧٦
(٧) السنن ج ٤ ص ٥٠٥ وقال : (حديث حسن صحيح)
(٨) السنن ج ٤ ص ١٥١ و ص ١٥٣
(٩) المسند ج ١ ص ٨٤
(١٠) السنن ص ١٣٦٧

(٢) وأم سلمة أخرجه أبو داود[١] وابن ماجة[٢] والطبراني في الكبير والأوسط[٣] باختصار.

(٣) وعن ثوبان أخرجه ابن ماجة[٤] والحاكم[٥] واحمد[٦].

(٤) وعن أنس اخرجه ابن ماجة[٧].

(٥) وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رواه ابن ماجة[٨]

(٦) وعن قرة بن اياس رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط[٩].

هذه الآثار جميعها لم يرد شيء منها في الصحيحين الا أنه قد ورد في صحيح مسلم آثار تشير الى المهدي من غير ذكر اسمه فقد روى عن أبي سعيد الخدري وجابر ابن عبد الله قالا قال رسول الله ﷺ (يكون في آخر الزمان خليفة يقسّم المال ولا يعدّه) رواه مسلم[١٠].

وقد أورد مسلم عن أبي سعيد الخدري عدة روايات أخرى كلها تدور حول هذا المعنى الوارد في الحديث.[١١]

وقد تعرض ابن كثير رحمه الله لموضوع المهدي في كتابيه البداية والنهاية وساق عدة أحاديث في اثباته ثم قال : (ولا شك أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره وأنه يكون في آخر الزمان يملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا وظلما)[١٢]، وقد عنون له في كتابه النهاية وهو

---

(١) السنن ج ٤ ص ١٥١ و ص ١٥٣

(٢) السنن ج ص ١٣٦٨

(٣) مجمع الزوائد وفيه عمران القطان وثقة ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح ج ٧ ص ٣١٤

(٤) ج ٢ ص ١٣٦٧

(٥) المستدرك ج ٤ ص ٤٦٣ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي

(٦) المسند ج ٥ ص ٢٧٧

(٧) السنن ج ٢ ص ١٣٦٨

(٨) السنن ج ٢ ص ١٣٦٨

(٩) مجمع الزوائد وذكر أن في سنده داود بن المحبر بن فحذم عن أبيه وقال وكلاهما ضعيف ص ٣١٤

(١٠) في صحيحه ج ٤ ص ٢٢٣٥ و ص ٢٢٣٤

(١١) في صحيحه ج ٤ ص ٢٢٣٥ و ص ٢٢٣٤

(١٢) البداية ج ٦ ص ٢٤٧

كتاب الفتن والملاحم بقوله : (فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان وهو أحد الخلفاء الراشدين المهديين)[1] وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله (ان الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة)[2].

وقال ابن القيم رحمه الله بعد أن أورد عدة أحاديث (وهذه الأحاديث أربعة أقسام : صحاح وحسان وغرائب وموضوعة)[3] ثم ذكر أن للناس فيه أربعة أقوال (أصحها أنه من أهل بيت النبيّ ﷺ من ولد الحسن ثم قال في آخر ذلك (وهذه الأحاديث وان كان في اسنادها بعض الضعف والغرابة فهي مما يقوي بعضها بعضا ويشد بعضها بعضا فهذه أقوال أهل السنة)[4] وقد أورد السيوطي رحمه الله أحاديث في المهدي في جزء لطيف سماه «العرف الوردي» في أكثر من أربعين صفحة.[5]

ونكتفي بهذه النقولات في اثبات المهدي ولو أردنا أن نستقصي جميع الآثار والأقوال في المهدي لطال بنا ذلك واستغرق مئات الصفحات ولكنا نحيل من أراد الاستزادة في ذلك الى الكتب التي تعرضت لذكره[6].

ونعود الى ما يهمنا ذكره وهو أن الله عز وجل تعهد هذه الأمة عند كل مرحلة من حياتها بمن يرعى لها شريعتها ومجتمعها كلما زلت بها الطريق، والمهدي أحد الخلفاء الراشدين الذين يختارهم الله عز وجل لتلك المهمة.

ه وقد اعترض بعض العلماء والكتّاب قديما وحديثا على فكرة المهدي لسببين :

الأول : لما صاحب هذه الفكرة من الأخطاء في التصور وذلك يتمثل في جانبين :

أ ــ التخاذل المشين عن الاصلاح وانتظار المهدي الموعود ليخرج الى المجتمع ليقوم بذلك الدور مما أدى الى كثرة الفساد وفشو المنكر[7]، والناس يتلهّون

(١) النهاية ج ١ ص ٢٧ أو الفتن والملاحم

(٢) منهاج السنة ج ٤ ص ٢١١

(٣) المنار ص ٧٧ ــ المنار في الصحيح والضعيف ص ٧٧

(٤) ص ٧٩ ــ ٨٠ / المنار في الصحيح والضعيف

(٥) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٣ ــ ١٦٦

(٦) الكتب التي مرت سابقا

(٧) يراجع في ذلك تفسير المنار ج ٩ ص ٤٥٩

يذكر المهدي وينتظرون خروجه من احدى الزوايا. ولا شك أن هذا ضلال في الفهم وضعف في الدين.[1]

ب ــ ادعاء بعض الفرق المهدية لامامها أو تقمّص بعض الأفراد لتلك الشخصية والدعوة الى الايمان بنفسه.[2]

وكلا هذين الفهمين خطأ وضلال الا أن وجود الخطأ في الفهم لا ينفي ما وردت به النصوص الصريحة مثله كمثل الأخطاء الأخرى التي وقعت في فهم بعض شرائع الاسلام.

ثم ان المهدي شخصية عادية يكرّمها الله عز وجل بصفات القيادة الحكيمة التي ترشحها لدور الاصلاح، ولا يترتب على الايمان به اذا جاء كفر أو ايمان اذ لا يأتي بشرع جديد وانما يجدد أمور الدين المندرسة ويعلي شأن الأمة الاسلامية بما يحييه فيها من شرع نبيها من غير أن يدّعي الوحي لنفسه أو العصمة في فهمه وانما يكون خاسرا من لم يتبعه لأنه قائم بشرع الله الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ.

أما السبب الثاني في اعتراض المعترضين على القول بخروج المهدي :

فهو ما ورد في سنن ابن ماجة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : (لا مهدي الا عيسى بن مريم)[3] وتدور روايته على محمد بن خالد الجندي وهو مجروح قال فيه الأزدي (منكر الحديث) وقال الحاكم (مجهول) وقال الذهبي عن الحديث أنه (خبر منكر)[4].

وقال ابن تيمية (وهذا الحديث ضعيف)[5]. وقال ابن حجر (مجهول)[6]. وأنكر ابن كثير جهالته ولكنه ذكر أن ذلك لا ينافي الأحاديث المثبتة (بل يكون المراد من ذلك أن المهدي حق المهدي هو عيسى بن مريم ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديا)[7] وقال القرطبي ويحتمل أن يكون قوله عليه السلام «ولا مهدي الا عيسى» أي لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى قال وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض)[8].

---

(١) موجز تاريخ الدين واحيائه ص ٦٠

(٢) يراجع في ذلك منهاج السنة ج ٤ ص ٢١١ ــ ٢١٢ وضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٣٥

(٣) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٤٠

(٤) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٣٥

(٥) منهاج السنة ج ٤ ص ٢١١

(٦) تقريب التهذيب ج ٢ ص ١٥٧

(٧) النهاية ج ١ ص ٣٣

(٨) العرف الوردي في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٦

وبما تقدم ترتفع الشبه ولا مبرر لانكار المهدي بمجرد حديث مختلف في صحته مع أن الأحاديث على خروج المهدي أصح اسنادا[1] منه.

وبهذا يتضح أن الأمة الاسلامية قد هيء لها من المجددين في كل فترة من الزمن ما يكفي لرعايتها. وكم مرت بالأمة الاسلامية من ظروف قاسية ومحن دامية لو كانت على غير هذه الأمة لما بقي لها عين ولا أثر مما يؤكد لنا ما أكرم الله به هذه الأمة من الحفظ والرعاية، وما يحمله هذا الدين من عناصر القوة والخلود..

وانما سيكون دور المهدي اذا جاء هو جمع شمل الأمة على خليفة واحد يرعاها ويعينها على التزام شريعة ربها بحيث لا يكون لها حاجة الى نبوات جديدة.

* **وأما المسيح عليه السلام**: فقد جاء في نزوله في آخر الزمان عدة أحاديث يصل مجموعها الى درجة التواتر وذلك في آخر الزمان ووظيفته بعد نزوله هي قتل الدجال أولا ثم احياء ما انطمس من هذه الشريعة واعادة المسلمين إلى ظلالها ـ وكذلك غير المسلمين ـ من غير أن يحدث دينا جديدا أو نبوة جديدة. وقد روى آثار نزوله أكثر من عشرين صحابيا، وسنكتفي بذكر بعضها والاشارة الى مواطن البعض الآخر:

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد). رواه البخاري[2] ومسلم[3] وأبو داود[4] وابن ماجة[5] واحمد[6] مع اختلاف في الألفاظ.

---

(١) المنار في الصحيح والضعيف ص ٧٤
(٢) الصحيح ج ٣ ص ١٠٧
(٣) الصحيح ج ٤ ص ٢٢٢١
(٤) ج ٤ ص ١٦٧
(٥) ج ٢ ص ١٣٦٣
(٦) ج ٢ ص ٤٠٦

٢) وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطّلع النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال : (انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ..) رواه مسلم[1] وغيره.

٣) وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة... ثم ذكر قصة الدجال وخروجه وما يجري على يديه ثم قال : (فبينما هو كذلك اذ يبعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ) رواه مسلم[2].

٤) وعن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة) رواه مسلم[3].

فأما بقية الأحاديث فهي :

٥) عن عبد الله بن عمرو عند مسلم[4] واحمد[5] والحاكم[6].
٦) وثوبان / أخرجه النسائي[7] واحمد[8].
٧) ومجمّع بن جارية الأنصاري / الترمذي[9] واحمد[10].

---

(١) الصحيح ج ٤ ص ٢٢٢٥
(٢) الصحيح ج ٤ ص ٢٢٥٠
(٣) الصحيح ج ١ ص ١٣٧
(٤) ج ٤ ص ٢٢٥٨
(٥) ج ٢ ص ١٦٦
(٦) ج ٤ ص ٥٤٣
(٧) ج ٦ ص ٤٢
(٨) ج ٥ ص ٢٧٨
(٩) ج ٣ ص ٣٥٠
(١٠) ج ٣ ص ٤٢٠

٨) وأبو امامة الباهلي / أبو داود[١] وابن ماجة[٢] والحاكم[٣] .

٩) وعبد الله بن مسعود / ابن ماجة[٤] واحمد[٥] .

١٠) وعثمان ابن العاص / احمد[٦] والحاكم[٧] .

١١) وسمرة بن جندب / احمد[٨] والنسائي[٩] والترمذي[١٠] والحاكم[١١] .

١٢) وعبد الله بن عمر / احمد[١٢] ورزين[١٣] .

١٣) وعبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي / الحاكم[١٤] .

١٤) وأنس بن مالك / الحاكم[١٥] .

١٥) وأوس بن أوس الثقفي / الطبراني[١٦] .

١٦) وعمران بن حصين / احمد[١٧] .

١٧) وعائشة / احمد[١٨] الهيثمي[١٩] .

---

(١) ج ٤ ص ١١٧

(٢) ج ٢ ص ١٣٥٩

(٣) ج ٤ ص ٥٣٦

(٤) ج ٢ ص ١٣٦٥

(٥) ج ١ ص ٣٧٥

(٦) ج ٤ ص ٢١٦

(٧) ج ٤ ص ٤٧٨

(٨) ج ٥ ص ١٣

(٩) ج ٣ ص ١٤٠

(١٠) ج ٣ ص ٤٠

(١١) ج ١ ص ٣٣٠

(١٢) ج ٦ ص ٣٣٣ تحقيق احمد شاكر

(١٣) المشكاة ج ٣ ص ٢٩٣

(١٤) ج ٣ ص ٤١

(١٥) ج ٤ ص ٥٤٥

(١٦) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٠٥ ورجاله ثقات

(١٧) ج ٤ ص ٤٢٩

(١٨) ج ٦ ص ٧٥

(١٩) ج ٧ ص ٣٣٨

(١٨ وسفينة مولى رسول الله ﷺ / احمد[١] الهيثمي[٢].

(١٩ وحذيفة بن اليمان / ابن جرير[٣] السيوطي[٤].

(٢٠ وعبد الله بن مغفل / الطبراني في الكبير والأوسط[٥].

(٢١ وعبد الرحمن بن سمرة / السيوطي[٦].

(٢٢ وعن أبي سريحة / مسلم[٧].

هذه بعض الآثار التي استطعت الوقوف عليها والاشارة الى مواطنها اذ لو اثبتناها واستقصيناها لكانت بحثا مستقلا[٨]، وهي كما يرى القارىء تبلغ حد التواتر وتردّ على الذين أنكروا نزول عيسى بدعوى أن الآثار الواردة فيه أحاديث آحاد وأحاديث الآحاد كما يزعمون لا تثبت بها عقيدة كما سيأتي ان شاء الله.

وعقيدة أهل السنة والجماعة هي اثبات نزوله وقيادته لهذه الأمة بالكتاب والسنة من غير نبوة جديدة وهذه أقوال العلماء في ذلك :

بوّب البخاري في صحيحه لذلك بقوله (باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام) ثم ساق الأحاديث في ذلك.[٩]

وبوّب النووي لأحاديث مسلم في نزول المسيح بقوله : (باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا)[١٠] عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) ج ٥ ص ٢٢١

(٢) ج ٧ ص ٢٤٠

(٣) ج ١٧ ص ٦٩

(٤) ج ٤ ص ٣٣٧

(٥) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٣٥

(٦) ج ٢ ص ٢٤٥

(٧) الصحيح ج ٥ ص ٢٢٢٧

(٨) ومن أراد الاطلاع والاستزادة فيراجع ــ كتاب الاعلام بحكم عيسى عليه السلام للسيوطي ضمن مجموعة الحاوي للفتاوي ص ٢٧٧ ج ١ والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١١٧ وكتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح.

(٩) الصحيح ج ٤ ص ٢٠٤

(١٠) شرح مسلم ج ٢ ص ١٨٩

وقال القاضي عياض رحمه الله : (نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب اثباته)[1].

وقال البغدادي عن عقيدة أهل السنة والجماعة (وقالوا : انه ينزل الى الأرض بعد خروج الدجال فيقتل الدجال ويقتل الخنزير ويريق الخمور ويستقبل في صلاته الكعبة ويؤيد شريعة محمد ﷺ ويحيي ما أحياه القرآن ويميت ما أماته القرآن)[2].

وقال ابن كثير : (انه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة)[3].

ووظيفة عيسى عليه السلام لها جانبان :

الأول : قتل المسيح الدجال الذي لم يخلق الله سبحانه وتعالى فتنة أعظم من فتنته منذ خلق الدنيا الى قيام الساعة فادّخر لها نبيه عيسى عليه السلام.

الثاني : تجديد ما وهي من معالم الشريعة كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه : (ويدعو الناس الى الاسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام)[4] ولا يعدو كونه أحد أفراد هذه الأمة وحاكما بشريعتها كما في رواية البخاري : (حكما مقسطا)[5] قال الكرماني في شرحها : (يعني يحكم بالقرآن لا بالانجيل أو أنه يصير معكم بالجماعة والامام من هذه الأمة) الى أن قال : (والغرض أنه خليفتكم وهو على دينكم)[6]. وقال النووي رحمه الله في (حاكما) أي ينزل حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو من حكام هذه الأمة)[7].

---

(١) النووي ج ١٨ ص ٧٥ شرح صحيح مسلم

(٢) الفرق بين الفرق ص ٣٤٣

(٣) التفسير ج ١ ص ٥٧٧

(٤) المسند رحمد ج ٢ ص ٤٠٦

(٥) الصحيح ج ٣ ص ١٠٧

(٦) شرح البخاري ج ١٤ ص ٨٨

(٧) شرح مسلم ج ٢ ص ١٩٠

وقال ابن الجوزي : (لو تقدم عيسى اماما لوقع في النفس اشكال ولقيل : أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا ؟ فصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله : («لا نبي بعدي»)[1].

وفي صلاة عيسى عليه السلام وراء رجل من هذه الأمة دليل قاطع على استمرار رعاية الله لهذه الأمة بقادة مصلحين كما قال ابن الجوزي رحمه الله في ذلك يقول : (وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة)[2].

وقال ابن التين في معنى «وامامكم منكم» : (أن الشريعة المحمدية متصلة الى يوم القيامة وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم)[3].

هذه لمحة موجزة عن نزول المسيح عليه السلام حاكما لهذه الأمة محييا لشريعتها متّبعا لنبيها عليهما الصلاة والسلام وبذلك يكون الله عز وجل قد تعهد هذه الأمة بمن يرعى لها دينها ويظهر ما خفى من شرعها فتبقى الشريعة محفوظة مصونة لا يكاد يلحقها شيء حتى يقيّض الله لها من يصححه ويبينه وبذلك تكون الأمة الاسلامية مستغنية عن أي رسالة جديدة أو وحي جديد يقوم بذلك الدور.

• والعجيب أن هناك طوائف في القديم والحديث قد أنكرت نزول المسيح كما أنكرت خروج المهدي بظنون عقلية لا ترتفع الى درجة الاحتجاج أمام الأحاديث المتواترة. وعلى رأس تلك الفرق المنكرة بعض المعتزلة والجهمية في القديم ومن تأثر بالنزعة العقلية من المحدثين كالأستاذ محمد عبده ومن حذا حذوه.

يقول القاضي عياض عن المنكرين قديما : (وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى : (وخاتم النبيين) وبقوله ﷺ «لا نبيّ بعدي» وباجماع المسلمين أنه لا نبيّ بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة لا تنسخ)[4].

---

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٤٩٤

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

(٤) شرح النووي لمسلم ج ١٨ ص ٧٥

وملخص قول المنكرين لعودة المسيح ـ كما يذكرها الأستاذ محمد عبده رحمه الله أن للرفع والنزول في آخر الزمان تخريجين (أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي لأن المطلوب فيها اليقين وليس في الباب حديث متواتر. وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسرّ رسالته على الناس وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلام والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها.. الى أن قال فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الاسلامية لاصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر)[1].

هذا ملخص آراء المنكرين لنزوله عليه السلام: قوم توهموا معارضة نزوله لخاتمية الرسول ﷺ وآخرون زعموا أن الأحاديث في نزوله أحاديث آحاد ثم ذهبوا مذهبا بعيدا في تأويل نزوله وحكمه في الأرض.

ولموضوع عيسى عليه السلام ورفعه الى السماء ونزوله الأرض وسيرته فيها ووظيفته بعد نزوله وذكر أكثر أحواله بعد نزوله كلام طويل ليس هذا محل بحثه واستقصائه ولكنا نكتفي هنا بالرد الموجز على تلك الآراء المنكرة لنزوله بعد أن رأينا طرفا من الآثار المثبتة لنزوله عليه السلام.

فأما المنكرون لذلك فالرد عليهم بما يلي :

١) أن أحاديث نزوله عليه السلام قد بلغت حد التواتر لا كما يزعمون من كونها أحاديث آحاد ! والمنكر لها يعرّض نفسه للهلاك.

٢) أن نزول عيسى عليه السلام لا يقدح في كون رسولنا ﷺ آخر الأنبياء لأن عيسى ممن نبيء قبله عليه الصلاة والسلام ولأنه لا ينزل نبيا[2] وانما حاكما ولا يسلب ذلك عنه تكريم الله له بالنبوة ثم ان الذي أخبر بنزوله عليه السلام هو الذي أخبر أنه لا نبي بعده ولا تعارض بينهما ولله الحمد.

٣) أن العقل البشري ليس له حق القيادة في هذه الأمور الغيبية وانما وظيفته الاتباع والتسليم خاصة اذا ثبتت الآثار النقلية في ذلك.

---

(١) المنار ج ٣ ص ٣١٧

(٢) يراجع شرح النووي على مسلم ج ١٨ ص ٧٥

وهذا هو الغرض من نزول الوحي الى البشر أن يكون حاكما لا محكوما وقائدا لا مقودا، الا أن أصحاب المدرسة العقلية قديما وحديثا (١) لم يرضوا بذلك، وحاولوا اخضاع الوحي ليوافق عقولهم. واستمع الى تلك المدرسة وهي تحاول ليّ عنق النصوص لتوافق ما ابتكرته عقولهم.. يقول رائد تلك المدرسة في الحديث وهو الأستاذ محمد عبده : (ان الدجال رمز للخرافات والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة)[٢] فقد أوّل المسيح سابقا ثم أوّل الدجال هنا..[٣].

وهذا كله ناتج من اعطاء العقل أكثر من حجمه وذلك مسلك خطير يؤدي الى هدم الدين اذ كل انسان سيدّعي أن عقله لا يتفق مع كذا... ولا يستسيغ عقله كذا الا بكذا... وهكذا... ثم انه أيّ عقل هذا الذي يكون ميزانا لفهم هذه الأمور حتى يكون هو المقياس..[٤].

والذي يهمنا هنا معرفته هو أن الله سبحانه وتعالى قد تعهد هذه الأمة بمن يرعاها ويجدد لها أمر دينها بدءا بالمسئولية العامة للأمة ثم المجددين لكل قرن ثم أخيرا المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام والذي تكون أولى أعماله الاصلاحية القضاء على الدجال وفتنته ثم الدعوة الى الاسلام ورفع رايته. وفي هذا التعهد الرباني لهذه الأمة على مدى التاريخ ما يجعل هذه الأمة غير محتاجة الى نبوات جديدة ترعاها أو تهديها.

---

(١) قديما المعتزلة ومن حذا حذوهم وحديثا الأستاذ محمد عبده ومن تأثر برأيه وخاصة المتأثرين بأوربا في القرن التاسع عشر وما بعده الذين بهرتهم الحضارة الغربية ــ يراجع كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ١٥٧

(٢) وهذا المسلك الذي سلكه محمد عبده في الدجال قد سلكه غيره من المحدثين كالأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي في رسالته : (الصراع بين المادية والإيمان) وكذلك الأستاذ محمد أسد النمساوي في كتابه الطريق الى الاسلام ص ٣٠٨ اذ يعتبر الأخيران الحضارة الغربية هي الدجال مع التعليل والتوضيح لما يقولان

(٣) يراجع تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٧ اذ كلا هذين القولين في صفحة واحدة

(٤) لقد ناقش الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه ــ خصائص التصور الاسلامي مسلك الأستاذ هذا ص ١٨ ــ ١٩ فليراجع. وكذلك الدكتور محمد البهي اعتبر هذا المسلك منه رحمه الله كرد فعل لظروف خاصة ص ١٣٠ من كتابه السابق ــ الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي فليراجع

الفصل الخامس

شبهات مردودة

أ ــ المحدَّثون.
ب ــ القول بنبوّة ابرهيم عليه السلام بن النبيّ ﷺ
ج ــ نهي عائشة رضي الله عنها عن قول : (لا نبي بعده) ﷺ
د ــ الاستثناء فيَ ختم النبوة.

تمهيـــــــد :

بعد أن أثبتنا عقيدة ختم النبوة بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة واجماع الأمة وبالأدلة العقلية من دراستنا لبعض خصائص الاسلام والأمة الاسلامية ـــ بعد ذلك نعرض في هذا الفصل للشبهات الواردة على تلك العقيدة والتي قد تفهم من الآثار الواردة في شأن وجود المحدَّثين في هذه الأمة والقول بنبوة ابراهيم بن النبيّ عليه السلام لو عاش، وكذلك نهي أم المؤمنين عائشة عن قول لا نبيّ بعده، وما روى من الاستثناء في ختم النبوّة.

أ ـ المُحَدَّثون :

وردت أخبار صحيحة عن رسول الله ﷺ تدل على وجود نوع خاص من الناس يسمّون بالمحدَّثين ليسوا بأنبياء ولا رسلا ولكنهم يكونون في أمم الأنبياء والرسل.

وقد أشارت تلك الآثار الى احتمال وجودهم في هذه الأمة، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيكون أحدهم ان وجدوا.

وقد استغل بعض مرضى النفوس تلك الاشارة الى المحدَّثين[1] وادّعى للمحدَّثين من الصفات ما يرفعهم الى مصاف الأنبياء مما جعلنا ندرسهم في هذا الفصل ليتضح المعنى المراد من التحديث والمحدَّثين في الأحاديث الواردة في ذلك.

أولا : الأحاديث الواردة في ذلك :

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (انه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون وانه ان كان في أمتي هذه منهم فانه عمر بن الخطاب) رواه البخاري[2].

٢) وعنه كذلك : (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن من أمتي منهم أحد فعمر) رواه البخاري[3].

٣) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : (انه لم يبعث الله نبيا الا كان في أمته محدث وان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر قالوا يا رسول الله كيف محدَّث ؟ قال : تتكلم الملائكة على لسانه) رواه الطبراني في الأوسط.[4]

٤) وعن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان يقول : (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم) قال ابن وهب تفسير محدَّثون ملهمون. رواه مسلم[5] والترمذي بلفظ (فان يك في

---

(١) وسيأتي ذلك

(٢) ج ٤ ص ٢١١ و ج ٥ ص ١٥

(٣) البخاري ج ٥ ص ١٥

(٤) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٩ وقال (فيه أبو سعيد خادم الحسن البصري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات)

(٥) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٦٤ عن عائشة

أمتي أحد فعمر بن الخطاب). وقال الترمذي حدثني بعض أصحاب سفيان قال : قال سفيان بن عيينة (محدثّون مفهّمون)[1] .

هذه الأحاديث التي وردت في المحدّثين لا تؤكد وجود المحدثين في هذه الأمة اذ وردت بأسلوب التردد ثم إنها علقت كون عمر رضي الله عنه محدّثا بشرط الوجود والوجود غير مؤكد.. اذن ليس مؤكدا أن عمر رضي الله عنه محدث. ولكنا سنفترض وجودهم في هذه الأمة وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم فما هو المراد بهذا اللفظ ؟ وما هي الأمور التي يكتسبها المحدث من وراء هذا الوصف ؟ وما الفرق بينه وبين النبي ؟ كل ذلك ينبغي أن يتضح ولو بايجاز حتى لا يبقى مجال للدخول باسمه الى دائرة النبوة المختومة.

ثانيا : معنى محدّث لغة وشرعا :

يقول أهل اللغة في ذلك : (ويقال للرجل الصادق الظن : محدّث ــ بتشديد الدال المفتوحة)[2] .

ويقولون في الملهم ــ وهو تفسير لمحدّث في بعض الروايات ــ يقولون : (هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة)[3] .

أما أقوال غير أهل اللغة فهي ما يأتي :

قال ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن مراتب الهداية للانسان قال : (المرتبة الرابعة : مرتبة التحديث وهذه دون مرتبة الوحي الخاص وتكون دون مرتبة الصدّيقين كما كانت لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه ثم قال : (والمحدّث هو الذي يحدّث في سرّه وقلبه بالشيء فيكون كما يحدّث به)[4] .

وقال ابن حجر رحمه الله : (واختلف في تأويله فقيل «ملهم» قاله الأكثر قالوا : المحدّث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدّثه غيره به. وبهذا جزم أبو احمد العسكري.

---

(١) ج ٥ ص ٦٢٢ في سننه
(٢) لسن العرب ج ٢ ص ١٣٤
(٣) لسان العرب ج ٢ ص ١٣٤
(٤) مدارج السالكين ج ١ ص ٣٩

وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد. وقيل مكلّم أي تكلّمه الملائكة بغير نبوّة.)[1]

وقال النووي رحمه الله : (واختلف تفسير العلماء للمراد بمحدّثون فقال ابن وهب ملهمون وقيل مصيبون واذا ظنوا فكأنهم حدّثوا بشيء فظنوا وقيل تكلمهم الملائكة) ثم ذكر عن البخاري رحمه الله أنهم الذين (يجري الصواب على ألسنتهم).[2]

والرأي الأرجح والله أعلم أنه هو ما اتفقت عليه أقوال أهل اللغة وعلماء الشريعة من أنه هو الرجل الصادق الظن الذي يلقى في روعه الشيء فيجري الصواب على لسانه.

أما حديث الملائكة لهم فهو مما رواه العلماء بصيغة التمريض وهي قيل ثم انه لو كان كذلك للزم الناس ما يخبرهم به المحدّث ولما جاز مخالفته، لأن الملائكة لا تقول الا حقاً.. وهذا ما لم يقل به أحد من سلف الأمة ولم يرد به أثر صحيح ولا ضعيف ـــ أعني الزام الناس بقبول قول المحدّث ـــ ولو كان كذلك لأخبرنا النبيّ ﷺ لئلا نقع في الحرج مع المحدّثين. ثم انه لو كان مكلّما من الملائكة لكان من خصائص المحدّث أن يأتي ببرهان على أنه محدّث يكون في درجة الاعجاز لئلا تقع الأمة في مخالفته وهو يتلقى علمه من الملائكة.. ثم انه لم ينقل عن عمر رضي الله عنه فرض رأيه على أحد باسم التحديث بل كان يخطيء ويصيب، وكان يصحح له من ليس محدّثا..

ولتوضيح ذلك فلا بد أن نعقد مقارنة موجزة بين النبيّ والمحدّث حتى يتبين مدى التمايز بينهما. ذلك أن كلا من النبيّ والمحدّث يتميز بخصائصه الخاصة به.

ثالثا : الفرق بين النبيّ والمحدّث :

١) النبي : يوحى اليه بوحي يعلم أنه وحي من الله عزّ وجلّ سواء كلّف بتبليغه الى الناس أم لا.

والنبيّ لا يحتاج الى التأكد من صحة ما أوحى اليه به بعرضه على وحي سابق لأنه يعلم يقينا أنه وحي من الله سبحانه ووحي الله عز وجل يكمّل بعضه بعضا، ثم ان النبيّ معصوم من الوهم فيما يخبر به عن الله سبحانه كما قال

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٥٠
(٢) شرح مسلم ج ١٥ ص ١٦٦

جل ذكره (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الأ من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم..)[1] فهو هنا يحرسهم حتى يبلّغوا عنه.

والنبيّ ان أخطأ في رأي أو اجتهاد فان الله سبحانه لا يتركه على ذلك بل يصحح له عن طريق الوحي كما وقع في قصة أسرى بدر حيث أنزل الله (ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)[2] وكإذنه للمتخلفين عن تبوك يقول الله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم)[3] وغير ذلك كثير —.

٢) أما المحدّث : فانه يحدّث في سرّه بالشيء ولا يعلم أنه من الله.

وقد (كان عمر رضي الله عنه يقول : لا يقولنّ أحد قضيت بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه وأما الواحد منا فرأيه يكون ظنا ولا يكون علما)[4] أي أنه لا يصل ذلك التحديث الى درجة اليقين لعدم تيقّنه بكونه من الله سبحانه، وكان رضي الله عنه اذا قضى في شيء لا يعتبره قضية مسلّمة وأنه من الله بل يعزوها الى نفسه غير مؤكد صحتها. ففي قضية الكلالة قال : (أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان).[5]

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل المحدّثين — ان وجدوا — وقد شهد له رسول الله ﷺ بقوله : (اني لأنظر الى شياطين الانس والجنّ قد فرّوا من عمر)[6]. وقال عليه الصلاة والسلام (ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)[7]. ومع ذلك لم يعتبر آراءه حقا صوابا بل كان يتهم نفسه كما سبق ولذلك كان يعرض آراءه على الكتاب والسنة.

---

(١) سورة الجن آية ٢٦ — ٢٨

(٢) سورة الأنفال — آية ٦٧ — يراجع تفسير الطبري لهذه الآية وغيره

(٣) سورة التوبة آية ٤٣

(٤) تفسير مفاتح الغيب ج ١ظ ص ٣٣

(٥) مدارج السالكين ج ١ ص ٤٠

(٦) رواه الترمذي ج ٤ ص ٦٢٢

(٧) الترمذي ج ٤ ص ٦١٧

والمحدَث يجب أن يعرض آراءه على الكتاب والسنة :

لما كان المحدَّث لا يعلم أن ما في قلبه من الله فانه يلزمه ليعلم صحة ذلك أن يعرض على ميزان صحيح واضح وليس ذلك الا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وقد كانت هذه حالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع نفسه وغيره. يقول ابن تيمية رحمه الله (فليس في المحدّثين أفضل من عمر.. وقد وافق ربّه في عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل ما يرد عليه حتى يعرضه على الرسول ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله... وكان اذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع الى السنة.

وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيانه وارشاده كما جرى يوم الحديبية ويوم مات رسول الله ﷺ ويوم ناظره في مانعي الزكاة وغير ذلك. وكانت امرأة ترد عليه وتذكر الحجة من القرآن فيرجع اليها كما جرى في مهور النساء ومثل ذلك كثير)[١] .

ومن الأمور التي بيّنها له أبو بكر رضي الله عنه وردّه فيها الى الصواب أمر موت النبيّ ﷺ حيث قام عمر يقول : (والله ما مات رسول الله ﷺ ــ وكان يقول بعدها : والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ــ وليبعثنّه الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبّله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيّا وميّتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا. ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر :

فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت وقال : (انك ميت وانهم ميتون)[٢] وقال (وما محمد إلاّرسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين)[٣] رواه البخاري[٤] .

---

(١) رسالة الفرقان ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٥٥ ــ ٥٦ وراجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٧

(٢) سورة الزمر آية ٣٠

(٣) سورة آل عمران آية ٤٤

(٤) الصحيح ج ٧ ص ١٩ بشرح فتح الباري عن عائشة وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٣ مع شيء من الاختلاف.

وكذلك في قصة الحديبية عندما صالح النبيّ ﷺ قريشا (وثبت عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس رسول الله ؟ قال : بلى قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى. قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى. قال فعلام نعطي الدنيّة في ديننا ؟ قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه فاني أشهد أنه رسول الله قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله...)[1] .

وقد قال عمر في ذلك (ما زلت أتصدّق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرا)[2] لأنه قد قال للرسول ﷺ مثل ما قال لأبي بكر.

وكذلك في قصة عيينة بن حصن عندما دخل عليه فقال له (هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه ﷺ (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وان هذا من الجاهلين. قال ابن عباس الراوي (والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقّافا عند كتاب الله) رواه البخاري[3] .

وقال ابن حجر رحمه الله (ان المحدّث منهم اذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له بل لابد له من عرضه على القرآن فان وافقه أو وافق السنة والا تركه)[4] .

وهكذا يتبين لنا أن المحدّث ان أخطأ في فهمه أو اجتهاده فانه يبقى كذلك حتى يعرضه على الكتاب والسنة أو ينبّهه أحد لذلك الخطأ.

فكون الانسان محدّثا لا يكون ذلك مبرّرا له للخروج على الشريعة الاسلامية بل هو تابع لرسول الله ﷺ وقد رأينا كيف كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعود في رأيه الى شريعة الاسلام ولم يعرف عنه أنه ادّعى لنفسه حق الخروج عليها بحجة أنه محدّث.

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١٦ ــ ٣١٧ وقد وردت القصة في صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٨١ بشرح فتح الباري / مع شيء من الاختلاف

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١٧

(٣) ج ٨ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ بشرح فتح الباري

(٤) فتح الباري ج ٧ ص ٥١

ويقول في ذلك ابن تيمية رحمه الله (ولو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج الى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيا عن الرسول في بعض دينه وهذا من المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر)[1].

وبهذه المقارنة التي قدمناها بين النبيّ والمحدّث تتضح لنا الفروق بينهما بحيث لا يشتبه أمر المحدّث بالنبيّ على أي حال.

رابعا : وجود المحدّثين في هذه الأمة :

وبعد أن عرضنا عدة جوانب من أمور المحدّثين نبحث بايجاز عن مدى صحة القول بوجودهم في هذه الأمة وحاجتها اليهم.

وللعلماء في ذلك قولان وذلك لاختلافهم في مفهوم الحديث السابق (فان يكن منهم أحد فعمر) هل ورد ذلك مورد التردد أو مورد التأكيد.

فمنهم من جعل ذلك تأكيدا لوجودهم ذكر ذلك ابن حجر رحمه الله بحجة أن (أمة محمد ﷺ أفضل الأمم واذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فامكان وجوده فيهم أولى)[2] ثم قال : (وتمحضت الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني اسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء عوّضوا بكثرة الملهمين)[3].

ولا ندري من أين عرف ابن حجر رحمه الله كثرتهم في هذه الأمة كما قال (تمحضت الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني اسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم) اذ ذلك من الأمور الغيبية التي لا تعرف الا بنص من الكتاب أو السنة وليس فيهما شيء من ذلك الا ما ذكر من الآثار المتقدمة التي لا تدل على شيء من ذلك لا من قريب ولا من بعيد.

ثم : هل كثرة الأنبياء دالّة على التفضيل والتكريم ؟ حتى يكون فوتها على هذه الأمة وحرمانها منها نقصا فيها يكمّل بكثرة المحدثين ؟

ان كثرة الأنبياء في اية أمة دلالة على أنها لا تزال أقل من رعاية نفسها بنفسها بجهدها هي وذلك ما كان عليه بنو اسرائيل.. أما هذه الأمة فقد كان من كرامة الله لها أن

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٤٣

(٢) ج ٧ ص ٥٠ من فتح الباري

(٣) المرجع السابق

ختم سلسلة الأنبياء بنبيّها لتتولى هي بنفسها قيادة نفسها ورعاية دينها. ولا شك أن في ذلك اعطاءها الثقة بنفسها، وأنها قد وصلت بهذا الدين مرحلة تستطيع معه الرعاية الذاتية لنفسها، وهذا ما تفردّت به هذه الأمّة كما قال تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

ثم ان الأنبياء في الأمم السابقة كانوا يقودون المجتمع بنبوّتهم تلك كما في الحديث السابق أن (بني اسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي) فالأمة هنا تستفيد من تلك النبوات بل يلزمها اتباعهم.

أما المحدثون في هذه الأمة فالفائدة قاصرة على الفرد المحدث نفسه ولا يلزم غيره متابعته أو الأخذ بقوله، ولهذا نرى أن النبيّ ﷺ بعد أن ذكر حال بني اسرائيل مع أنبيائهم لم يذكر في المقابل لهم المحدّثين وانما ذكر الخلفاء حيث عقّب على الكلام الأول بقوله (وانه لا نبيّ بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون)[1] فلو كان المحدّثون مضاهاة لأنبياء بني اسرائيل لذكرهم ولكنه لم يذكر الا الخلفاء فقط.. فليس لكلام ابن حجر رحمه الله اذن وجه هنا.

وفي مقابل ما ذكره ابن حجر يأتي القول الثاني وهو أن أحاديث المحدّثين وردت مورد التعليق فعلق كون عمر محدّثا منفردا أو معه غيره على فرض وجود المحدّثين في هذه الأمّة. ويرى أصحاب هذا الرأي أنه لم يتحقق وجود محدّثين في هذه الأمة وذلك ما يذكره ابن تيمية رحمه الله حيث قال : (وأما محمد ﷺ فبعث بكتاب مستقل وشرع مستقل كامل تام لم يحتج معه الى شرع سابق تتعلمه أمته من غيره ولا الى شرع لاحق يكمّل شرعه. ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : (انه قد كان في الأمم قبلكم محدّثون فان يكن في أمتي أحد فعمر) فجزم بأن من كان قبله كان فيهم محدّثون، وعلّق الأمر في أمته وان كان هذا المعلّق قد[2] تحقق لأن أمته لا تحتاج بعده الى نبيّ آخر فلأن لا تحتاج معه الى محدّث ملهم أولى وأحرى.

---

(١) في الأدلة النقلية من السنة

(٢) يبدو أن الكلام غير مستقيم ولعل فيه سهوا من الناسخ والأصح والله أعلم أن يقال ـــ لم يتحقق ـــ ليتسجم الكلام مع بعضه

وأما من كان قبله فانهم كانوا يحتاجون الى نبيّ بعد نبيّ فأمكن حاجتهم الى المحدّثين الملهمين ولهذا اذا نزل المسيح بن مريم في أمته لم يحكم فيهم الا بشرع محمد ﷺ [1].

وقد أشار ابن حجر رحمه الله الى هذا القول من غير عزو الى أحد [2]. وهذا هو الرأي الأصوب والله أعلم.

وسواء تحقق وجود المحدّثين في هذه الأمة أم لم يتحقق فذلك سيّان، اذ قد أوضحنا في هذا المقام معنى المحدث والفرق بينه وبين النبيّ وتبيّن لنا بذلك العرض الموجز أن المحدّث واحد من أفراد الأمة وأنه لا ينزل عليه وحي من السماء بل يرزق الظن الصادق والاصابة في بعض الأمور.

وبذلك يتضح المراد بالمحدّثين في أذهان الأمة فلا تنخدع بمن يدّعي الالهام والتحديث ليصرفهم عن دينهم بتلك الوساوس والخيالات التي يزعم أهلها تحت شعار الالهام أنها وحي من الله تعالى فيدعوهم لمتابعته أو تصديقه في دعاواه، اذ قد رأينا أن سيّد المحدّثين عمر رضي الله عنه لم يفعل شيئا من ذلك ولم يزعم نزول الوحي عليه بل كان يخطىء ويصيب، ويعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة فما وافقهما أمضاه وما خالفهما ألغاه، بل وأعلن للأمة في ذلك ما ينبغي أن يعيه كل مسلم حيث قال : (لا يقولنّ أحد قضيت بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيّه وأما الواحد منا فرأيه يكون ظنا ولا يكون علما [3] وقوله : (ألا انّ الوحي قد انقطع) [4] وذلك كله لئلا يبقى مجال للاضلال والإغواء. وأصرح من ذلك ثبوت انقطاع النبوّة وانقطاع الوحي كما سبق تقريره.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ١ ص ٣٤٨ — ٣٤٩

(٢) فتح الباري ج ١ ص ٥٠

(٣) تقدم في أول هذا المبحث

(٤) تقدم في الأدلة النقلية — في ما ورد عن الصحابة

وأخيرا فان هناك شبهة قد تثار حول الآية القرآنية التي ورد فيها قراءة خاصة لابن عباس — بزيادة محدّث — وهي : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ — ولا محدّث — إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم)[1]. هذه القراءة لابن عباس أوردها البخاري رحمه الله عن ابن عباس تعليقا[2] وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أن سندها الى ابن عباس صحيح[3]، فما هو المراد من هذه الآية ومدى امكان الاحتجاج بها ؟ ولتوضيح ذلك نقول :

١) القراءة التي لم تتواتر ليست بحجة في القرآن الكريم وهذه قراءة لم ترو الا عن ابن عباس رضي الله عنه وبقية الصحابة على خلافه.

٢) على فرض صحة ورودها فهي انما تعني المحدثين الذين كانوا قبل محمد ﷺ اذ كانوا يؤدون رسالات الى أقوامهم أما في هذه الأمة فقد انقطع باب الارسال، وختمت النبوة بنصوص قطعية ثابتة لا تحتمل تأويلا. وبالعودة الى الآية نرى ذلك واضحا اذ فيها أن الله عز وجل يسلي نبيه ﷺ بالرسل والأنبياء والمحدثين من قبله الذين قد أرسلوا الى أقوامهم بأنه قد وقع لهم مثل ما وقع له من التمني الذي يلقيه الشيطان ثم ان الله عز وجل ينسخ ذلك الالقاء.. الخ.

اذن فقد قيدت ذلك بمن قبله فلا دلالة فيها على شيء بعده ﷺ اذ لم يعد بعده مجال للارسال أو التنبؤ. ولو كان عمر محدثا مرسلا لوجب اتباعه ولكن ذلك لم يزعمه أحد.

يقول ابن تيمية رحمه الله عن هذه القراءة : (هذه القراءة ليست متواترة ولا معلومة الصحة ولا يجوز الاحتجاج بها في أصول الدين وان كانت صحيحة فالمعنى أن المحدّث كان فيمن قبلنا وكانوا يحتاجون اليه وكان ينسخ ما يلقيه الشيطان اليه كذلك. وأمة محمد ﷺ لا تحتاج الى غير محمد ﷺ)[4].

وبهذا يتضح المراد بتلك القراءة ومدى حجتها في دعوة ارسال المحدّث.

---

(١) سورة الحج آية ٥٢

(٢) ج ٧ ص ٥١ من صحيحه بشرح فتح الباري

(٣) الفتح ج ٧ ص ٥١

(٤) العقيدة الأصفهانية ص ١٠٧ ج ٥ من الفتاوي الكبرى

ب ـ القول بنبوّة ابراهيم عليه السلام بن النبي ﷺ

وردت آثار عن الصحابة رضي الله عنهم تتحدث عن نبوته لو عاش وهي بمجموعها نوعان :

النوع الأول :

يوافق النصوص الثابتة في ختم النبوة ولا يتعارض مع شيء منها.

النوع الثاني :

يوحي بمعارضة تلك النصوص الثابتة بما قد يوهم امكان حدوث نبوّة بعده ﷺ لو عاش ابنه ابراهيم وذلك باطل.

ولهذا فانا نعرضها هنا مع شيء من الدراسة الموجزة لها لينتفي ما قد توحي به من الشبهة.

النـــوع الأول :

١) عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : (ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبيّ عاش ابنه ولكن لا نبيّ بعده).
رواه البخاري[١] واحمد[٢].

٢) عن ابن عباس رضي الله عنه ـــ في تفسير آية الختم ـــ : (لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا).
ذكره البغوي في تفسيره.[٣]

وهذان الأثران قد تقدم ذكرهما في الأدلة النقلية ـــ

في هذين الأثرين الاخبار بأن النبوة قد انقطعت ولذلك فان الله عزّ وجلّ لم يجعل لرسول الله ﷺ ولدا يصير رجلا فيكون نبيا بعده ﷺ اكراما له من الله ـــ وان كنا لا نسلّم أنه لو عاش ابراهيم لكان نبيا فيما لو لم يقدّر ختم النبوة برسول الله ﷺ لأنه ليس ذلك شرطا أن ولد النبي لا بد أن يكون نبيا ـــ وليس هذا مما يهمنا بحثه هنا.

---

(١) ج ٨ ص ٥٤ من صحيحه
(٢) ج ٤ ص ٣٥٣ في المسند
(٣) ج ٦ ص ٥٦٥ وغيره من المفسرين

فالآثار اذن علّقت حياة ابراهيم ونبوّته على بقاء النبوّة، ولما كانت النبوّة منقطعة فان ابراهيم لم يعش وهذا الكلام لا يتعارض مع النصوص القطعية الثابتة في انقطاع النبوّة.

أما النوع الثاني فهو :

١) عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : (ولو عاش ـ أي ابراهيم ـ لكان صدّيقا نبيّا).

رواه ابن ماجة.[١]

٢) وورد هذا الأثر عن أنس رضي الله عنه موقوفا.

رواه احمـــد.[٢]

هذان الأثران وما في معناهما لها احتمالان :

أ ـ أنها لم تصح عن الصحابة رضي الله عنهم.

ب ـ أنها صحت ولكن رويت عنهم بالمعنى أو رويت غير كاملة.

فأما الأثر الأول الذي رواه ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنه فانه لم يصح لأن أحد رجال السند فيه مجروح، وهو «ابراهيم بن عثمان أبو شيبة».

قال فيه ابن معين ليس بثقة[٣].

وقال النسائي متروك.[٤]

وقال ابن حجر متروك.[٥]

فالأثر اذن لم يصح.

زد على ذلك مخالفته لما تقدم من قوله في آية الختم. وأما أثر أنس رضي الله عنه الذي رواه عنه احمد فهو صحيح ولكن يبدو أنه قد روى بشيء من التصرف والحذف.

---

(١) في سننه ج ١ ص ٤٨٤

(٢) في المسند ج ٣ ص ١٣٣

(٣) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٧ ـ ٤٨

(٤) المرجع السابق

(٥) تقريب التهذيب ج ١ ص ٣٩

فقد جاءت هذه الرواية عنه بنفس السند عند غير احمد بزيادة : (ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء)[1] . وبهذا يتضح تصرف الراوي عن أنس رضي الله عنه وأنه روى هذا الأثر ناقصا، وبذلك تنتفي الشبهة من قول أنس رضي الله عنه.

ومما يقوّي عدم صحة الآثار ــ في النوع الثاني ــ باللفظ الواردة به ما جاء عن النووي وابن عبد البر رحمهما الله من استنكارها واعتبارها من كلام المتقدمين فقط يقول النووي رحمه الله : (وأما ما روى عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام في المغيّبات ومجازفة وهجوم على عظيم من الزّلات.)[2]

ويقول ابن عبد البر رحمه الله : (لا أدري ما هذا القول فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبيّ الا نبيا لكان كل أحد نبيا لأنهم من ولد نوح عليه السلام).[3]

ولكن ابن حجر رحمه الله لم يفرّق بين النوعين من الآثار مما جعله يتعقّب النووي في قوله هذا حيث قال : (فلا أدري ما الذي حمل النووي ــ... على استنكار ذلك ومبالغته).[4]

وأما عدم تفريق ابن حجر بين النوعين فواضح من تصرفه في جمع الروايات من كلا النوعين ثم قوله : (فهذه عدّة أحاديث صحيحة عن هؤلاء الصحابة أنهم أطلقوا ذلك ــ أي نبوة ابراهيم لو عاش ــ) ثم قال بعدها : (فلا أدري ما الذي حمل النووي... الخ)[5] . ولعله رحمه الله لم يلحظ الا مجرد نبوة ابراهيم فقط فقال ما قال.

أما النووي وابن عبد البر فقد أرادا نفي النوع الأول كما سبق في كلام النووي ومثله عند ابن عبد البر في الاستيعاب وبذلك فلا وجه لاستنكار ابن حجر رحمه الله عليهما.

وبهذا يكون استنكار النووي وابن عبد البر على تلك الآثار مستقيما ويقوّي ذلك عدم ثبوتها باللفظ الذي وردت به. والله أعلم.

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٥٧٩

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٠٣

(٣) الاستيعاب ج ١ ص ٥١

(٤) فتح الباري ج ١٠ ص ٥٧٩

(٥) فتح الباري ج ١٠ ص ٥٧٩

ج ـ نهي عائشة رضي الله عنها عن قول لا نبيّ بعده (ﷺ) :

وردت بعض الآثار قد توهم بقاء سلسلة مستمرة بعد رسول الله ﷺ.

فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبيّ بعده).

وأخرج كذلك عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال رجل عنده (صلى الله على خاتم الأنبياء لا نبيّ بعده) فقال المغيرة حسبك اذا قلت خاتم الأنبياء فانا كنا نحدث أن عيسى عليه السلام خارج فان هو خرج فقد كان قبله وبعده)[1].

هذه الآثار لم ترو في الكتب المعتمدة في الحديث وهي الكتب الستة ولا في المسانيد وانما رويت في مصنف ابن أبي شيبة وهو أحد الكتب التي جمعت بين كل أصناف الحديث من الصحيح والحسن والضعيف والغريب والشاذ والمنكر وغير ذلك من أنواع الآثار. وهذا المصنف كذلك أحد المصنفات التي لم تشتهر ولم تلق عناية من العلماء لشرح غريبها وبيان صحيحها من سقيمها[2]، ولذلك فان هذين الأثرين لم تثبت صحتهما حتى الآن ومصنف ابن أبي شيبة لم يطبع منه الا جزء يسير ولمّا ينته بعد ولعله اذا تم ظهوره كاملا يتيسر معرفة درجة الأحاديث التي فيه.

ونحن نفترض أن الأثرين صحيحان وأنهما ثابتان عن عائشة وعن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنهما فما هي المعاني التي تفهم منهما.

أما الأثر المروى عن عائشة :

ففيه أنها تأمرهم أن يقولوا خاتم النبيين من غير زيادة نفي النبوة.
واثبات الخاتمية له ﷺ يعني أنه لا نبيّ بعده فكيف تنهى عن لفظ أثبتت معناه في أول كلامها.

لذلك عدة احتمالات :

---

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٤

(٢) حجة الله البالغة للدهلوي ج ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ بتصرف

الأول : أنها أرادت رضي الله عنها أن قول خاتم النبيين كاف في الدلالة على المعنى المراد وهو انقطاع النبوة فلا داعٍ لزيادة الشطر الثاني وهو لا نبي بعده اذ ذلك تكرار قد يحطّ من قيمة الكلمة القرآنية عن أداء المعنى المراد وحفاظا على ذلك فان عائشة رضي الله عنها نهت عن تلك الزيادة.

الثاني : أنها خافت رضي الله عنها أن تلك الزيادة قد توهم نفي نزول عيسى عليه السلام فيؤدي ذلك الى ردّ الأحاديث الثابتة في نزوله عليه السلام وذلك ما يدل عليه الأثر الثاني عن أبي موسى ويؤكده وهذا ما ذهب اليه ابن قتيبة رحمه الله حيث قال في قول عائشة هذا (وأرادت هي ــ لا تقولوا أن المسيح لا ينزل بعده)[1].

الثالث : أنها أرادت أنه يمكن مجيء أنبياء بعد رسول الله ﷺ وهذا احتمال مردود :

لأن معنى خاتم يدل على انقطاع النبوة كما رأينا ذلك من قبل وقد أثبتته في أول كلامها.

ولأن الأحاديث الدالة على انقطاع النبوة قد بلغت حد التواتر الذي رواه أكثر من سبعة وثلاثين صحابيا رضي الله عنهم ومثل ذلك لا يخفى عليها رضي الله عنها.

ولأن عائشة رضي الله عنها قد روت بعض الأحاديث الواردة في انقطاع النبوة بعد النبي ﷺ نحو قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يبقى بعدي من النبوة شيء الا المبشرات)[2] وهذا واضح الدلالة على انقطاع النبوة وانتهائها فكيف يتصور أنها رضي الله عنها تروي شيئا عن رسول الله ﷺ ثم تخالفه. لا شك أن ذلك لا يتصوره عاقل.

أما أثر أبي موسى رضي الله عنه فهو يحمل تفسيره في داخله اذ نهى عن زيادة جملة (لا نبي بعده) لأنها قد توهم نفي مجيء عيسى وهو مما وردت به النصوص الثابتة فيعرض المنكر لذلك نفسه لانكار الثابت من أحاديث

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١٨٨ ــ ١٨٩

(٢) الأدلة النقلية

رسول الله ﷺ ولذلك فان أبا موسى رضي الله عنه أراد تنبيه القائل الى ذلك الأمر وكلامه واضح في ذلك حيث قال : (فانا كنا نحدث أن عيسى عليه السلام خارج فان هو خرج فقد كان قبله وبعده) وهو مفسر لكلام عائشة رضي الله عنها كذلك.

د ــ الاستثناء في ختــم النبــوّة

روى الجوزقاني من طريق محمد بن سعيد المصلوب عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال :

(أنا خاتم النبيين لا نبيّ بعدي الا أن يشاء الله).

ذكره ابن الجوزى في «الموضوعات»[1] وابن العراق في «تنزيه الشريعة»[2]، والشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»[3].

وهذا الحديث باطل سندا ومتنا :

أمــا ســـندا :

فقد أجمع كل من ذكر هذا الحديث على أنه موضوع واتهم بوضعه رجل ادعى النبوة لنفسه فوضع هذا الحديث تمهيدا لذلك وهو محمد بن سعيد المصلوب والذي قتل بتهمة الزندقة في عهد المنصور.

واليك أقوال أئمة الحديث في محمد بن سعيد المصلوب هذا.

قال أبو احمد الحاكم فيه : (كان يضع الحديث).

وذكر أبو زرعة عن محمد بن خالد عن أبيه قال سمعت محمد بن سعيد ــ هذا ــ يقول : (لا بأس اذا كان كلاما حسنا أن تضع له اسنادا).

وقال الثوري فيه انه كذاب.

وقال احمد بن حنبل كان كذابا، وقال كذلك أنه صلبه أبو جعفر على الزندقة.

وقال كذلك ان محمدا كان يضع الحديث[4].

---

(١) ج ١ ص ٢٧٩

(٢) ج ١ ص ٢٣١

(٣) ص ٣٢٠

(٤) هذه النقولات من ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٦١ ــ ٥٦٢

وقال ابن الجوزي : (هذا الاستثناء موضوع وضعه محمد بن سعيد لما كان يدعو اليه من الالحاد ــ أي دعوة النبوة ــ شهد عليه بأنه وضعه جماعة من الأئمة منهم أبو عبد الله الحاكم رحمه الله)[1].

وقال الشوكاني : (والاستثناء موضوع وضعه أحد الزنادقة)[2] أراد به ــ الراوي المتقدم ــ ونحو هذا الكلام في تنزيه الشريعة[3]

هذا كلام علماء الحديث في سند هذا الحديث وخاصة في الراوي المسمى «بمحمد بن سعيد المصلوب» اذ هو المتهم بوضعه وقد رأينا اجماعهم على جرحه ونسبه الى الكذب والوضع والزندقة، وسيأتي دعواه النبوة ــ في الباب الثالث ــ ان شاء الله ــ ويبدو أنه مهد بهذا الحديث لدعواه تلك، ومن كان جريئا على الكذب على الله عزّ وجلّ بأنه أوحى اليه فليس بغريب عليه بعد ذلك أن يكذب على رسول الله ﷺ وقد رأينا تلك الجرأة منه عند قوله (لا بأس اذا كان كلاما حسنا أن تضع له اسنادا) فأي خير يا ترى فيه بعد هذا الحمق والمجازفة...

أما من ناحية المتن فأوّله وهو (أنا خاتم النبيين لا نبيّ بعدي) يكذب آخره وهو قوله (الا أن يشاء الله) اذ معنى خاتم النبيين أنه آخرهم وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه وهي نعمة وفضل منه سبحانه على رسوله ﷺ فكيف يسبغها على رسوله ﷺ ثم يعرضها للزوال.

وكذلك قوله : (لا نبيّ بعدي) لم يكن النبيّ ﷺ ليقولها ثم يشك فيها ثم انه لو كان هناك نبوات جديدة لأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله ليبلّغ أمته لتستعد لاستقبالها لئلا تتعرض للتكذيب فتكفر بها.

وان هذا الحديث الموضوع لا يخفى بطلانه على من له أدنى بصيرة في دين الله سبحانه وتعالى ولولا ضرورة البحث لما تعرضنا له لوضوح بطلانه وكذبه.

وهكذا تبطل جميع الشبهات الواردة على عقيدة الختم في هذه الآثار.

---

(١) الموضوعات ج ١ ص ٢٧٩

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٢٠

(٣) تنزيه الشريعة ج ١ ص ٢٣١

البـــاب الثـــاني

موقف الشيعة الامامية والصوفية من نزول الوحي بعد رســـول الله ﷺ

تمهيـــد :

الفصل الأول : الشيعة الامامية.

الفصل الثاني : الصوفيـــة.

تمهيـــــد :

الخروج على عقائد الدين كلها أو بعضها أمر ليس غريبا في المجتمع البشري سواء كان ذلك الخروج بطريق المواجهة والتصريح أم بطريق التأويل والتلويح. الا أن ذلك لا يؤثر في العقائد الصحيحة ولا يضير أهلها شيئا لأن من سنة الله في الحياة أن تختلف المفهومات وأن يتصارع الحق والباطل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية في هذه الأمة عقيدة ثابتة راسخة كما رأينا من قبل وهي تمثل السياج الحصين الذي يحفظ لهذه الأمة وحدتها وألفتها. وأيّ خروج على تلك العقيدة بأي صورة كان ذلك الخروج فانما هو خروج على الاسلام ومضادة لشريعة الايمان.

وقد وجدت فرق وطوائف خرجت على هذه العقيدة متقمصة في ذلك أثوابا عدة الا أنها في النهاية ترجع الى خطين متوازيين لكل منهما ملامحه الخاصة وذانك الخطان هما :

الأول : خط التصريح الذي يدّعي أصحابه النبوّة المطلقة وذلك سيأتي ان شاء الله في باب مستقل.

الثاني : فتح باب الوحي بعد النبيّ ﷺ مع عدم التصريح بادّعاء النبوّة. وهو ما سنعرضه في هذا الباب ان شاء الله.

وهذا الخط يشتمل على طائفتين من الطوائف المنتسبة الى الاسلام وهما الشيعة الامامية والصوفية. ولكل طائفة منهما أسلوبه الخاص الذي استخدمه للوصول الى غايته ومذهبه، وكلاهما يدّعي الايمان بعقيدة ختم النبوّة التي تعتقدها الأمة الاسلامية ولكن بالصورة التي تضمن لها التوفيق بينهما وبين ما تريد من اتصالها بخبر السماء. وطائفة الشيعة أكثر احتياطا من أصحاب الفكر الصوفي كما سنرى فيما سيأتي ان شاء الله تعالى. وسنبدأ بذكر الشيعة أولا لكونها أول الطوائف وجودا.

الفصـــل الأول

الشيعـــة الامامیـــة

تمهيـــد :

أ ــ ادّعاء نزول الوحي عند الامامية.

ب ــ الردّ على الامامية في دعوى نزول الوحي.

تمهيـــــــد :

يطلق اسم الشيعة على تلك الطائفة التي ناصرت عليًا رضي الله عنه وقدمته في الخلافة على عثمان رضي الله عنه أو قدمته على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.[١]

والامامية هي احدى الطوائف الشيعية وتسمى بذلك لاهتمامهم بالامام واكثارهم من ذكره وتعداد خصائصه ومميزاته بدءاً بعليّ رضي الله عنه وانتهاء ببقية الأئمة الذين يعتقدون أنهم توارثوا تلك الامامة بالوصاية.

وقد غالوا فيهم حتى أسبغوا عليهم صفات التعظيم والتقديس التي تخرجهم عن دائرة البشر العاديين، فادّعوا لهم علم الغيب[٢] ونزول الوحي عليهم وأنهم يحيطون علما بكل شيء في هذه الحياة، وأن الله جلّ وعلا يشاورهم عندما يطرأ على علمه جديد.[٣] كما يزعمونه.

والذي يهمنا بحثه هنا هو تجويزهم نزول الوحي على الأئمة الذين يعتقدون امامتهم بعد رسول الله ﷺ حسبما ورد في مصادرهم لما في ذلك من مخالفة عقيدة ختم النبوة التي سبق تقريرها، وسنعتمد في ذلك على أهم مراجعهم وهو كتاب أصول الكافي[٤] والذي له من المكانة عندهم ما لصحيح البخاري عند أهل السنة.[٥]

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٦٥ والملل والنحل ج ١ ص ١٤٦

(٢) كتاب أصول الكافي الشيعي ج ٣ ص ٢٤٠ ــ وسيأتي توضيح ذلك

(٣) الكافي ج ٣ ص ٢٣٢ ــ ٢٤٠

(٤) يقول أحد شراح هذا الكتاب وهو : عبد الحسين بن عبد الله المظفر ــ أحد علماء الشيعة وشارح كتابهم المذكور يقول في مقدمته لذلك الشرح : (ان كتاب الكافي في طليعة الكتب الأربعة التي هي محور العمل عليها) ــ ص ٣ ــ ثم قال بعد ذلك : (وهذا الكتاب أوفاها في الحديث ولم يعمل الامامية مثله) ويقول : (وعليه اعتماد العلماء منذ أن دوّنه مؤلفه حتى اليوم ــ ص ٥ ــ ج ١). ومؤلفه هو : أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ــ المتوفى سنة ٣٢٨ ويعتبره الامامية ــ مجددا للقرن الثالث ــ ص ٣٣ ج ١ من الشرح السابق و ج ٣ ص ٣٣٩ من تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

(٥) التحفة الاثنى عشرية ص ٥٢ ــ ١١٥ ــ ١١٧ ــ الحاشية وضحى الاسلام ج ٣ ص ٣١٣ الحاشية

أ ـــ ادّعاء نزول الوحي عند الامامية :

أول وحي ادّعت الامامية وقوعه بعد رسول الله ﷺ هو «لفاطمة» بنت رسول الله ﷺ، فقد أسند في كتاب أصول الكافي الى أبي عبد الله ـــ جعفر الصادق ـــ[1] أنه قال : (وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ؟! ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[2]. ثم ذكر ان الله أرسل اليها جبرائيل يسلّيها ويحدثها وان ذلك المصحف كان عبارة عن ذلك الحديث كتبه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.[3]

فقد أثبت في هذا الأثر أن فاطمة رضي الله عنها كان ينزل عليها جبرائيل وكتبت عنه مصحفا أكبر من مصحف أبيها وفيه ما ليس فيه كذلك. وأسند اليه كذلك أنه قال (انّ علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع فقال أما الغابر فما تقدم من علمنا وأما المزبور فما يأتينا وأما النكت في القلوب فالهام وأما النقر في الأسماع فأمر الملك)[4].

وأورد بسنده كذلك أن الحسن بن العباس المعروفي كتب الى الرضا (ع) : جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبيّ والامام ؟ فكتب أو قال : الفرق بين الرسول والنبيّ والامام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل (ع) فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم (ع) والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والامام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص) وقد استشهد على ذلك بآية : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ ولا محدّث)[5].

---

(١) هذا الاسم سيتردد كثيرا في هذا الفصل لأن أكثر روايات الامامية عنه ـــ فهو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط وهو سادس الأئمة الاثنى عشر عند الامامية كان من أجلاء التابعين وله منزلة في العلم، وقد ولد وتوفي بالمدينة ووفاته عام ١٤٨ هـ ـــ نقلا عن الاعلام للزركلي ج ٢ ص ١٢١

(٢) ج ١ ص ١٩٩

(٣) ج ١ ص ٢٠٢

(٤) ج ٣ ص ٢٤٨

(٥) ج ٣ ص ٣٠ وقد سبق الحديث عن هذه الآية

ففي هذين الأثرين اثبات سماع الملك لأئمتهم ولا شك أن الملك انما ينزل بأمر من الله عزّ وجلّ كما قال الله في الملائكة : (وما تتنزّل الا بأمر ربّك)[1].

وفي الأثر الثاني أكثر توضيحا من الأول اذ فيه أن الوحي للنبيّ على طريقين :

الأول : السماع من الملك مع رؤية شخصه.

والثاني : السماع دون الرؤية والامام يشارك النبيّ في هذه الطريق من الوحي.

وبذلك يسمى نبيا. يشهد لذلك الأثر الآتي عن أبي عبد الله الذي قال فيه : الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات :

فنبيء منبيء في نفسه لا يعدوها.

ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعثه الى أحد

وعليه امام مثل ما كان ابراهيم على لوط عليهما السلام.

ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل الى طائفة قلّوا أو كثروا كيونس قال الله ليونس : (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون ثلاثين الفا وعليه امام.

والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو امام مثل أولى العزم)[2] ففي الأثر السابق قبل هذا أن الامام يسمع صوت الملائكة ولا يرى أشخاصهم. وفي هذا الأثر أن السماع للصوت دون الرؤية للشخص احدى درجات النبوة عندهم. فالأئمة اذن أنبياء لأنهم يسمعون أصوات الملائكة من غير أن يروهم.

ولما كانت هذه هي مرتبة الامام في عرف الامامية فقد ألزمت الناس بطاعته كما ورد ذلك عن أبي عبد الله حيث قال : (أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة)[3] مما جعل بعض الشيعة يستفسر من جعفر الصادق عن مكانة الامام الذي قد أمر بطاعته أيوحى اليه أم لا. فأجاب أبو عبد الله ــ جعفر الصادق ــ بأن نعم كما رواه الكليني حيث قال : ان

---

(١) سورة مريم آية ٦٤
(٢) ج ٣ ص ١٢٣
(٣) الكافي ج ٤ ص ٦١

المفضل سأل أبا عبد الله بقوله (جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء ؟ قال ــ أبو عبد الله ــ لا : الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحا ومساء)[1]. ويقول الشارح للكافي (كيف يفرض الله سبحانه وتعالى على الناس طاعة عبد وهو ليس له من العلم ما يحتاجونه بل الله أعزّ وأكرم من أن يحجب عنه علم سمائه وأرضه. ولذلك الامامية ذهبوا الى أن الامامة لا تصلح الا لمن له منزله النبوة)[2].

وفي أثر آخر أن رجلا سأل أبا عبد الله عن كيفية العلم الذي يأتيم فقال أبو عبد الله : (كما كان رسول الله ﷺ يعلم إلا أنهم يرون ما كان رسول الله ﷺ يرى لأنه كان نبيا وهم محدّثون)[3].

ولهذا فان الأنبياء والأوصياء متساوون في علومهم لتساويهم في مصدر التلقّي كما ورد ذلك في مخطوطة بعنوان (كتاب أنوار الاسلام في علم الامام) حيث قال مؤلفها : (أما العلم الحق فهو علم الأنبياء والأوصياء اذ لا يعتريه الخطأ ولا السهو ولا النسيان فهو علم لدنيّ شهودي صادر عن الوحي والحدس والالهام والله ضامن لصحة هذا العلم لأنه من لدنه وكل ما يحصل لغير المعصومين والأوصياء فكرا يحصل لهم حدسا أو بداهة وما يحصل للناس بالحواس يتم لهم بالشهود والقياس.

وليس المقصود القياس العقلي وانما الانتقال من الظاهر الى الباطن وليس علمهم وقفا على شرائع الدين وأحكامه وانما شئون الدنيا كذلك غير أن الشريعة تصدر عنهم عن وحي وما يتعلق بمسائل الدنيا عن الهام)[4].

وقد ادّعوا لأئمتهم أمورا غيبية لا يعرفها البشر إلّا بالوحي وذلك تحت عناوين عدّة في كتابهم ذلك ــ أصول الكافي ــ وهذه بعض تلك العناوين :

---

(١) ج ٣ ص ٢٤١

(٢) ج ٣ ص ٢٤٤

(٣) ص ٢٠٥ ج ٣ وقد رأينا من قبل معنى المحدّث وما له من خصائص

(٤) ذكر ذلك الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه ــ نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ص ١٤٥ ــ ١٤٦

باب أنّ الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون الاّ باختيار منهم[1].

باب أنّ الأئمة اذا شاؤوا أن يعلموا علموا.[2]

باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم.[3]

ونحن نعلم أن معرفة الغيب خاصة بالله سبحانه وتعالى ولا يصل الى معرفته الا صنف واحد من الخلق وهم «الرسل» وذلك باطلاع الله لهم فإما أن يكون هؤلاء — أي أئمتهم آلهة أو رسلا وهم لا يدعون لهم الألوهية — كالغلاة — فاذن يكونون رسلا والرسل لا يعلمون ذلك الا بالوحي فأئمتهم اذن يوحى اليهم على أقل تقدير[4]. يقول الله عزّ وجلّ (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الاّ من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا).[5]

ولتكتمل صفات الأنبياء في أئمتهم فقد زعم بعضهم أن الأئمة تظهر على أيديهم المعجزات[6].

— هذه هي عقائدهم من أهم مصادرهم :

فقد رأينا أنهم بدأوا باثبات الوحي لفاطمة حتى ادّعوا لها مصحفا خاصا نزل به عليها جبرائيل ونسخه علي بن أبي طالب وهذا المصحف مستقل عن القرآن وليس فيه مما في مصحف المسلمين الذي أنزله الله على محمد ﷺ ولا حرف واحد... الى آخر تلك الدعاوي السابقة. ثم لما مهّدوا لتلك العقيدة — نزول الوحي — بوقوعه لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها سهل عليهم أن يصلوا الى اثباته للأئمة الذين هم الأوصياء على الشيعة بعد عليّ رضي الله عنه وذلك عن طريق سماع صوت الملك دون رؤية شخصه.

---

(١) ج ٣ ص ٢٣٢

(٢) ج ٣ ص ٢٧١

(٣) ج ٣ ص ٢٤٩

(٤) أي بهذه الأوصاف

(٥) سورة الجن آية ٢٦ — ٢٨

(٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٢٣ حيث ذكر اختلاف الروافض في ذلك وهو يعني بهم الامامية انظر ص ٨٨ من نفس الجزء.

وهذه الطريق هي احدى طرق الوحي في درجات النبوة كما تقدم في تقسيمهم الأنبياء الى طبقات قالوا فيها (ونبيّ يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة) وكانت حجتهم على ذلك كما سبق آنفا أن الله لا يأمر بطاعة عبد لا يأتيه الخبر من السماء ولا شك أن الخبر الذي يأتيهم من السماء هو وحي يأتي به الملك (لأن الامامة لا تصلح الا لمن له منزلة النبوة) كما يقول شارح الكافي.

وأخيرا فانّ (الشريعة تصدر عنهم عن وحي وما يتعلق بمسائل الدنيا عن الهام) كما في المخطوطة السابقة.

هذه هي عقيدتهم في نزول الوحي على الأئمة كما صوّرتها مصادرهم. وليست تلك العقيدة عند الامامية من الأمور الخفيّة التي لم تظهر الا اليوم بل هي أمر واضح من قديم الزمن فقد تحدث عنها أبو الحسن الأشعري رحمه الله في أواخر القرن الثالث حيث ذكر أنه يوجد في طائفة الروافض — الامامية — من يزعم نزول الملائكة على أئمتهم بالوحي كما يذكر أن فيهم من جوّز نسخ الشرائع وتبديلها على أيديهم[1] مما يؤكد لنا أن هذه العقيدة قد عرفت عنهم من قبل ثم لا تزال مراجعهم كما رأينا تحتفظ بها وترويها.

مقصود الشيعة الامامية من هذه الدعوى :

تقصد الامامية من وراء ذلك حصر قيادة الأمة في ذرية علي رضي الله عنه — أو غيره كما عند بعض فرق الشيعة الأخرى.

ولما كانت «قيادة» الأمة تحتاج صفات فذّة تؤهّل صاحبها لذلك المنصب الكبير وخاصة «صفة العلم» ويستحيل أن تتوفر تلك الصفات في بيت واحد يتوارثونها واحدا بعد الآخر فانهم ابتدعوا هذه العقيدة «نزول الوحي على الأئمة» ليسهل استسلام الناس للامام من غير قيد ولا شرط اذ يأتيه خبر السماء صباح مساء ولو لم تدركه عقولهم اذ الاعتراض على الامام انما هو اعتراض على وحي السماء ولذلك فانه أشرك بين الأوصياء والأنبياء في الطاعة...

---

(١) في مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٢٣ وذكر النسخ صاحب مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١١٥ وذكر الوحي الأستاذ احمد أمين في كتابه ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢١٤

ولو أراد أحد أن يبحث عن البرهان الذي يؤكد له تلك الدعوى لأوهموه أن الامام لا يحتاج الى معرفة دليل امامته لأن الأوصياء يتوارثون وصية الامامة من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأي شيء يقتنع به التابع الشيعي ؟ لا شيء الا كلام مجرد في أغلفة من الأحاديث المكذوبة والتهديدات المخيفة التي تصف الشخص غير المتابع بالكفر اذ قضية الامام عندهم يترتب عليها كفر وايمان كبقية الأركان الخمسة في الاسلام.

ب ــ الرد على الامامية في دعوى نزول الوحي :

لا بد هنا من وقفة قصيرة لمناقشة تلك الدعوى وبيان بطلانها وضلالها :

أولا : انها دعوى مجردة من الأدلة النقلية من الكتاب والسنة ومن الأدلة العقلية، بل ان تلك الأدلة كلها ــ كما تقدم في أول البحث ــ تعارضها وتبطلها. وكل دعوى بهذه الصورة فهي دعوى باطلة مرفوضة من أساسها.

ثانيا : ان الآثار الواردة في ادّعاء نزول الوحي انما هي كلام أسندته الشيعة الى أئمتهم وذلك لا يخلو من أحد احتمالين :

أ ــ أنه ثابت عنهم كما نقله الرواة وهذا ما نستبعده ــ لجلالة الأئمة المسند اليهم ــ ولو ــ حتى على سبيل الفرض ــ قلنا بصحته فهو كلام مجرد من دليله ولا يلزم أحدا التصديق به اذ الالزام انما يكون بالكتاب والسنة الصحيحة أو ما اعتمد عليهما من اجماع ونحوه ــ وهذه كلها مؤكدة لانقطاع الوحي.

ب ــ واما أن يكون ذلك لم يصح عنهم ــ وهو الراجح ــ ويؤكد هذا ضعف الأسانيد وجهالتها التي قامت عليها مصادرهم ورواياتهم تلك الى أئمتهم..

فالآثار التي سبق اثباتها كلها مطعون في أسانيدها من علماء الشيعة أنفسهم[1]، وقلّ أن تجد في كتابهم ذلك الذي رأينا مكانته عندهم كما تقدم[2] أثرا لم يطعن في سنده مما يفقد معه الكتاب مكانته العلمية التي تؤهله لاثبات أصل من أصول الشريعة بل ولا فروعها.

وتعرض هنا أهم موضوع في ذلك الكتاب وهو كتاب «التوحيد» لنرى مكانة الآثار التي رويت فيه كما يذكر ذلك شارح أصول الكافي الشيعي :

الباب الأول فيه : «باب حدوث العالم واثبات المحدث».

فيه سبعة آثار واليك درجتها الاسنادية :

الأول والخامس والسادس والسابع قال الشارح في كل واحد منها «مجهول اسناده» من ص ٣ / الى ص ٣٥ / جـ ٣.

والثاني والثالث والرابع قال في كل واحد منها «ضعيف اسناده» من ١٠ — ٢٠ هذا — الكتاب — كتاب التوحيد — أهم كتاب في العقيدة الاسلامية ليس فيه أثر صحيح ولا حسن فكيف يا ترى يكون بقية الكتاب.

هذه النظرة الموجزة تؤكد لنا أن الآثار المنسوبة الى أئمتهم غير موثوق بها.

ثالثا : أن من لوازم دعوى الوحي أن يؤيد صاحبه بمعجزة تكون حجة له على دعواه تلك — وقد ادّعوا للأئمة ذلك كما سبق — ولكن لم يسجل لنا التاريخ شيئا من ذلك اذ لو وقع شيء منه لاشتهر وتناقله المؤرخون والناس في أخبارهم ولكن ذلك لم يقع ولن يقع لأن الوحي قد انقطع والمعجزات لازمة له.

رابعا : أن استمرار نزول الوحي الى الأئمة ليس ضروريا لهم اذ الكتاب والسنة فيهما ما يكفي لقيادة الناس الى الحياة الكريمة كما قال تعالى : (انّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم[3]) فأي حاجة اذن إلى نزول وحي أو استمرار النبوة مع أننا نجد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قد قادوا الأمة بالكتاب والسنة من غير

---

(١) وبالعودة الى حواشي كتاب أصول الكافي التي نقلنا منها تلك الآثار يتبين ذلك.

(٢) في أول مبحث الامامية في هذا الفصل في الحاشية

(٣) سورة الاسراء آية ٩

ضرورة الى وحي يأتيهم من السماء.. ثم قد فعل عمر بن عبد العزيز رحمه الله مثل ذلك مما يشهد له كل أحد بنجاح حكمه وقيادته حتى ألحق بالخلفاء الراشدين. فأي حاجة اذن بعد الكتاب الكريم وسنة الرسول ﷺ.

وان سلمنا لهم ذلك فأي شيء سيوحيه الله سبحانه وتعالى اليهم أبشيء في الكتاب والسنة أم بشيء ليس فيهما ؟.

فان كان بشيء فيهما فلا حاجة لنا به ؟ وان كان بشيء ليس فيهما فذلك اتهام لدين الله عزّ وجلّ بأنه لم يكمل وأنه لا يزال يكمله على أيدي أئمة الشيعة وذلك يعارض قول الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[1] وفي كل كلمة من هذه الآية دليل على عدم حاجة الناس الى وحي جديد.

خامسا : نقول لهم هل يفهم الكتاب والسنة بغير وحي جديد أم لا بد من وحي جديد يتنزل على الأئمة ؟ فان قالوا يفهمان بغير وحي فقد خصموا أنفسهم وان قالوا لا يكون ذلك الا بوحي يتنزل على الأئمة قلنا لهم فأين امامكم الذي يوحى اليه ؟ أليس قد اختفى منذ ألف سنة ؟ فيقولون بلى.. فنقول لهم اذن فأنتم تعيشون في ضلال منذ ألف سنة لأن الاسلام ــ كما تزعمون ــ لا يفهم الا بوحي والوحي غير موجود لأن صاحبه مختيف فأنتم اذن على غير الاسلام منذ اختفاء امامكم...

وهذه هي نتيجة العقائد الباطلة.

سادسا : أن فتح هذا الباب قد أدى الى نتائج سيئة منها ادّعاء النبوة صراحة من بعض فرق الشيعة كما سيأتي. ومنها اسباغ صفات التقديس والتعظيم على الأئمة والتي لا تليق الا بالله عزّ وجلّ كعلم الغيب والاحاطة بكل شيء كان أو سيكون وغير ذلك كما تقدم، وكذلك أثبتوا لهم العصمة كالأنبياء سواء بسواء.

---

(١) سورة المائدة آية ٣

ومنها افساح المجال لكل من تولى الامامة ليقول ما يشاء ويدّعي ما يشاء من غير أن يطالب بالدليل على قوله أو يناقش في دعواه لأنه معصوم في اعتقادهم ويتلقى علمه من الله مباشرة بغير واسطة. وهذا هو الذي جعلهم قليلي البضاعة في العلوم الشرعية. يقول ابن تيمية رحمه الله (ان الرافضة في الأصل ليسوا أهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة ومعرفة الأدلة وما يدخل فيها من المنع والمعارضة كما أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها)[1] وذلك لأنهم اكتفوا بدعوى الالهام والتلقي المباشر من الله كما يزعمون فتكون النتيجة اختلاف أخبارهم وتناقض أحكامهم وخاصة عندما تكثر الأئمة مما أدى ببعض عقلاء المتشيعين الى ترك التشيّع كما ذكر ذلك العالم الشيعي أبو جعفر الطوسي نقلا عن شيخه الملقب بالمفيد حيث ذكر (أن أبا الحسين الهاروني كان أولا شيعيا قائلا بالامامة ثم لما التبس عليه أمر التشيع بسبب كثرة اختلاف الامامية ووجد أخبارهم مختلفة متناقضة متعارضة بغاية الكثرة والشدة رجع عنه وصار شافعيا)[2] وكفى بها شهادة من أئمتهم ورؤسائهم.

سابعا : أن اعتقادهم هذا يتناقض مع دعواهم الايمان بعقيدة ختم النبوة الذي نقلوه عن امامهم جعفر الصادق حيث قال : (ان الله عزّ وجلّ ختم بنبيكم النبيين فلا نبيّ بعده وختم بكتابكم فلا كتاب بعده أبدا وأنزل فيه تبيان كل شيء)[3] اذ هذا يعني أنه قد انقطع الوحي فلا يوحى بعد رسول الله ﷺ الى أحد ولن ينزل بعد القرآن كتاب والقرآن مبيّن لكل شيء... ولكنهم قد أثبتوا الوحي للأئمة كما تقدم وأثبتوا مصحفا جديدا بعد القرآن لفاطمة فأيهما يا ترى هو المعتمد عندهم من أقوال ــ جعفر الصادق ــ أنزول الوحي أم انقطاعه ؟؟

---

(١) منهاج السنة ج ١ ص ١٣

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٩٠ نقلا عن كتاب التهذيب الامامي وقد أطال صاحب التحفة في مناقشة هذا التناقض الذي بين الأئمة

(٣) أصول الكافي ج ٣ ص ٢٥٨ ــ بشرح الشافي

ولأجل هذا التناقض في آثارهم عن أئمتهم فهم يجدون صعوبة في التوفيق بين اعتقاد نزول الوحي على الأئمة وبين اعتقاد انقطاع الوحي كما يحدثنا عن ذلك صاحب كتاب نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية حيث يقول : (ان أهم مشكلة تواجه امام الشيعة من حيث ما أرادوه له من علم هو كيف يتفق له ذلك كله وقد انقطع وحي السماء والشيعة لا ينكرون ذلك[1].

ثامنا : أما زعمهم أن أئمتهم محدّثون فقد تقدم ما يتعلق بالمحدثين في آخر الباب الأول.

ولعل هذه الأمور ــ التي ذكرناها في ابطال هذه العقيدة ــ وغيرها هي التي أدت ببعض المتأخرين من علماء الامامية الى التبرؤ من تلك العقيدة الباطلة. فقد صرح الشيخ الشيعي آل كاشف الغطاء بـ (أن كل من اعتقد أو أدّعى نبوة بعد محمد ﷺ أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله)[2] فقد أثبت عقيدة الختم بنفي حدوث نبوة بعد رسول الله ﷺ ونفي النبوة بمفرده يعني أنه لا وحي ولا كتاب بعد رسول الله ﷺ ولكنه يبدو أنه كان مستحضرا ذلك الخلط والتناقض في العقيدة الامامية التي تنفي حدوث نبوة وتثبت نزول الوحي والكتاب بعد رسول الله ﷺ فجاء كلامه نافيا لكل تلك الصور.. هذا اذا حملنا كلام الشيخ آل كاشف الغطاء على ظاهره ولم يكن قد استعمل مبدأ التقيه الشيعي ولاسيما وأنه قد عدّ ذلك المبدأ من عقائد الامامية كما في كتابه ــ (أصل الشيعة وأصولها)[3] ولكننا نرجو أن يكون اتجاهه ذلك صحيحا لا تقيه فيه...

(١) ص ١٤٦ ــ للدكتور احمد محمود صبحي
(٢) أصل الشيعة وأصولها ص ١٩٢
(٣) ص ١٦٥

والى جانب هذا الاتجاه نجد أن هناك من يكتب في(العقائد الامامية)[1] من علماء الشيعة المحدثين من غير أن يتطرق في بحثه الى هذه القضية ــ قضية عقيدة الختم وانقطاع الوحي ــ بل يؤكد فيه أن : (الامامة استمرار للنبوة) وأنه (لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من امام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى)[2] ولكنه لا يجرؤ على التصريح بما صرح به سلفه من قبل ــ الذين زعموا اتصال الأئمة بالوحي.

وانا لنرجو من الله عزّ وجلّ أن يقيض لهم رجالا منهم يكشفون ضلال هذه العقيدة ويرفعون عنها ذلك الركام الكثيف من تلك التصورات المنحرفة والآراء الباطلة التي دخلت العقيدة الشيعية من قديم الزمن.

وبعــد :

فهذه هي عقيدة الامامية في نزول الوحي بعد رسول الله ﷺ عقيدة باطلة زائفة لا تملك لها سندا لا من كتاب ولا سنة صحيحة ولا معقول وهم فيها متناقضون ما بين مؤيد ومعارض لاضطراب أدلتهم ومصادرهم نسأل الله لهم العودة الى الله والهداية الى الحق.

---

(١) لمؤلفه الشيعي محمد رضا المظفر

(٢) المصدر السابق

الفصل الثاني

الصوفية

تمهيد :

أ ـ عقيدة ابن عربي في نزول الوحي بعد رسول الله ﷺ.

ب ـ مناقشة ابن عربي.

قد ينزل الوحي فيكسب صاحبه صفة النبوة ولا يكسبه صفة الرسالة وذلك اذا لم يطالب بالتبليغ وابن عربي يفهم ذلك ويدركه حق الادراك فلو التزم باللفظ القرآني لقطع على نفسه منزلة الولاية كما يتصورها هو والتي يتلقى صاحبها الوحي من الله سبحانه.

٢) قوله : (وختم بشرعه جميع الشرائع) وهذه كذلك لازمة للختم الذي انقطع به الوحي فكأنه يكثر العبارات للدلالة على ايمانه بالختم ـــ كما يريده هو ـــ لأنه لا يدعي هو نزول شرع جديد.

٣) قوله (فلا رسول بعده يشرع) وهذا تأكيد ثالث لصورة تلك العقيدة التي يؤمن بها فيكرر نفي الرسالة مرة أخرى ثم يؤكد. بصفة أخرى يغني عنها لفظ الرسول لأن الرسول لا يكون الا مشرّعا ولكن لعله يريد أن يدّعي الرسالة التي لا شرع معها ـــ كذلك ـــ فيمهد بهذا القيد.

فقد قال في الفتوحات (اعلم وفقنا الله واياك أنه من كرامة محمد ﷺ على ربه أن جعل من أمته رسلا ثم انه اختص من الرسل من بعدت نسبته من البشر فكان تصفه بشرا ونصفه الآخر روحا مطهرة ملكا لأن جبريل وهبه لمريم بشرا سويا...)[1] الخ. قوله ذلك الذي بدأه باثبات الرسل بعد رسول الله ﷺ.

فهذه هي عقيدته لم تنف نزول الوحي بل كل عبارة فيها تمهّد لما سيدّعيه من الاتصال بخبر السماء. وبعد هذه المقدمة لعقيدته في ختم النبوة نعرض طريقته في فهم النصوص النبوية المتعلقة بهذه العقيدة لنرى مدى محاولاته المتنوعة في تطويع كل شيء في هذه العقيدة لفكره الصوفي فهو عندما يرى النص النبوي (لا نبي بعدي) يسارع في تقييده بقوله : (انماارتفعت نبوة التشريع)[2]، ويؤكد ذلك ويزيده ايضاحا بقوله (أي لا شرع خاصة لا أنه لا يكون بعده نبيّ)[3] وكأنه يستدرك على اللفظ النبوي في صورة النفي التي وردت باستعمال نفي النبوة وقد صرّح بأن هذا الحديث قد أزعج اخوانه الأولياء فقال (ان حديث لا نبيّ بعدي ـــ قد ـــ قصم ظهور الأولياء)[4].

---

(١) الفتوحات ج ٤ ص ٥٨
(٢) المصدر السابق
(٣) فصوص الحكم ص ١٣٤
(٤) فصوص الحكم ص ١٣٤

فلماذا يقصم ظهورهم ؟ ألا يرضون ما رضيه الله لهم ورسوله ؟ ألا يكفيهم ما تركه لهم رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة ؟ ولكن الفيلسوف الصوفي يطمئنهم ويخفف من انزعاجهم باخبارهم (أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها)[1] والمراد بعباده هنا هم الأولياء كما ذكر ذلك في موطن آخر بقوله : (واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع ولها الانباء العام أما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة)[2] فالأولياء هم الذين لهم الانباء العام. وبهذا يتضح أنه يعتقد بقاء النبوة بعد رسول الله ﷺ.

وليس لأحد أن يسأله لأن علوم الأولياء لها مصدر فوق النقد كما ورد عن أحد أسلافه من أقطاب الصوفية وهو يزيد البسطامي حيث قال : (أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت).[3]

وبعد هذا التقرير النظري الذي انتهى منه ابن عربي الى اثبات النبوة العامة يشرع هو في دعوى الاتصال بالله وأنه كتب كتابه فصوص الحكم (تحت تأثير من الوحي والالهام فأنزل في سطورها ما أنزل به عليه لا ما قضى به منطق العقل)[4] كما ورد نص ذلك في مقدمة الفصوص حيث قال : (فما ألقى الا ما يلقى اليّ ولا أنزل في هذا المسطور الا ما ينزل به عليّ)[5].

ولما كان يدّعي أن الولاية كالنبوة لها خاتم (واحد لا في كل زمان بل هو واحد في العالم يختم به الله الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه)[6] فانه يزعم

---

(١) فصوص الحكم ص ٤٨

(٢) المصدر السابق ص ١٣٤

(٣) الفتوحات ج ٢ ص ١٣٥

(٤) محقق الفصوص أبو العلا عفيفي ص ١٠

(٥) الفصوص ص ٤٨

(٦) الفتوحات ج ٢ ص ١١

أنه هو ذلك الخاتم بقوله : (فاني أنا الختم لا وليّ بعدي ولا حامل لعهدي بفقدي تذهب الدول وتلحق الأخريات بالأول)[1] ثم يدعي أنه مصدر علم الرسل وأنهم لا يقتبسونه (الا من مشكاة خاتم الأولياء)[2] وذلك لأنه أخذ علمه (من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسل)[3] ولذلك فان الوليّ يبلغ درجة من العلم الصحيح دونه كل الرسل بل حتى خاتم الرسل محمد ﷺ، لأن الوليّ يرى العلوم على صورتها الصحيحة كما هي في علم الله أما الرسل فقد يرون الظواهر ولا يصلون الى بواطن الأمور حتى لو كان ذلك سيد البشر ﷺ وذلك يتضح بما يأتي :

قال عليه الصلاة والسلام : (مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[4] فهو يقرر في هذا الحديث أن الدار التي مثل بها كمل بناؤها ولم يبق فيها الا موضع واحد فقط لا يتسع الا للبنة واحدة ثم كان عليه الصلاة والسلام هو تلك اللبنة وابن عربي يرى أن تلك الرؤية منه عليه الصلاة والسلام رؤية ناقصة وأن الواقع أن الدار بقي فيها موضع لبنتين احداهما فضة والأخرى ذهب والرسول هو اللبنة الأقل ثمنا وقيمة والوليّ هو اللبنة الأكثر ثمنا وقيمة وهذا هو كلامه بعد ذكر الحديث ورؤية النبيّ ﷺ لها قال : (والوليّ يراها موضع لبنتين لبنة فضة وهو النبيّ ﷺ وأخرى ذهب وهو الوليّ)[5] .

ولذلك فالوليّ مستقل في الشريعة وان كان يبدو (انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر)[6] لأنه بناء على تلك النظرة السابقة أعلى مكانا من الرسل وأصح علما منهم وان بدا للناس أنه متبع للشرع ظاهراً فالصحيح أنه (أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه)[7] .

---

(١) عنقاء مغرب ص ١٥ من الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٧٣

(٢) الفصوص ص ٦٢

(٣) السابق ص ٦٣

(٤) تقدم في مبحث الأدلة النقلية

(٥) الفصوص ص ٦٣

(٦) الفصوص ص ١٦٣

(٧) الفصوص ص ١٦٣

وهكذا ينتهي ابن عربي في تدرجه ذلك الى «الخروج على عقيدة ختم النبوة» التي قررها الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ وأجمعت الأمة عليها ثم لا يكتفي بذلك الخروج فقط بل ويصل به الأمر الى أن جعل الأولياء يستدركون على الأنبياء، ويصححون علومهم لأن رؤية الأولياء هي المطابقة للواقع الذي خفي على الرسل وذلك لأن الأولياء يتلقون العلوم تلقيا مباشرا أما الأنبياء فيأتيهم بالعلوم وسطاء بينهم وبين اللوح المحفوظ.. ولذلك فان الوليّ وإن بدا أنه متبع في الظاهر للرسول ﷺ فهو في الحقيقة مستقل في التشريع لاستقلاله في تلقّي العلوم وأما المتابعة فانما هي للعوام الذين لم يبلغوا ذلك فيكفيهم تلك الظواهر التي أخذوها عن الأموات ومرة أخرى ندرك معنى (أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت).

وذلك التدرج وتلك النهاية التي وصل اليها ابن عربي هي التي جعلت ابن تيمية رحمه الله يقول (ففي هذا الكلام من أنواع الالحاد والكفر وتنقيص الأنبياء والرسل ما لا تقوله لا اليهود ولا النصارى، وما أشبهه في هذا الكلام بما ذكر في قول القائل فخرّ عليهم السقف من تحتهم ان هذا لا عقل ولا قرآن وكذلك ما ذكره هنا من أن الأنبياء تستفيد من خاتم الأولياء الذي بعدهم هو مخالف للعقل فان المتقدم لا يستفيد من المتأخر ومخالف للشرع فانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الأنبياء والرسل أفضل من الأولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلا)[1].

ب ـ مناقشة ابن عربي :

في هذا العرض الموجز لكلام ابن عربي تبين لنا عقيدته في بقاء النبوة بعد رسول الله ﷺ حيث يرى أن النبوة لا تزال باقية ولا يزال هناك أنبياء.. ولما كانت تلك العقيدة تتعارض مع عقيدة ختم النبوة، بنبوة محمد ﷺ كما رأينا ذلك من قبل فانه لا بد من وقفة مع عقيدة ابن عربي تلك التي تخالف عقيدة الاسلام وتناقضه.

أولا : العبارة التي يبين بها ابن عربي عقيدته في ختم النبوة حيث قال : (وختم بمحمد ﷺ جميع الرسل) عبارة قاصرة عن أداء المعنى الشرعي كما وردت به النصوص ففي القرآن الكريم : (وخاتم النبيين) وفي الحديث : (وختم بي النبيون) اذ في هذه النصوص أن الرسول ﷺ خاتم النبيين والنبوة أعم من

(١) من رسالة حقيقة مذهب الاتحادية ضمن مجموع المسائل والرسائل ج ٤ ص ٨٥

الرسالة ونفيها نفي لها وللرسالة... ولهذا فالنصوص الشرعية لا تترك منفذا لدعوى نبوة جديدة أو رسالة جديدة.. أما ابن عربي فلا ينفي النبوة وانما ينفي الرسالة فيبقى احتمال وجود النبوة وهذا ما أراده هو بهذه العبارة وذلك ليتسنى له فيما بعد أن يدّعي بقاء النبوة وقد فعل حيث زعم بقاء النبوة العامة..

ثانيا : تقييده نص الحديث النبوي (لا نبيّ بعدي) بنفي النبوة التشريعية تقييد باطل وذلك أن نفي النبوة ـــ كما رأينا من قبل مرارا ـــ أعم من نفي الرسالة والذي يتلقى النبوة قد يؤمر بتبليغ ما أوحى اليه من تشريع أو غيره فيصبح نبيا رسولا وقد لا يؤمر بذلك فيكون نبيا فقط والنصوص الشرعية قد نفت كلا الحالتين وذلك بنفي الأعم وهو النبوة وانتفاء النبوة يعني انقطاع الوحي، وهذه هي عقيدة الأمة الاسلامية من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى اليوم. ولمّا قيل لابن عمر ان المختار يزعم أنه يوحي اليه قال صدق : (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون)[1]. فهو يرى ان الوحي الربّاني قد انقطع وانما هو الوحي الشيطانيّ.. ولو لم يكن كذلك لما سارع بذلك الرد..

ثالثا : قول ابن عربي إن حديث (لا نبيّ بعدي) قد قصم ظهور الأولياء يكشف لنا عن موقف أولياء الصوفية من النصوص الشرعية وهو موقف لا يتفق مع الولاية الصحيحة.. والا فأي ولاية تلك التي لا ترضى ما قضى الله به عزّ وجلّ والله يقول : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)[2] والله يقول كذلك : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[3] فهو التحكيم الى رسول الله ﷺ ثم انتفاء الحرج من النفس وأخيرا التسليم الكامل الذي ينتفي معه حظّ النفس والاّ فقد عرّض نفسه لنقص الايمان أو نقضه وقد كان ينبغي عليهم وهم يزعمون الولاية أن يستقبلوا شرع الله وقضاءه بقلوب طائعة راضية وذلك ما يستقيم مع دعوى الولاية.

---

(١) تقدم ـــ الآية في سورة الأنعام آية ١٢١

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦

(٣) سورة النساء آية ٦٥

ثم ان ابن عربي يخفف على الأولياء بأن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة... يا لها من جرأة تلك التي أقدم عليها ابن عربي.. فمن أين له تلك القولة ؟! فالقرآن والسنة واجماع الأمة كلها تثبت انقطاع النبوة مطلقا فكيف أقدم ابن عربي على هذه القولة العظيمة التي تعارض كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ.. اذ يخبرنا الله ورسوله بانقطاع النبوة وابن عربي يدّعي بقاءها واستمرارها فهل استجد في علم الله سبحانه وتعالى جديد ثم أخبر به ابن عربي بعد أن قضى على لسان رسوله ﷺ أن لا نبوة بعده وأنه آخر الأنبياء.. اللهم انها قولة كاذبة لا تصدر من مسلم عاقل بله أن يكون وليا يزعم أنه خاتم الأولياء..

رابعا : ادّعى أنه كتب كتابه الفصوص بوحي من الله حيث قال : (فما ألقي الا ما يلقى اليّ ولا أنزل في هذا المسطور الا ما ينزل به عليّ).

فهذا الكتاب المذكور آنزل موافقا للقرآن أم مخالفا له ؟ فان كان موافقا فما الحاجة اليه ؟ وان كان مخالفا فهل هو مخالف للأحكام أم للأخبار ؟ فان كان مخالفا للأحكام فهذا نسخ وقد ادّعى هو أنه يعتقد أن لا شرع بعد شرع الاسلام. وان كان في الأخبار اقتضى تكذيب القرآن والقرآن وحي الله عزّ وجلّ الى محمد ﷺ، والوحيان الثابتان لا يتناقضان.

ثم ما يدرينا صدق تلك الدعوة ؟ وما الفرق بينها وبين دعوى أي كاتب آخر ادّعى أن كتابه وحي من الله ؟ فلا بد اذن من برهان معجز ليضمن لنا صدق دعواه.. وذلك لم ولن يتم لأنه من خصائص الأنبياء فقط، والنبوة قد انقطعت، والمعجزة هي التي تؤكد لصاحبها ولغيره صدق دعواه تلك.. والا فما يدرينا أن ذلك الوحي من وحي الشياطين... وهو الوحي الذي لم يختم بعد...

خامسا : ابتدع ابن عربي اصطلاح «خاتم الأولياء» وأحاطه بهالات من التقديس والتعظيم حتى جعله مصدر علوم الرسل... وتلك بدعة لا أصل لها في شرع الله عزّ وجلّ وهو احدى حلقات تلك السلسلة من الادّعاءات المجردة من الأدلة الشرعية ويكفي ذلك ابطالا لها. ثم ان دعواه تلك تعني انتهاء بقاء أولياء بعده كما صرح بذلك بنفسه حيث يقول : (بفقدي تذهب الدول وتلحق الأخريات

بالأول) يعني أنه تنتهي الحياة وتنتهي الولاية وهذا واضح البطلان اذ لم تذهب الدول ولم تنته الولاية وذلك تحقيقا لنبوة نبينا محمد ﷺ الذي يقول «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة» أي تبقى طائفة من المؤمنين المجاهدين الى انتهاء العالم فالعالم موجود والمجاهدون في سبيل الله في كل مكان وكل مؤمن متّق فهو من أولياء الله كما أخبر الله بذلك حيث يقول (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هو يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون)[1] ولم يقل ان أولياء الله الذين كان يوحى اليهم ــ فالمؤمنون المجاهدون في الحديث لا شك أنهم متّقون وهم على الحق وقد وعد الرسول ﷺ ببقائهم وهي نبوة صدق وحق.

يقول ابن تيمية رحمه الله (وخاتم الأولياء كلمة لا حقيقة لفضلها ومرتبتها وانما تكلم أبو عبد الله الترمذي بشيء من ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ولم يستند فيه الى شيء ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن يبقى ويكون بذلك خاتم الأولياء وليس ذلك أفضل الأولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الأولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول وهو أبو بكر ثم عمر اذ الأولياء يستفيدون من الأنبياء فأقربهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فان الله أكرمه بالرسالة ولم يحلها على غيره، فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر في وجوب كونه أفضل من أبعد القياس)[2].

سادسا : وأما زعمه بأن الرسل لا يقتبسون علمهم الا من مشكاته.

فهذا في غاية السفه والازراء بمقام الأنبياء كما أنه مخالف للعقل أن يتلقى الحي الموجود من انسان لم يخلق بعد، ويكفي ردا على هذا الادعاء ما سبق من قول ابن تيمية رحمه الله.

سابعا : دعواه أن سيد الخلق محمدا ﷺ لم ير الا موضع لبنة واحدة مع أنه موضع لبنتين كما يراها الولي بل ويدعي أنه لبنة الذهب والنبي لبنة الفضة، دعوى ابن عربي هذه يصل بها الى آخر درجات الهبوط العقلي التي يصاب بها كل من

---

(١) سورة يونس آية ٦٢ ــ ٦٣

(٢) بغية المرتاد ص ٨٤ ــ ضمن الفتاوي الكبرى ج ٥

تجارت به الأهواء وعبثت بخياله الشياطين.. اذ كيف يكون أشرف البشر على الاطلاق وسيد ولد آدم وقائد الأنبياء وأكرمهم على الله والذي أعدّ له في أعلى الجنة مكان لا يصل اليه سواه لما له عند الله من المكانة والتكريم — كيف يكون أقل من أحد أتباعه ممن يزعمون لأنفسهم الولاية والتي لا تنال الا بمتابعته ﷺ فلا يرى الأمور على حقيقتها حتى يأتي ابن عربي في أعقاب الزمن ينعى عليه ﷺ رؤيته ويتهمه بفسادها.. وانها تهمة تتعدى مقام النبي ﷺ الى مقام الله سبحانه وتعالى الذي أخفى عن رسوله الصورة الصحيحة وأراه خلافها.. وان ذلك الاتهام ليهدم الاسلام من أساسه اذ من يعجز عن رؤية أحد أصول العقيدة على حقيقته عاجز عن أن يرى بقية أمور الشريعة على حقيقتها فلا يؤمن جانبه في تبليغ شرع الله.. هذا ما تعنيه تلك القولة الآثمة التي تحط من قدره ﷺ وحاشاه عن ذلك..

ثامنا : يدّعي ابن عربي أن الوليّ متبع ظاهرا مستقل باطنا حيث قال : (أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه) وهذه نتيجة طبيعية يصل اليها ابن عربي بعد تلك الضلالات المتراكمة، فمادام أن الوليّ يتلقى الوحي من الله، وأن رؤيته أصح من رؤية النبي فلا حاجة له الى الأخذ عن النبي لأنه أصح رؤية وأصدق تصورا منه...

تاسعا : ان جميع هذه المصطلحات التي جاء بها ابن عربي :

من قوله : (انما ارتفعت نبوة التشريع)، وقوله : (لا شرع خاصة لا أنه يكون بعده نبي)، وقوله : (ان الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها)، وقوله : (اني أنا الختم لا ولي بعدي..) بعد أن ذكر أن هناك خاتما للأولياء، وزعمه أن الرسل لا يقتبسون علومهم (الا من مشكاة خاتم الأولياء)، وزعمه أن الوليّ يرى موضع لبنتين لا كما رآها النبي موضع لبنة واحدة وأن أحدهما فضة هي النبي والأخرى ذهب وهي الولي...

ثم أخيرا الولي مستقل بـ (أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه)... ان هذه المصطلحات التي أحدثها ابن عربي وبنا عليها مذهبه في القول بتجدد الوحي باطلة الأساس لا يثبت عليها بناء... وهي مصطلحات مبتدعة دخيلة على التصور الاسلامي لا تصدر عن مسلم يحترم عقله ودينه... اذ كل واحدة منها تكفي لتكفير صاحبها واخراجه

من دين الاسلام لأنها تعارضه فيما قرره من الأصول الثابتة التي تعرف من دين الاسلام بالضرورة فكيف بها اذا اجتمعت.

ولابن عربي بعض العبارات الأخرى التي توحي لقارئها بأنه سلفي متبع يقف عند كل حد من حدود الله لا يتجاوزه ولا يتعداه ومن ذلك قوله في أول كتاب الفصوص : (ومن الله أرجو أن أكون ممن تأيد فتأيدوقيد بالشرع المحمدي المطهر فتقيد وقيد)[1] ولكنه لم يقيد ولم يتقيد والا لما اشتط به الفكر والهوى الى تلك الضلالات المخالفة لعقيدة الاسلام.. وان هذا التناقض قد يؤيد قول الذهبي فيه أنه (أثرت فيه تلك الخلوات والجوع فسادا وخيالا وطرف جنون)[2] اذ الرجل كان من أرباب التصوف والرياضات النفسية..

وانا لنرجو أن يكون قد تاب من هذه الشطحات ومات على حال أخرى.

«وبعـــــــد»

فهذه عقائد الشيعة الامامية والصوفية ـــ على ضوء كتابات ابن عربي ـــ قد حاولت أن تفتح باب النبوة لتشرك أئمتها وأولياءها مع أنبياء الله ورسله فيما خصهم به تعالى بعد أن أخبر الله عزّ وجلّ بانقطاع سلسلة الوحي والنبوة على يد خاتم الأنبياء محمد ﷺ ولكنها محاولات مكشوفة وباطلة كما تبين لنا ذلك من خلال هذه الدراسة القصيرة اذ لا نبوة ولا رسالة ولا وحي ولا نسخ لهذه الشريعة الى يوم القيامة وفي دين الاسلام بعيدا عن هذا كله ما يكفي ويغني لهداية البشرية الى رضوان الله عزّ وجلّ.. ولا وصاية ولا سدانة.. لا يصل البشر الى ربهم الا عن طريقها.. فدين الله واضح يستطيع كل انسان أن يعرفه ويعبد الله به.

والذين لم تصف أذهانهم بعد ولم تطهر قلوبهم من رواسب الوثنية أو النصرانية ـــ كذلك ـــ لا يستطيعون أن يفهموا دين الله عزّ وجلّ الا بشفعاء يقدمونهم في الطريق أو قسس يشرحون لهم نصوص الكتاب...

فهم لتلك الخلفيات الضالة في نفوسهم لا يستطيعون أن يدركوا أن هذا الانسان بمفرده يستطيع أن يعرف شرع الله عزّ وجلّ وأن يتقرب اليه بدون واسطة.. ولما كانت تلك المصطلحات القديمة لم تعد لها مكانة في الاسلام بصورتها تلك فانهم لجأوا الى طريق آخر تحت شعارات اسلامية كالامام ونحوه ليتسنى لهم أن يبتدعوا ماشاؤوا وأن يحدثوا ما

---

(١) ص ٤٨

(٢) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٥٩

أرادوا وذلك ما تمثله الشيعة لقيامها على خليط من الأفكار الدخيلة على الاسلام اذ كان أصل التشيع قائما على خط منحرف أحدثه عبد الله بن سبأ[1] ثم لم يعش ذلك الفكر المنحرف الا في بلاد العجم — كما نشاهده اليوم — فهم في ايران وغيرها من البقاع الأعجمية.

أما أهل التصوف فهم لا يفهمون أن يكون هناك أولياء لله عزّ وجلّ لا ينزل اليهم وحي من السماء أو لا يتصلون بالله عزّ وجلّ اتصالا مباشرا وذلك خلط في التصور بين الأنبياء والرسل وبين الأولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلا اذ ليس من شرط الولاية أن يكون صاحبها نبيا أو رسولا فالله عزّ وجلّ يخبرنا عن الأولياء بقوله : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون)[2] فهذه هي الولاية : الايمان والتقوى ولا يشترط فيها أن يكون صاحبها ممن يوحى اليه... ولكنهم لما لم تكن الصورة واضحة في أذهانهم ولم يكونوا يتصورون امكان ذلك فانهم لجأوا الى ذلك الاحتيال على دين الله سبحانه وتعالى ليفجروا ثغرة يصلون بها الى مقام الأنبياء بعد أن انتهت سلسلة الأنبياء.. ولا شك أن ذلك فكر منحرف وعقيدة ضالة...

وأكثر عناصر التشيع والتصوف من العجم الذين دخلوا الى الاسلام ولمّا تصف أذهانهم بعد من رواسب عقائدهم الجاهلية الأولى مما يسر عليهم كل دعوة ضالة أو عقيدة زائفة تشابه عقائدهم الأولى التي لا تزال لها في قلوبهم رواسب وخلفيات... وذلك ما حدث للنصرانية في القديم — مع الفارق الكبير — حيث دخل فيها الملك قسطنطين الوثني فكان يميل الى كل عقيدة تشابه عقيدته الوثنية السابقة مما جعله يميل الى رأي الطائفة التي قالت بألوهية عيسى بن مريم عليه السلام.. وقد كان له أسوأ الأثر على العقيدة النصرانية فأفسدها أبد الدهر[3]... ولكن مع الفارق كما قلت لأن الاسلام محفوظ بحفظ الله له ولم تعد تلك الضلالات ولله الحمد إلّا على رؤوس أصحابها...

فهذه هي عقائد الطائفتين.. عقائد زائفة باطلة لها جذورها العميقة في الجاهلية.. قد رأينا زيفها وبطلانها.

---

(١) يراجع كتاب السنة والشيعة لاحسان الهي ظهير ومختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٩

(٢) سورة يونس آية ٦٢ — ٦٣ — وقد تقدمت

(٣) يراجع كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٤١ وما بعدها وكتاب معالم الانسانية ج ٣ ص ٧١٩ لمؤلفه هـ — ج — ولز.

البـــاب الثـــالث

المتنبئون في العصـــور الاسلامية الأولى

تمهيـــــد :

الفصل الأول : المتنبئون في صدر الاسلام
الفصل الثاني : المتنبئون في العصرين الأموي والعباسي

تمهيـــــد :

من كمال نصح النبي ﷺ وشفقته على أمته أنه لم يقبض الا وقد بين لهم كل ما يحتاجونه في أمور دينهم حتى قال : (وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء)[1] وحذرنا من كل شر يؤذينا عقل ذلك من عقله ونسيه من نسيه

ومن الأمور التي حذرنا منها هو ظهور الكذابين الدجالين الذين يدعون النبوة بعده ﷺ وقد ذكر ﷺ في ذلك تحذيرا عاما وتحذيرا خاصا.

أما التحذير العام فما سبق ذكره في الباب الأول من ذكر الكذابين كقوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله) رواه الشيخان وقوله : (ان بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم) رواه مسلم[2] فحذرنا جملة الكذابين المتنبئين الى قيام الساعة.

أما التحذير الخاص فهو ما يتعلق بأشخاص بأعيانهم كالأسود ومسيلمة والمختار حيث ورد عنه ﷺ أنه قال : (بينا أنا نائم أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي اسوارين من ذهب فكبرا عليّ وأهماني، فأوحى اليّ ان انفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة) رواه مسلم[3] واحمد[4] وابن ماجة[5].

---

(١) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤ المقدمة

(٢) وقد تقدم

(٣) ج ٤ ص ١٧٨١

(٤) ج ٢ ص ٣١٩

(٥) ج ٢ ص ١٢٩٣

وقد ورد عن ابن عباس[1] وأبي سعيد الخدري[2] رضي الله عنهما وغيرهما نحو ما تقدم.

أما المختار فلم يصرح باسمه بل ذكره بصفته وبلدته ومن ذلك ما ورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في قصة مع الحجاج بعد أن قتل ابنها حيث قالت : (أما أن رسول الله ﷺ حدثنا «ان في ثقيف كذابا ومبيرا» فأما الكذاب فرأيناه — تعني به المختار لأنه قد خرج قبل الحجاج — وأما المبير فلا اخالك الا اياه — تخاطب الحجاج —) رواه مسلم[3] واحمد[4].

ورواه كذلك ابن عمر عند احمد[5] والترمذي[6] وغيره من الصحابة رضي الله عنهم.

ولما كان رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فقد تحققت كل تلك الأخبار وخرج الكذابون الثلاثة ثم نصر الله عزّ وجلّ الأمة الاسلامية فقضوا على فتنتهم في معارك ضارية وليس هؤلاء هم وحدهم الذين خرجوا في صدر الاسلام من ادعياء النبوة ولكن خرج كذلك طليحة وسجاح وقضى على فتنتهما كذلك وعدم ذكرهما من رسول الله ﷺ وذكر الآخرين فقط علم من أعلام نبوته اذ أن هذين الشخصين قد أسلما وحسن اسلامهما بخلاف الآخرين الذين قتلوا على الردة..

ورغم هذا التحذير الشديد من هؤلاء الدجالين الكذابين الذين سيدّعون النبوة كذبا وزورا فانه قد انخدع بهم بعض طوائف المسلمين ممن ضعف دينهم وقلّ علمهم فانطلت عليهم خرافاتهم وشعبذاتهم واستمعوا لها وانجذبوا نحوها وذلك في غيبة من الوعي الاسلامي الصحيح.

فأما المتنبئون في العصور الاسلامية الأولى الى قبل قرن ونصف تقريبا فقد طواهم التاريخ ولم يبق لهم ذكر يذكر الا ما سجلته كتب التاريخ من أخبارهم.. ولهذا فاننا سنذكرهم

---

(١) المسند لاحمد جـ ١ ص ٢٦٣
(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٦
(٣) ج ٤ ص ١٩٧١
(٤) ج ٦ ص ٣٥١
(٥) المسند ج ٢ ص ٨٧
(٦) ج ٦ ص ٤٦٧ بشرح تحفة الأحوذي

بشيء من الايجاز كنماذج ضالة خرجت على عقيدة ختم النبوة لدوافع اخرى كما سيتضح ذلك من دراسة هذه الدعوات فيما بعد[1] ثم اختفت من الوجود لأنها قامت على غير تقوى من الله.. وكل شيء كان كذلك فانه سرعان ما يتلاشى ويندثر (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)[2] وهذه سنة الله عزّ وجلّ في الحياة.

وسنذكر المتنبئين حسب وجودهم بدءاً بالخارجين في صدر الاسلام كمجموعة مستقلة تحت فصل واحد ثم بالمتنبئين الآخرين في العصرين الأموي والعباسي...

أما المتنبئون المحدثون في القرنين الأخيرين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين الذين لا تزال فتنتهم قائمة فسنفرد لهم بابا خاصا بهم ان شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الرعد آية ١٧

(٢) سيأتي في الباب الخامس ان شاء الله

الفصـــل الأول

المتنبئـــون في صـــدر الاسلام

أ ـ الأســـود العنسي
ب ـ طليحة بن خويلد
ج ـ مسيلمة
د ـ سجـــاح
هـ ـ تعقيـــب

أ ـ الأســود العنســي

اسمه عبهلة بن كعب بن غوث وقيل (ابن عوف)[1] ويلقب ذا الخمار لأنه كان معتما متخمّرا ابدا)[2].

وهو من بلدة يقال لها (كهف حنان)[3] وهي من عنس بطن من مذحج.

ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ[4] وذلك بعد مقدمه من حجة الوداع وقد كان الأسود رجلا مشعبذا يريهم الأعاجيب[5] (فخرج في سبعمائة مقاتل وكتب الى عمال النبي ﷺ : (أيها المتمردون علينا امسكوا علينا ما اخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به)[6] وقد كانت ردته تلك (أول ردة في الاسلام على عهد رسول الله ﷺ)[7] فتحرك بمن معه من المقاتلين واستولى على جميع اجزاء اليمن (وجعل أمره يستطير استطارة الشرارة واشتد ملكه واستغلظ أمره وارتد خلق من أهل اليمن وعامله المسلمون هناك بالتقية)[8].

أما عمال رسول الله ﷺ هناك فقد انحازوا الى الاماكن البعيدة ورجع بعضهم الى المدينة[9] وبعد أن علم رسول الله ﷺ ما حدث بعث برسالة الى المسلمين الذين هناك

---

(١) البداية ج ٦ ص ٣٠٧ والكامل ج ٢ ص ٣٣٦

(٢) الكامل ج ٢ ص ٢٣٣٦ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤٠

(٣) البداية ج ٦ ص ٣٠٧

(٤) الكامل ج ٢ ص ٣٣٧ وتاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٤٠ والمختصر في أخبار البشر ص ١٥٦

(٥) الكامل ج ٢ ص ٣٣٧ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤٠

(٦) البداية ج ٦ ص ٣٠٧

(٧) الكامل ج ٢ ص ٣٣٧ والطبري ج ٣ ص ١٨٥

(٨) البداية ج ٦ ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨ الكامل ج ٢ ص ٣٣٧

(٩) البداية ج ٦ ص ٣٠٧

بمقاتلته ومصاولته فاستجابوا لأمر رسول الله ﷺ وتحركوا سرا للقضاء عليه فاختاروا أن يقتلوه في منزله بمعاونة زوجته التي تزوجها قسرا بعد أن قتل زوجها وقد كانت مؤمنة بالله ورسوله فدبروا الخطة لذلك فاطّلع الأسود على أمرهم بواسطة شيطانه الذي كان يوحى اليه فاستدعى أحد المتآمرين واسمه قيس وكان قد اسند اليه أمر الجند فقال له : (يا قيس ما يقول هذا ـــ أي شيطانه ـــ قال وما يقول ؟ قال يقول عمدت الى قيس فاكرمته حتى اذا دخل منك كل مدخل وصار في العز مثلك مال ميل عدوك وحاول ملكك وأضمر على الغدر.. انه يقول يا أسود يا أسود يا سوآه يا سوآه فطف به وخذ من قيس أعلاه والا سلبك وقطف رقبتك)[1] فحلف له قيس انه لم يفعل فقال الأسود (ما اخالك تكذب الملك فقد صدق الملك وعرف الآن انك تائب عما اطلع عليه منك ثم خرج قيس من بين يديه فجاء الى أصحابه فيروز وداذويه وأخبرهم بما قاله ورد عليه) فلم يثنهم ذلك عن مقصدهم واستمروا في تدبير قتله حتى مكنهم الله من ذلك وهم في كل مرة يكتشفهم الأسود ويهم بقتلهم وقد كان مقتله ليلا وفي صبيحتها صاح أحد قتلته بقوله : (أشهد أن محمدا رسول الله وأن عبهلة كذاب فانطفأت الفتنة) وظهر الاسلام وأهله وكتبوا الى رسول الله ﷺ بذلك وقد أتى اليه الخبر في ليلته من السماء فأخبر أصحابه وقال : (قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين).

وقد كانت فترة ملكه منذ ظهر الى أن قتل ثلاثة أشهر وقيل أربعة[2] ومن الكلمات التي زعم أنه اوحى اليه بها قوله (والمائسات ميسا والدارسات درسا يحجون جمعا وفرادى على قلائص بيض وصفر)[3].

ب ـــ طليحة بن خويلد

طليحة بن خويلد الأسدي من أسد خزيمة كان من أشجع العرب يعد بألف فارس قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة ٩ هـ وأسلموا ورجعوا الى بلادهم و (قد تنبأ طليحة في حياة رسول الله ﷺ فوجه اليه ضرار بن الأزور عاملا على بني أسد وأمرهم

---

(١) السابق ج ٦ ص ٣٠٨ والكامل ج ٢ ص ٣٣٨

(٢) البداية ج ٦ ص ٣٠٩ ـــ ٣١٠ والطبري ج ٣ ص ٢٣١ ـــ ٢٤٠ والكامل ج ٢ ص ٣٣٨ ـــ ٣٤١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤٠ واليعقوبي ج ٢ ص ١٣٠ والمختصر في اخبار البشر ص ١٥٦ ـــ ١٥٧

(٣) عيون التواريخ ـــ كما جاء في كتاب الدعاة ص ٦١ ـــ لوجيه فارس الكيلاني

(٤) الاعلام ج ٣ ص ٣٣٢ ـــ ٣٣٣

بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق الا أخذه فضربه بالسيف فلم يصنع فيه شيئا فظهر بين الناس ان السلاح لا يعمل فيه فكثر جمعه ومات النبي ﷺ وهم على ذلك.. وكان طليحة يقول ان جبرائيل يأتيني وسجع للناس الأكاذيب) (وتبعه كثير من العرب عصبية فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيء)[1].

وبعد موت رسول الله ﷺ وقيام الصديق رضي الله عنه بأمر الخلافة سير اليه جيشا بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه فالتقى الجيشان بمكان يسمى : «بزاخة» بأرض نجد فكانت الدائرة على طليحة وجيشه ففر بعدها مع زوجته الى الشام[2] وقيل بل بقي في قبيلة كلب الى موت الصديق رضي الله عنه[3] ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه. وقد اختلف في زمن توبته فقيل انه مكث في الشام الى زمن الفاروق رضي الله عنه فأتاه وبايعه[4] وقيل انه اسلم بعد الهزيمة فاغتسل وذهب الى مكة معتمرا ثم جاء المدينة وأعلن اسلامه.

ولكن المتفق عليه أنه تاب الى الله سبحانه وأسلم وقد لحق بجيش المسلمين وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاء حسنا واستشهد بنهاوند[5] وقد ذكر اليعقوبي انه بعث بقصيدة الى الصديق رضي الله عنه يقول فيها :

فهل يقبل الصديق أني مراجع ... ومعط لما أحدثت من حدث يدي
واني من بعد الضلالة شاهد ... شهادة حق لست فيها بملحد[6]

ومن اسجاعه وخرافاته قوله :

١) والحمام واليمام والصرّ والصوّام قد صمن قبلكم باعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام)[7].

---

(١) الكامل ج ٢ ص ٣٤٣ — ٣٤٤ وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٨٦٩
(٢) البداية ج ٦ ص ٣١٨ وابن خلدون ج ٢ ص ٨٧٠
(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٦١ — والكامل ج ٢ ص ٣٤٨
(٤) الطبري ج ٣ ص ٢٦١
(٥) الأعلام ج ٣ ص ٣٣٣ معجم البلدان ج ١ ص ٤٠٨ والبداية ج ٦ ص ٣١٨
(٦) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٩
(٧) الكامل ج ٢ ص ٣٤٨ والطبري ج ٣ ص ٢٦٠ والبداية ج ٦ ص ٣١٨

٢) وفي أثناء الحرب بينه وبين المسلمين (جلس ملتفا في كساء له يتنبأ لهم ينظر ما يوحى اليه فيما يزعم وجعل عيينة بن حصن يقاتل ما يقاتل حتى اذا ضجر من القتال يجيء الى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول أجاءك جبرائيل ؟ فيقول لا فيقاتل ثم يرجع حتى فعل ذلك ثلاثا وفي الثالثة قال له هل جاءك جبرائيل قل نعم قال فما قال لك : قال : قال لي : (ان لك رحاء كرحاه وحديثا لا تنساه) قال عيينة : أظن أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه ثم قال : يا بني فزارة انصرفوا وانهزم وانهزم الناس)[1].

٣) وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويزعم أن الله أوحى به اليه فقال : (ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وتقبيح أدباركم شيئا فاذكروا الله أعفة قياما فان الرغوة فوق الصريح)[2].

---

(١) البداية ج ٦ ص ٣١٨ والطبري ج ٣ ص ٢٥٦ الكامل ج ٢ ص ٣٤٧ — ٣٤٨

(٢) الكامل ج ٢ ص ٣٤٣ ومعجم البلدان ج ١ ص ٤٠٨

ج ـ مسيلمـــــة

هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ولد باليمامة في قرية تسمى اليوم «بالجبيلة» بقرب العيينة بوادي حنيفة ببلاد نجد بالجزيرة العربية وكان يتلقب برحمن اليمامة[1] وهو أحد الأشخاص الذين وفدوا الى رسول الله ﷺ في العام التاسع الهجري مع جماعة من بني حنيفة وكان يقول : (ان جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته فاقبل اليه النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة جريدة حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال : (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن أتعدى أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله واني لأراك الذي رأيت وهذا ـ أي ثابت ـ يجيبك عني ثم انصرف)[2]

وبعد عودة الوفد الى اليمامة (ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم) وقال اني قد أشركت في الأمر معه ـ أي مع محمد ﷺ ـ ... ثم جعل يسجع لهم السجعات[3] يضاهي بها القرآن الكريم ثم كتب كتابا في السنة العاشرة أرسله الى رسول الله ﷺ يقول فيه : (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك فان لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر ولكن قريشا قوم لا يعتدون[4] فقدم على رسول الله ﷺ رسولان بهذا الكتاب فرد عليه بكتاب هذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[5] .

وكان مؤذنه عبد الله بن النوّاحة والذي يقيم له الصلاة حجير بن عمير وكان يقول أثناء الاقامة : (أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله فقال مسيلمة افصح حجير فليس في المجمجة خير)[6]

---

(١) الاعلام ج ٨ ص ١٢٥ والبداية ج ٥ ص ٥٠

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٤٧ و ج ٥ ص ٢١٦ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٨٠ والبداية ج ٥ ص ٤٩

(٣) البداية ج ٥ ص ٥١

(٤) وفي اعجاز القرآن للباقلاني بدون «لا» هكذا (ولكن قريشا قوم يعتدون) ص ١٥٧

(٥) البداية ج ٥ ص ٥١

(٦) الكامل ج ٢ ص ٣٦١

وكان يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام كما ذكر ذلك ابن كثير عن عمير بن طلحة عن أبيه أنه جاء اليمامة فقال أين مسيلمة ؟ فقال من ؟ رسول الله ؟ فقال : لا حتى أراه فلما جاء قال : أنت مسيلمة فقال نعم قال ؟ من يأتيك ؟ قال رجس قال أفي نور أم في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة فقال أشهد أنك كذاب وان محمداً صادق ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر واتبعه هذا الأعرابي الجلف[1].

ومما يزعم مسيلمة انه اوحى به اليه قوله : (يا وبر يا وبر انما انت ايراد وصدر وسائرك حفر ونقر)[2].

ولما قدمت وفود بني حنيفة على الصديق قال لهم اسمعونا شيئا من قرآن مسيلمة فقالوا : أو تعفينا يا خليفة رسول الله فقال : لا بد من ذلك فقالوا : كان يقول : (يا ضفدع بنت الضفدعين نقى لكم نقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين)[3].

ويقول كذلك : (ولنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون)[4].

وكان يقول : (والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر رفيقكم فامنعوه والمعتر فآووه والناعي فواسوه)[5].

فأرسل له الصديق رضي الله عنه كتائب الايمان بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه وعكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة فاستقبلهم مسيلمة بجيش كان قوامه أربعين ألف مقاتل ودارت بينهم معارك حاسمة في مكان يسمى «عقربا» وكانت الدائرة فيها على اعداء الاسلام وانتصرت فيها جيوش النبوة الصادقة على دعاوى الزيغ والضلال وقتل الله مسيلمة الكذاب بيد وحشي بن حرب قاتل حمزة ورجع الناس الى الدين الحق وجاءت وفودهم الى

---

(١) البداية ج ٦ ص ٣٢٧ والكامل ج ٢ ص ٣٦٢ والطبري ج ٣ ص ٢٨٦

(٢) البداية ج ٦ ص ٣٢٧

(٣) البداية ج ٦ ص ٣٢٦ وقد تقدم

(٤) اعجاز القرآن للباقلاني ص ١٥٧

(٥) البداية ج ٦ ص ٣٢٦ والاعجاز للباقلاني ص ١٥٧

الصديق نادمة ثانية فانتصر الحق وارتفعت راية التوحيد مرة أخرى بفضل الله عزّ وجلّ ثم بفضل عزيمة الصديق رضي الله عنه وعن اخوانه من المهاجرين والأنصار. وكانت تلك الوقعة في السنة الحادية عشرة[1].

ومن مخازيه وترهاته أنه :

١) أسقط وجوب صلاتي الصبح والمغرب وجعل سقوطها مهرا لامرأته سجاح المتنبئة[2]، حيث استدعى مؤذنها وقال له (ناد في قومك ان مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما آتاكم به محمد)[3].

٢) (وكان مما شرع لهم ـــ كذلك ـــ ان من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد فيطلب الولد حتى يصيب ابنا ثم يمسك)[4].

٣) وقال (لما رأيت وجوههم حسنت وأبشارهم ضعفت وأيديهم طفلت قلت لهم لا النساء تأتون ولا الخمر تشربون)[5].

وقد كان يحاول التشبه برسول الله ﷺ في بعض احواله ومن ذلك : الدعاء للناس والتبريك على أطفالهم وغير ذلك.

وقد جاءت اليه (امرأة فقالت ان نخلنا لسحيق وان ابارنا لجرز فادع الله لمائنا كما دعا محمد ﷺ لأهل هزمان فسأل نهارا[6] عن ذلك فذكر أن النبي ﷺ دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجّه في الآبار ففاضت ماء)... ففعل مسيلمة ذلك فغار ماء الآبار ويبس النخل وانما ظهر ذلك بعد مهلكه).

---

(١) البداية ج ٦ ص ٣٢٣ ـــ ٣٢٦

(٢) الفرق بين الفرق ص ٣٤٥

(٣) البداية ج ٦ ص ٣٢١

(٤) الكامل ج ٢ ص ٣٥٥ والطبري ج ٣ ص ٢٧٢

(٥) البداية ج ٦ ص ٣٢٠

(٦) نهار هذا كان قد بعثه الصديق الى اليمامة زمن الردة يثبتهم على الاسلام فارتد وشهد لمسيلمة بالنبوة وان رسول الله ﷺ قد اشرك مسيلمة في الأمر وقد قتل مرتدا. البداية ج ٥ ص ٥١ وج ٦ ص ٣٢٣ والطبري ج ٣ ص ٢٨٢ وغيرهما

وقال له نهار امرر يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمد ففعل وأمرّ يده على رؤوسهم وحنكهم فقرع كل صبي مسح رأسه ولثغ كل صبي حنكه وانما استبان ذلك بعد مهلكه)[1] كذلك.

د ـ سجـــاح

سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية وكانت من نصارى العرب وقد ادعت النبوة بعد موت رسول الله ﷺ وحدوث الردة في القبائل فالتف حولها اناس كثير من قومها ومن غيرهم وغزت بهم القبائل المجاورة حتى وصلت الى بني تميم فاصطلحوا معها وأشاروا عليها بغزو بعض القبائل المجاورة لهم وسارت حتى وصلت اليمامة بلدة مسيلمة الكذاب فقالت لجيشها لما هاب من دخولها (عليكم باليمامة دفّوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرّامة لا تلحقكم بعدها ملامة) فلما سمع مسيلمة بها خاف منها وطلب الاجتماع بها[2] فاستجابت لذلك.

واجتمع معها في أربعين من قومه في خيمة كان قد أمر بتجميرها فسألها ماذا يوحى اليك فقالت وهل يكون النساء يبتدئن ؟ بل أنت ماذا أوحى اليك فقال : (ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى قالت وماذا ؟ فقال ان الله خلق للنساء افراجا وجعل لهن ازواجا فنولج فيهن قعسا ايلاجا ثم نخرجها اذا نشاء اخراجا فينتجن لنا سخالا انتاجا فقالت أشهد أنك نبي فقال لها هل لك ان أتزوجك واكل بقومك وقومي العرب ؟ قالت نعم. فقال قصيدة ــ سخيفة يدعوها فيها الى الفاحشة فاستجابت له ــ وأقامت عنده ثلاثة أيام)[3] رجعت بعدها الى بلادها وأقامت في قومها بني تغلب الى زمان معاوية فأجلاهم عنها عام الجماعة[4] . ويذكر أنها أسلمت وحسن اسلامها وأنها انتقلت الى البصرة وماتت بها وانه قد صلى عليها سمرة بن جندب عامل معاوية اذ ذاك على البصرة وقيل غير ذلك[5] .

---

(١) الكامل ج ٢ ص ٣٦٢ والبداية ج ٦ ص ٣٢٧
(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٧١ ــ ٢٧٢ والبداية ج ٦ ص ٣١٩ وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٨٧٤ والكامل ج ٢ ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥ ــ ٣٥٦
(٣) البداية ج ٦ ص ٣٢١ وكتاب الكامل ج ٢ ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦ والطبري ج ٣ ص ٢٧٣ وابن خلدون ج ٢ ص ٨٧٤
(٤) البداية ج ٦ ص ٣٢١ والطبري ج ٣ ص ٢٧٥
(٥) الكامل ج ٢ ص ٣٥٧

ومن سجعها الذي تزعمه وحيا قولها :

(أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب)[1]

وما تقدم عند دخول اليمامة من قولها، عليكم باليمامة... الخ).

هـ ـ تعقيـــــب

هذه الدعاوى السابقة لا تحتوي على شيء يستحق المناقشة والرد فهم أربعة أشخاص ادعوا النبوة ـ ثلاثة رجال وامرأة ـ اما اثنان منهم ـ وهما طليحة بن خويلد وسجاح ـ فقد أكرمهما الله سبحانه وتعالى بعد ذلك بالاسلام فأسلما واستشهد أحدهما في سبيل الاسلام ـ وفي اسلامهما وتركهما لدعوتيهما الدليل الكافي على بطلان ما دعيا اليه.

وأما الآخران وهما الأسود العنسي ومسيلمة بن حبيب فيكفي في ذلك اخبار الرسول ﷺ بكذبهما ـ كما تقدم ـ ومع ذلك فانا نقف هنا وقفة قصيرة لتوضيح الأسباب التي كانت وراء حركات التنبؤ تلك :

١) من أسباب ظهور تلك الدعاوى الباطلة العصبية الجاهلية التي كانت متمكنة في نفوس القبائل اذ ذاك من التنافس والتحاسد وذلك انه لما ظهر رسول الله ﷺ في قريش فرفعها الله عزّ وجلّ بذلك التكريم كما قال سبحانه وتعالى (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)[2] أغاظ ذلك القبائل الأخرى وجعلها مهيأة لقبول ونصرة أية دعوى تنبثق منها سواء كانت حقا أو باطلا. وينقل لنا التاريخ بعض الأقوال والحوادث التي تؤكد ذلك وتوضحه كما رأينا بعضه من قبل :

فمنها قول عيينة بن حصن أحد اتباع طليحة آنذاك حيث قال : (والله لنبي من بني أسد أحب اليّ من بني هاشم وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه)[3].

ويقول في ذلك ابن الأثير رحمه الله : (وتبعه كثير من العرب عصبية فلهذا كان أكثر اتباعه من بني أسد وغطفان وطيء)[4].

---

(١) البداية ج ٦ ص ٣٢٠

(٢) سورة الزخرف آية ٤٤

(٣) البداية ج ٦ ص ٣١٨ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥٧ مع اختلاف يسير والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٤

(٤) الكامل ج ٢ ص ٣٤٤

ومنها قصة عن عمير بن طلحة عن أبيه أنه قال لمسيلمة : (أشهد أنك كذاب وأن محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر...).

٢) ومن الأسباب في ذلك الطمع المادي الذي كان غالبا على تفكيرهم ونحن نلمس ذلك في الصلح الذي كان بين مسيلمة وسجاح حيث قال لها مسيلمة : هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب قالت نعم)[1].

وكذلك في رسالة الأسود الى عمال النبي ﷺ باليمن والتي قال فيها : (أيها المتمردون علينا امسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به) فهو يرى هنا بمنظار المادة فقط وكأن الصحابة رضي الله عنهم انما جاء بهم تلك الأطماع التي تمكنت من نفسه أيما تمكن فأعمته عن رؤية الحق الذي حملوه اليه.

٣) ومن الأسباب كذلك حب السيطرة والعلوّ والتي يصورها لنا كتاب مسيلمة الى رسول الله ﷺ والذي يقول فيه : (ان لنا نصف الأمر ولقريش نصفه ولكن قريشا قوم يعتدون) فهو يظن أن رسول الله ﷺ انما قام يدعو الى ما يدعو اليه حبا في السيادة وطمعا في الملك وهو الذي كان قومه يعرضون عليه الملك فيأبى ويرفض لأنه لم يقم من تلقاء نفسه صلوات الله وسلامه عليه وانما قام بأمر ربه لهداية الناس.

فهذه نظرات موجزة عن أسباب تلك الحركات في صدر الاسلام والتي قد اختفت في أعماق التاريخ ولم يبق لها الا ما يتندر به الناس من خرافاتها وأسجاعها التي زعمتها وحيا من الله ــ وسيأتي مزيد بيان ان شاء الله للاسباب التي كانت وراء حركات التنبؤ قديماً وحديثاً ــ[2].

---

(١) البداية ج ٦ ص ٣٢٦

(٢) في الباب الخامس

الفصـــــل الثـــاني

المتنبؤون في العصرين الأموي والعباسي

أ ـ المختار بن عبيد الثقفي

ب ـ الحارث بن سعيد

ج ـ بيان بن سمعان

د ـ المغيرة بن سعيد

هـ ـ أبو منصور العجلي

و ـ ابو الخطاب الأسدي

ز ـ علي بن الفضل

ح ـ تعقيـــب.

أ ـ المختـــار :

(هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي.

أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ ولم يره فلهذا لم يذكره أكثر الناس في الصحابة وانما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة. وكان أبوه ممن أبلى بلاء حسنا في الاسلام وقد قتل شهيدا في قتال الفرس) وسمّي الجسر الذي على دجلة باسمه (جسر أبي عبيد)[1] ويسمى أتباعه بالمختارية.[2]

وقد (تظاهر المختار أولا بالتشيع فالتف حوله جماعات كثيرة من الشيعة)[3] وكان يقول (بإمامة محمد بن الحنفية... وكان يدعو الناس اليه ويذكر علوما مزخرفة بترهاته يتوطها به... ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه)[4] ثم ادعى المختار بعد ذلك أن (جبريل عليه السلام ينزل عليه)[5].

وروى الامام احمد عن رفاعة القتباني قال دخلت على المختار فألقى اليّ وسادة وقال لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك قال فأردت أن أضرب عنقه قال فذكرت حديثا حدثنيه أخي عمر بن الحمق قال قال رسول الله ﷺ ايما مؤمن أمّن مؤمنا على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء)[6].

وقد قيل لابن عمر إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه فقال صدق قال تعالى : (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم)[7].

---

(١) البداية ج ٨ ص ٢٨٩ ــ ٢٩٢ بتصرف

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧

(٣) البداية ج ٨ ص ٢٩٠

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٨

(٥) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٨٠ / البداية ج ٨ ص ٢٩١ / فرق الشيعة ص ٤٢ الفرق بين الفرق ص ٤٦

(٦) المسند ج ٥ ص ٤٢٧
قلت : لا ينطبق هذا الحديث على المختار لأنه بقوله ذلك قد خرج من الايمان

(٧) قال الهيثمي : (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح) مجمع الزوائد / ٧ : ٢٣٣ /

(وقد استولى على الكوفة ونواحيها وقتل كل من كان بالكوفة من الذين قاتلوا الحسين ابن علي بكربلاء)[1] ودارت بينه وبين مصعب بن الزبير معارك كانت الغلبة لمصعب وقتل فيها المختار وأزال الله دولة المختار وفرح المسلمون بزوالها وذلك في عام ٦٧ هـ[2].

ومن أسجاعه قوله (أما والذي انزل القرآن وبين الفرقان وشرع الأديان وكرّه العصيان لأقتلنّ البغاة من أزد عمان ومذحج وهمدان ونهد وخولان وبكر وهزّان وثعل ونبهان وعبس وذبيان وقيس وعيلان)[3].

وقال : (أما وممشي السحاب الشديد العقاب السريع الحساب العزيز الوهاب القدير الغلاب لانبشنّ قبر ابن شهاب المفتري الكذاب المجرم المرتاب ثم ورب العالمين ورب البلد الأمين لأقتلن الشاعر المهين وراجز المارقين وأولياء الكافرين وأعوان الظالمين واخوان الشياطين الذين اجتمعوا على الأباطيل وتقوّلوا عليّ الأقاويل وليس خطابي الا لذوي الاخلاق الحميدة والأفعال السديدة والآراء العتيدة والنفوس السعيدة)[4] وله أسجاع غير ذلك.

ومن ترهاته (أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزيّنه بأنواع الزينة وقال : (هذا من ذخائر أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني اسرائيل وكان اذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني اسرائيل وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم)[5].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٤٥

(٢) الفرق بين الفرق ص ٥٠ / البداية ج ٨ ص ٢٨٩ / تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٧٦

(٣) الفرق ص ٤٦ — ٤٧ والكامل للمبرد ج ٣ ص ٢٦٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ

(٤) الفرق ص ٤٧ — ٤٨

(٥) الملل ١ ص ١٤٩ تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٧٦ والكامل للمبرد ج ٣ ص ٢٦٩ والبداية ج ٨ ص ٢٩٢

ب ـ الحـارث بن سعيـد

الحارث بن سعيد وكان مولى لأبي الجلاس نزل دمشق[1] (وتعبد بها وتنسّك وتزهّد ثم مُكِرَ به ورجع القهقري على عقبيه وانسلخ من آيات الله تعالى وفارق حزب الله المفلحين واتبع الشيطان فكان من الغاوين)[2].

وكانت بداية ضلاله أنه :

(كان متعبدا زاهدا لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهاده وكان اذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون الى كلام أحسن من كلامه... فكتب الى أبيه : يا أبتاه عجّل عليّ فانه قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشيطان فزاده أبوه غيا وكتب اليه يا بني أقبل على ما أمرت به ان الله يقول (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفّاك أثيم)[3] ولست بأفّاك ولا أثيم فامض لما أمرت به وكان يجيء الى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى ما يرضى قبل والا كتم عليه)[4].

فعرض على القاسم بن مخيمرة وقال له : (اني نبيّ فقال القاسم كذبت يا عدو الله ما انت بنبيّ)[5] ثم اخبر به قاضي دمشق وأخبر بدوره الخليفة عبد الملك بن مروان.

فاختفى الحارث بعد ذلك ببيت المقدس وجهل الناس خبره فتسلط عليه رجل من أهل البصرة حتى عرف مدخله ومخرجه وتظاهر له بالتصديق له وقال له : (ان كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم فأمر ألا يحجب عنه متى أراد الدخول عليه) فاتصل بعبد الملك وأخبره الخبر فسيّر معه جنودا من العجم وتم القبض عليه وجيء به الى عبد الملك فأمر (بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار الى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح فلما رأى رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله)[6] (وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر

---

(١) البداية ج ٩ ص ٢٧ تلبيس ص ٤٢٧

(٢) البداية ج ٩ ص ٢٧ وتلبيس ابليس ص ٤٢٧ وتهذيب ابن عساكر ج ٣ ص ٤٤٢

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢١ ـ ٢٢٢

(٤) تلبيس ص ٤٢٧

(٥) البداية ج ٩ ص ٢٨

(٦) تلبيس ابليس ص ٤٢٩ والبداية ج ٩ ص ٢٨

رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك) عام ٧٩ هـ[1].

ومن مخاريقه انه كان يأتي الى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبّح تسبيحا بليغا حتى يضج من ذلك الحاضرون) (وكان يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وكان يقول لهم اخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرج بهم الى دير المراق فيريهم رجالا على خيل بلق فيتبعه على ذلك بشر كثير)[2].

ج ــ بيـــان بن سمعـــان

هو (بيان بن سمعان النهدي من بني تميم ظهر بالعراق بعد المائة)[3]، ويسمى أتباعه بالبيانية.

ادّعى أصحابه (انتقال الامامة من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية اليه) وكان يزعم أن جزءا الهيا حل في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ثم (انتقل اليه الجزء الالهي بنوع من التناسخ)[4] (وكان يزعم انه يعرف الاسم الأعظم وانه يهزم به العسكر وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه)[5] ثم زعم أنه هو المذكور في القرآن في قوله تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)[6] وقال أنا البيان وأنا الهدى والموعظة.

زعم بعض أتباعه (أنه كان نبيا وأنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ)[7] بل هو كان يزعم أنه نبيّ ولهذا فقد كتب كتابا الى محمد بن علي بن الحسين الباقر رضي الله عنه ودعاه الى نفسه وفي كتابه : (أسلم تسلم وترتقي في سلّم فانك لا تدري حيث يجعل الله النبوة) فأمر الباقر ان يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فأكله فمات في الحال (وقد اجتمعت طائفة على بيان بن سمعان ودانوا به وبمذهبه)[8].

---

(١) البداية ج ٩ ص ٢٨ ــ ٢٩ وتلبيس ابليس ص ٤٣٠

(٢) البداية ج ٩ ص ٢٧ ــ ٢٨ وتلبيس ابليس ص ٤٥٧ ومجمع البلدان ج ٢ ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤

(٣) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٥٧

(٤) الملل ج ١ ص ١٥٢

(٥) الفرق ص ٢٢٨ المقالات ج ١ ص ٦٧ للأشعري

(٦) سورة آل عمران آية ١٣٨

(٧) الفرق ص ٢٣٧ مسائل الامامة ص ٤٠

(٨) الملل ١ ص ١٥٣ ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٥٧ وفرق الشيعة ص ٥٠ ــ ٥١

ومن عقـــائده :

زعمه أن الاله الأزلي رجل من نور وأنه يفنى كله غير وجهه وتأول ــ بذلك ــ على زعمه ــ قوله : (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون)[1] [2] .
وكان يقول كما تقدم بحلول جزء الهي في عليّ رضي الله عنه.

(ورفع خبره الى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه وقال ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك)[3] وقيل بل أحرقه مع المغيرة بن سعيد[4].

ــ المغيــرة بن سعيــد العجلي :

المغيرة بن سعيد العجلي[5] مولى خالد بن عبد الله القسري[6] وهو من أهل الكوفة[7].

ادّعى أنه الامام بعد محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية ثم زعم بعد ذلك (أنه رسول نبيّ وان جبرائيل يأتيه بالوحي من عند الله)[8].
ومن عقائده أنه :

(زعم أن معبوده رجل من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء وان الألف منها مثال قدميه والعين على صورة عينه وشبّه الهاء بالفرج)[9].

وله في بدء الخلق كلام عجيب وهذيان غريب كزعمه أن الله تعالى لما أراد أن يخلق العالم تكلم باسمه الأعظم فطار ذلك الاسم ووقع تاجا على رأسه وتأول على ذلك قوله :

---

(١) سورة القصص آية ٨٨
(٢) الفرق ص ٢٣٧ الملل ج ١ ص ١٥٣ الفصل ج ٤ ص ١٨٥ المقالات ج ١ ص ٦٧
(٣) الفرق ص ٢٣٧
(٤) الفصل ج ٤ ص ١٨٥ والملل ج ١ ص ١٥٣ والميزان ج ١ ص ٣٥٧
(٥) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٦
(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٦ فرق الشيعة ص ٧٥
(٧) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٦١
(٨) فرق الشيعة ص ٧٥ الملل والنحل ج ١ ص ١٧٧ / النووي علي مسلم ج ١ ص ١٠٠ ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٦١ والفرق بين الفرق ص ٢٣٩
(٩) الفرق بين الفرق ص ٢٣٩

(سبح اسم ربك الأعلى)[1] وزعم أن الاسم الأعلى انما هو ذلك التاج ثم انه بعد وقوع التاج على رأسه كتب باصبعه على كفه أعمال عباده ثم نظر فيها فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مظلم مالح والآخر عذب نيّر ثم اطلع في البحر فأبصر ظله فذهب ليأخذه فطار فانتزع عيني ظله فخلق منهما الشمس والقمر وافنى باقي ظله وقال لا ينبغي أن يكون معي اله غيري...)[2]، الى آخر ذلك الكلام الذي يعجب منه كل من قرأه أو سمعه ولا يصدق ان لقائله مسكة من عقل بله ان يكون نبيا رسولا.

وزعم كذلك أن الله تعالى خلق الناس قبل أجسادهم فكان أول ما خلق ظل محمد قال فذلك قوله : (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)[3] قال ثم أرسل ظل محمد الى أظلال الناس[4]... الخ ما ذكره من ذلك الهراء.

ومن تُرّهاته أنه كان يحرم ماء الفرات وكل ماء نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة[5] وكان من تشريعاته كذلك استحلال المحارم[6].

وكان يزعم أنه : (لو أراد أن يحيي عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا لأحياهم)[7].

وعندما اطّلع عليه خالد بن عبد الله القسري قبض عليه وأوقد له نارا وأمره أن يعتنقها فأبى فقتله خالد وقتل أصحابه[8] وقيل بل احرق بالنار وكان ذلك سنة ١١٩ هجرية[9].

---

(١) سورة الأعلى آية ١
(٢) الفرق ص ٢٣٩ — ٢٤٠ المقالات ص ٦٩ — ٧٢ — ٧٣
(٣) سورة الزخرف آية ٨١
(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٧
(٥) الفيصل ج ٤ ص ١٧٥
(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٧
(٧) تاريخ ابن جرير ج ٧ ص ١٢٨ وفرق الشيعة ص ٧٥
(٨) البداية ج ٩ ص ٣٢٣ وتاريخ الطبري ج ٧ ص ١٢٨ — ١٢٩
(٩) وتاريخ ابن جريرج ٧ ص ١٢٨ فرق الشيعة ص ٧٥

هـ ــ أبــو منصــور العجلــي

أبو منصور العجلي رجل (من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشأه بالبادية وكان أميًا لا يقرأ)[1].

ولم يدّع النبوة من أول أمره بل قدم لذلك بمقدمات وتمهيدات وصل بعدها الى ما يريد.

فأول ما ادعى أنه خليفة ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين المسمى بالباقر وأنه فوّض اليه أمره وجعله وصيه من بعده[2].

ثم زعم (أن الرسل لا تنقطع أبدا وأن الرسالة لا تنقطع)[3] وبعد ذلك ادّعى أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه نبيّ ورسول وكذا الحسن والحسين وأبناء الحسين ثم لما كان هو خليفة الباقر محمد بن علي بن الحسين وقد كان هذا في زعمه نبيا فان النبوة تحولت اليه وقال : (انا نبي ورسول والنبوة في ستة من ولدي يكونون بعدي أنبياء آخرهم القائم)[4] (وزعم أن جبرائيل عليه السلام يأتيه بالوحي من عند الله عزّ وجلّ وان الله يبعث محمدا بالتنزيل وبعثه هو ــ يعني نفسه ــ بالتأويل)[5].

وادّعى (أنه عرج به الى السماء وان الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له يا بنيّ بلغ عني ثم أنزله الى الأرض وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور في قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ــ ٤٤ ــ الطور)[6].

وزعم (أن أول ما خلق الله تعالى هو عيسى بن مريم عليه السلام ثم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)[7] وزعم أن الله اتخذه خليلا[8].

---

(١) فرق الشيعة ص ٥٤

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ وفرق الشيعة ص ٥٤

(٣) الملل ج ١ ص ١٧٩ ومقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٥ والفصل ج ٤ ص ١٨٥

(٤) فرق الشيعة ص ٥٤

(٥) فرق الشيعة ص ٥٤

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٤٤ فرق الشيعة ص ٥٤ والملل ج ١ ص ١٧٨ والفصل ج ٤ ص ١٨٥

(٧) الملل ج ١ ص ١٧٩ والفصل ج ٤ ص ١٨٥ ومقالات الاسلاميين ج ١ ص ٨٥

(٨) فرق الشيعة ص ٥٤

وهو لا يؤمن (بالجنة والنار)[1] وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت وان النار رجل امرنا بمعاداته وهو خصم الامام)[2].

ومن تأويلاته في الشريعة أنه (تأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله بمعاداتهم وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم)[3].

وقد (أباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم)[4] (وقال لم يحرم الله ذلك علينا ولا حرم شيئا تقوى به أنفسنا)[5] (وأسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج)[6].

وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فان هذا الجهاد الخفي[7].

(استمرت فتنتهم على عادتهم الى أن وقف يوسف بن عمر الثقفي والى العراق في زمانه على عورات المنصورية فأخذ أبا منصور العجلي وصلبه)[8] وذلك (في أيام هشام ابن عبد الملك)[9].

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٥ والفرق بين الفرق ص ٢٤٥
(٢) الملل ج ١ ص ١٧٨ ومقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٥ والفرق بين الفرق ص ٢٤٥
(٣) الملل ج ١ ص ١٧٩ ومقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٥ والفصل ج ٤ ص ١٨٥
(٤) الفصل ج ٤ ص ١٨٥ ومقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٥
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٥
(٦) الفصل ج ٤ ص ١٨٥ والملل ج ١ ص ١٧٩ والمقالات ج ١ ص ٧٥
(٧) فرق الشيعة ص ٥٤ / الفرق ص ٢٣٥ / الفصل ج ٤ ص ١٨٥ وأصول الدين ص ٣٣١
(٨) الفرق ص ٢٣٥ والمقالات ج ١ ص ٧٥ /
(٩) الملل ج ١ ص ١٧٩

و ــ أبو الخطـــاب الأســدي

هو محمد بن أبي زينب[1] من موالي بني أسد بالكوفة[2] وكان يدعى الانتساب في المذهب الى أبي جعفر الصادق فلما وقف الصادق على غلوّ الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه[3] (فلما اعتزل عنه ادعى الامامة لنفسه) ثم (زعم ان الأئمة أنبياء ثم آلهة)[4] ثم (ادعى النبوة لنفسه)[5] وقد تابعه أصحابه على ذلك وزعموا : (أن الأئمة أنبياء محدثـون)[6] وأن أبا الخطاب كان نبيا)[7].

وقد كان من غلوّ أتباعه انهم خرجوا (يوما من الأيام محرمين ينادون بأعلى أصواتهم لبيك جعفر لبيك جعفر[8] ... وذلك لأن أبا الخطاب كان قد زعم لهم ان جعفر الصادق اله[9] ثم ادعى لنفسه الالهية أخيرا[10].

ولذلك فقد أنكر الجنة والنار وقال : (الجنة نعيم الدنيا والنار آلامها)[11] . ثم استباح هو وأتباعه المحرمات وترك الفرائض[12] وشهادة الزور لموافقيهم[13] .

وقد استمرت فتنته هذه حتى وقف عيسى بن موسى ــ وكان عاملا على الكوفة للمنصور ــ على خبث دعوة أبي الخطاب هذا فقتله بسبخة الكوفة[14] وقيل صلب في كناسة الكوفة[15] .

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٦
(٢) الحور العين ص ١٦٦ والفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٧
(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٩
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٠
(٥) لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٨٢
(٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٦
(٧) مختصر التحفة الاثنى عشرية ١٢ وفرق الشيعة ص ٨١
(٨) الفصل ج ٤ ص ١٨٧
(٩) الفرق بين الفرق ص ٢٤٧ والفصل ج ٤ ص ١٨٧
(١٠) الفرق بين الفرق ص ٢٤٧
(١١) لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٨٢ ومختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٢
(١٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٢ وفرق الشيعة ص ٨١
(١٣) الفرق بين الفرق ص ٢٤٧ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٨٢
(١٤) الملل ج ١ ص ١٨٠
(١٥) الفرق بين الفرق ص ٢٤٧

ز ـ علي بن الفضل الحميري

علي بن الفضل بن احمد الخنفري الحميري[1] قيل انه سار ليحج ثم ليزور قبر الحسين بكربلاء والتقى هنالك بجدّ الفاطميين عبيد الله بن ميمون القدّاح فتفرس فيه الذكاء والنبوغ فانتدبه للقيام بالدعوة وأمره بالعودة الى اليمن[2] . وبعد وصوله اليمن أظهر التنسك والعبادة وكان الناس يطلبون منه الدعاء ويرون فيه الرجل الصالح ولما كثر أتباعه أعلن التمرد واستولى على اجزاء كثيرة في اليمن وصل بعدها الى زبيد وصنعاء وهناك أعلن مذهبه ومعتقده[3] السيء.

وبعد أن دخل صنعاء صعد المنبر وقال قصيدته المشهورة التي صرح فيها بدعوى النبوة وهذا مطلعها :

خذي الــــدفّ يا هذه واضربــــي	وغنــــي هزارك ثم اطربــــي
تولّــــى نبــــي بنــــي هاشم	وجــاء نبــي بنــي يعــرب
أحــلّ البنــات مع الأمهــات	ومــن فضلــه زاد حل الصبــي
لكــل نبــي مضى شرعــه	وهــذي شريعــة هذا النبــي[4]

الى آخر ماجاء في القصيدة التي أعلن فيها كفره والحاده ثم يتبجح بالرسالة والاتصال بالله عزّ وجلّ حتى كان مؤذنة يقول في أذانه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله[5] .
وبعد فترة قاسية عاشها أهل اليمن في عهده سخط عليه فيها أهل السماء وأهل الأرض حتى أقرباؤه وحاشيته لانغماسه في المحرمات والخروج على شريعة الاسلام بعد ذلك أهلكه الله على يد أحد الأطباء عام ٣٠٣ هـ[6] فأراح الله منه البلاد والعباد.

---

(١) أشعة الأنوار ج ٢ ص ٩ للبيحاني
(٢) غاية الأماني في اخبار القطر اليماني ج ١ ص ١٩١ ـ ليحي بن الحسين ابن القاسم
(٣) أشعة الأنوار ج ١ ص ١٠
(٤) الحور العين ص ١٩٩ لنشوان الحميري وتاريخ اليمن الثقافي ج ٤ ص ٨٧ وكتاب مذهب الباطنية وبطلانه ص ٨٢ لمحمد بن الحسن الديلمي
(٥) أشعة الأنوار ج ٢ ص ١٠
(٦) مذهب الباطنية وبطلانه ص ٨٢ واشعة الأنوار ج ٢ ص ١١

وقد حاول بعض المعاصرين ممن مسخت في نفسه معاني الحياة الكريمة أن يجدد ذلك المذهب في يافع وكان يسمي نفسه الحسين بن هارون ولكنه هلك وخفت صوت مذهبه بموته ولله الحمد.[1]

ح ــ تعقيـــــب :

بعد عرض هذه الدعوات الضالة التي لم تدم طويلا في المجتمع المسلم لأنه كان واعيا مدركا لكذبها ودجلها ولأنها دعوات أسست على غير تقوى وهدى فكانت كالذي أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم..

بعد عرض هذه الدعوات لا بد هنا من نظرة عامة على تلك الدعوات تتناول مختلف جوانبها : بما يكشف عن زيفها وبطلانها :

أولا : عرضنا هنا سبعة أشخاص ادّعوا النبوة ستة منهم كانوا متصلين بالفكر الشيعي وقد استغلوا ذلك الاتصال حيث زعموا للأئمة الذين كانوا يوالونهم من أهل البيت وهم ابن الحنفية والنفس الزكية والباقر والصادق ــ حيث زعموا لهم مرتبة فوق مرتبتهم فمنهم من زعموا له النبوة ومنهم من أسبغوا عليه صفات الألوهية ثم كانت المرحلة الثانية التي ادعوا فيها لأنفسهم النبوة. أما أهل التصوف فلم يشتهر منهم الا شخصية واحدة ــ وهو الحارث بن سعيد ــ لم يمهل حتى قضي عليه.

ثانيا : رأينا كذلك أن أصحاب الدعوات الخمس الشيعية وهم المختار وبيان والمغيرة وأبو منصور وأبو الخطاب ــ رأينا انهم ظهروا ــ في منطقة العراق تلك المنطقة التي كانت مهدا للفتن والزلازل طوال تاريخها الاسلامي مما يدل دلالة قوية على وجود مؤامرات سرية بها تهدف الى القضاء على الاسلام ودولته.

ثالثا : ان المتتبع لتلك الدعوات يرى فيها ملامح الوثنية واضحة بارزة.

ففي العقيدة نرى أنها تصف الله عزّ وجلّ بما لا يليق به سبحانه كوصف بيان بأنه سبحانه (رجل من نور وأنه يفنى كله الا وجهه) وكزعم المغيرة بأنه تعالى خاطبه بقوله : (يا بنيّ بلّغ عني) أما أبو الخطاب فقد رفع البشر الى مقام الألوهية حيث ادعى للأنبياء والأئمة الألوهية ثم ادعاها بعد ذلك لنفسه.

---

(١) أشعة الأنوار ج ٢ ص ١١

أما ملامح الوثنية في نظرتهم الى الشريعة الاسلامية واباحتهم للمحرمات فهو مما لا يخفى من أقوالهم وتصريحاتهم فهذا أبو المنصور يتأول الشرائع الاسلامية و(أباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم) واسقط التكاليف وكذلك المغيرة بن سعيد : (استحل المحارم) وكذلك الخطابية : (استحلوا المحرمات وترك الفرائض) وهذا كذلك علي ابن الفضل الحميري الذين كان أفجرهم وأقذرهم بلغ به السفه الى تحليل كل ما حرم الله تصريحا وتلويحا..

ومثل هذه العقائد والأخلاق يأنف الايمان بها أو اتباعها كل من له خلق أو حياء.. بل وأسقاط الناس كذلك الا الذين مسخت عقولهم وفطرهم فهم اتباع كل ناعق وضال يشبع شهواتهم وغرائزهم الحيوانية.

ثالثا : المتنبئون الأربعة ـــ بيان والمغيرة وأبو المنصور وأبو الخطاب ـــ كانوا في أواخر الدولة الأموية وذلك في الوقت الذي كثرت فيه الفتن وأخذت الدولة العباسية تحاول الظهور ولعل ذلك تخطيط ماكر من أعداء الاسلام ليستلموا الراية هم بنبي جديد يخرجونه ليستقطب الرأي العام ويستلفت الأنظار اليه لتقوم دولة الوثنية من جديد.

هذه هي الحركات الضالة أصولها وظروفها وليس لها من القواعد ما يمكنها من البقاء والاستمرار خاصة وان الدولة كانت للاسلام وأهله وأنه لم تختف عقيدة الختم من قلوبهم فلم يمهلوا ولم يتركوا بل حوسبوا حسابا شديدا لم يترك لهم عينا ولا أثرا.. ولم يبق لهم الا أخبار تتناقلها كتب التاريخ والأدب على سبيل العبرة أو التفكه.. وذلك يدلنا على حزم الأمة الاسلامية في مواجهة كل غريب دخيل يريد التسلل الى عقيدة الختم..

البـــاب الـــرابع

حركـــات التنبـــؤ في العصـــر الحديث

تمهيـــــد :

فشلت الحروب الصليبية ضد الاسلام ــ رغم الضعف الذي وصل اليه المسلمون ــ ورجعت خائبة خاسرة ــ وبعد ذلك سلك أعداء الاسلام طريقا آخر في حربهم للاسلام والمسلمين ــ وهو طريق الغزو الفكري والتشكيك العقائدي لاضعاف الاسلام في نفوس أهله وبذلك وحده يستطيعون السيطرة على المسلمين والاستيلاء عليهم من حيث لا يشعرون اذ هم بدون الاسلام لا يساوون شيئا.

وأهم جانب في العقيدة الاسلامية هو حرص المسلمين الشديد على متابعة رسول الله ﷺ الذي يمثل الوحدة القيادية للأمة الاسلامية فاذا ما استطاعوا أن يحولوا بين المسلمين وبين متابعتهم له ﷺ فان ذلك سيمكنهم مما يريدون.. ومما سلكوه في ذلك «صناعة شخصيات قيادية تحت شعار النبوة أو رعايتها ودفعها اذا ظهرت وبذلك يستطيعون أن يمزّقوا الأمة ويشتتوا شملها.

هذا ما فكّروا فيه ونفذوه في العالم الاسلامي[1] ــ فأدخلوا اليه أفكارا منحرفة كالشيوعية والقومية وغيرهما من المذاهب كما أوجدوا بعض الشخصيات القيادية باسم النبوة والوحي وتعهدوا البعض الآخر بالرعاية والتشجيع وذلك خلال القرنين الأخيرين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ــ وتلك الشخصيات هي شخصية الباب والبهاء والقادياني ــ الذين قاموا بحركات التنبؤ في العصر الحديث فأدت حركاتهم بذلك دورا سيئا في داخل العالم الاسلامي ــ في مناطق منه ــ بشغل المسلمين بدعاواهم والرد عليهم وتحذير الناس من مكرهم ثم اضلال بعض الجهلة والسذج في المجتمع المسلم بتلك الدعاوى الى غير ذلك من شرورهم.

ولما كانت هذه الحركات المعاصرة قد انخدع بها بعض الناس فقد أفردت لها بابا خاصا في هذا البحث لعرض دعاواهم وأدلتهم وما انتحلوه من كتب زعموها وحيا أوحاه الله اليهم ونبذة يسيرة من تعاليمهم ثم مناقشة كل جانب من تلك الجوانب لتعرف هذه الحركات ويتقي خطرها وكيلا يتدنس وجه عقيدة ختم النبوة بشيء من شبههم وأضاليلهم.

---

(١) وسيأتي زيادة توضيح وبيان في الباب الخامس ان شاء الله

الفصل الأول

الدعوة البابية والرد عليها

أ ــ الدعوة البابية :

أولا : الظروف التي ظهرت فيها

ثانيا : حياة الباب

ثالثا : دعواه النبوة

رابعا : موقف العلماء من دعوة الباب

خامسا : البيان كتاب البابية المقدس

سادسا : تعاليم الباب

ب ــ الرد على البابية

أ ــ الدعــوة البابيــة

هذه نحلة دينية جديدة ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري في بلاد ايران على يد رجل شيعي يدعى الميرزا على محمد الشيرازي ظهر بفكرة الباب الى المهدي المنتظر فلقب بعد ظهوره بالباب واليه تنسب هذه النحلة.[1]

أولا : الظروف التي ظهرت فيها هذه النحلة :

ظهرت هذه النحلة في وسط شيعي اثنى عشري يعتقد أن الامام الثاني عشر من أئمته وهو «محمد بن الحسن العسكري» قد اختفى من القرن الثالث الهجري ولا يزال حيا الى اليوم وهو الامام المنتظر.

وقد كان له غيبة صغرى كان يقوم بدور الوساطة فيها بينه وبين أتباعه ــ كما يزعمون ــ سفراء ووكلاء ثم لما طالت فترة غيابه وانقطعت اخباره دخل في الغيبة الكبرى ولا يزال فيها الى اليوم.[2]

والشيعة هؤلاء ينتظرون عودته وخروجه كل يوم ويشتد تطلعهم اليه كلما حل بهم كرب أو نزلت بهم شدة.

وقد كانت الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري تعاني شدة من الحكام وبلغ ترقبهم لظهور المهدي المخلّص منتهاه وأصبح ادعاء المهدية آنذاك سهلا ميسورا ولا يحتاج من يرشح نفسه لذلك الا الى شيء من التمويه والتلبيس ليقنعهم بصدق نفسه.[3]

وما كانوا يرددونه من الأدعية في عصرهم ذلك يكشف لنا مدى استعدادهم النفسي لمتابعة أي دعوة تخرج فيهم باسم المهدية فمن أدعيتهم في ذلك : (اللهم طال الانتظار وشمت بنا الفجار وصعب علينا الانتظار) وكذلك (اللهم اكشف هذه الغمة عن هذه الأمة وعجل ظهوره وانهم يرونه بعيدا ونراه قريبا برحمتك يا أرحم الراحمين)[4].

---

(١) تهافت البابية والبهائية ص ٦

(٢) المصدر السابق ص ١ظ و ٤٣ ودائرة المعارف الاسلامية ج ١٤ ص ٦٨ وعقائد الامامية ص ١٠٤ ــ ١٠٨

(٣) يراجع كتاب رسالة نصائح الهدى والدين ص ١١٤ وحقيقة البابية والبهائية ص ٦٩ ــ ٧٠

(٤) المهدية في الاسلام ص ٣١

وقولهم كذلك (يا صاحب الزمان قطعت في وصلتك الخلان وهجرت لزيارتك الأوطان وأخفيت أمري عن أهل البلدان لتكون لي شفيعا عند ربي وربك) [1] وغير هذه مما يصور لنا مدى ما تعانيه الشيعة من شدة الانتظار في ذلك الزمان.

زد على ذلك ما كان يشيعه رجلان غريبان ظهرا في المجتمع الايراني بزي العلماء من قرب ظهور المهدي هما احمد الاحسائي [2] والثاني كاظم الرشتي وكلا هذين الشخصين مشكوك في تاريخهما ومما كانا يؤكد انه في دروسهما قرب ظهور المهدي مع محاولة التعريف بنوعية المهدي الذي سيظهر وما ينبغي أن تكون عليه دعوته. بل قد صرح الرشتي أنه موجود في عصره بل بين تلاميذه [3] فكان يردد في درسه دائما هذه العبارة : «ان الموعود يعيش بين هؤلاء القوم وان ميعاد ظهوره قد قرب فهيئوا الطريق اليه وطهروا أنفسكم حتى تروا جماله ولا يظهر لكم جماله الا بعد أن أفارق هذا العالم فعليكم بعد فراقي أن تقوموا على طلبه ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه) [4]. فالطريق اذن قد مهدت لتلك الدعوى وصاحبها موجود ولكن لا بد من التأني والتدرج في اعلانها فلا تظهر الا بعد هلاك الرشتي.

ثانيا : حياة البـــــاب

هو علي بن محمد رضا الشيرازي ادعى انه ينسب الى أهل البيت ولد في شيراز عام ١٢٣٥هـ وقد توفي والده وهو صغير فكفله خاله الميرزا علي الشيرازي فعهد به الى الشيخ عابد أحد تلامذة كاظم الرشتي ورجاه أن يرعاه جيدا الا أن الشاب لم يرغب الاستمرار في ذلك فأخذه خاله معه الى التجارة ثم ما لبث أن رجع الى الدرس فاشتغل بفن تسخير روحانيات الكواكب وأجهد نفسه بضروب من العبادات والرياضات النفسية التي أثرت في قواه العقلية والجسمية وقد كان يصعد الى سطح المنزل وهو عاري الرأس ويمكث في

---

(١) المهدية في الاسلام ص ٣١ ـ ٣٥ظ

(٢) يقول الدكتور محسن عبد الحميد عن الاحسائي : (وهذا الشخص في حقيقته أجنبي لا يعلم أصله ولكن الشهود قالوا انه جاء الى قريتهم من ايران وكان قبل ذلك في روسيا فتلقفه المستعمرون فدفعوه لتعلم اللغة الكردية وهيأوه حتى يؤدي هذا الدور) حقيقة البابية ص ٥٠ وكذلك تلميذه كاظم الرشتي فيقال (أن أصله غير معلوم ولا يعرف أهل رشت عنه شيئا) البصرة تستأصل الشخصية ص ٧ الشيخية والبابية ص ٣٨ ـ من حقيقة البابية ص ٥١

(٣) حقيقة البابية والبهائية ص ٤٥ ـ ٥٤

(٤) المصدر السابق ص ٥٣

الشمس من وقت الهجيرة الى العصر رغم شدة الحرارة في تلك البلدة (بوشهر) وكان يعتريه من جراء ذلك نوبات عصبية شديدة[1] فلما رأى خاله ذلك السلوك الشاذ أرسله الى كربلاء والنجف لعله يشفى بزيارة مشهد آل البيت وتعتدل صحته[2] ولكنه هناك في كربلاء وقع في أيدي اتباع كاظم الرشتي فأتوا به الى أستاذهم الذي ارتاح له فيما بعد لما رأى عليه من تدين مفرط وفطرة ساذجة الأمر الذي جعله يطمع في استغلاله لاتمام الخطة المرسومة.[3]

ومن ثم بدأ الرشتي يعلن قرب ظهور المهدي.. بل كان يصرح بوجوده في مجلسه ودرسه كما تقدم.

وقد كان الميرزا مستمرا في المجاهدة النفسية ولكنه هنا استبدل حرارة الشمس بظلام الخلوات التي كان يرافقه فيها بعض أقرانه فقد انقطع مع نفر منهم الى الرياضة المعروفة عن المرتاضين بالأربعينية وبعد تمامها خرج وهو في وضع غير عادي من شرود الذهن والانذهال وصار يتكلم بكلام عدّه تلامذة الرشتي خروجا على الاسلام. وقد انتهت به هذه الحياة المضطربة أخيرا الى الخروج بتلك الدعوة عام ١٢٦٠ هـ والى أن انتهت به الى ادعاء النبوة ونسخ الشريعة الاسلامية فلم يحتمل المجتمع الايراني ذلك الادعاء وقاومه وطارده الى أن انتهت حياته بالاعدام رميا بالرصاص وذلك في عام ١٢٦٥ هـ.

ثالثا : دعواه النبوة :

أدت به حياته تلك المضطربة الى دعاوى عدة ــ البابية ــ والمهدي المنتظر ــ ثم النبوة ونسخ الشريعة الاسلامية.

وقد بدأ دعاواه تلك عام ١٢٦٠ هـ وعمره آنذاك خمس وعشرون سنة وذلك بعد هلاك أستاذه كاظم الرشتي الذي مهد له الطريق بعام واحد فادعى أنه الباب ــ أي ان الناس عن طريقه يتصلون بالغائب صاحب الزمان ويأخذون

---

(١) تهافت البابية ص ٤٢ ــ ٤٣ بتصرف نقلا عن كتاب مفتاح باب الأبواب ص ١١٢ / حقيقة البابية ص ٥٣ ومقالة سائح في البابية والبهائية ص ٣

(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ٥٧ وتهافت البابية والبهائية ص ٤٣

(٣) تهافت البابية ص ٤٣ ــ ٤٤ ومفتاح باب الأبواب ص ١١٣

عنه أوامره ونواهيه — وكان كثيرا ما يستشهد بالحديث الموضوع (أنا مدينة العلم وعليّ بابها)[1] يعني نفسه[2]. ثم بعد فترة من ذلك أعلن أنه هو المهدي المنتظر وأنه سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا[3] ثم ادعى أخيرا أنه نبيّ نسخ الشريعة الاسلامية بكتابه الذي سماه «البيان».

والذي يهمنا هنا هو موضوع دعوى النبوة والذي قد صرح بها في عدة مواطن أهمها ما سجله كتابه البيان[4].

يقول في الواحد الأول: (قد خلقتك ورزقتك وامتك وأجبتك وبعثتك وجعلتك مظهر نفسي لتتلون من عندي اياي ولتدعونّ كل من خلقته الى ديني هذا صراط عز منيع، وخلقت كل شيء لك وجعلتك من لدنا سلطانا على العالمين وأذنت لمن يدخل في ديني بتوحيدي وأقرنته بذكرك ثم ذكر من قد جعلته حروف الحق باذني وما قد نزل في البيان من ديني فان هذا ما يدخل به الرضوان عبادي المخلصين)[5].

وقال في تفسيره لسورة يوسف (وان الله أوحى اليّ ان كنتم تحبون الله فاتبعوني)[6] وقال في كتاب بعثه الى الألوسي رحمه الله (ولقد بعثني الله بمثل ما قد بعث محمدا رسول الله من قبل)[7].

---

(١) هذا الحديث موضوع ذكر ذلك الذهبي كما في حاشية المستدرك ج ٣ ص ١٢٦ — ١٢٧

(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ٦٠ وتهافت البابية والبهائية ص ٤٥

(٣) البابيون والبهائيون ص ١٥ — وحقيقة البابية والبهائية ص ٦١

(٤) هذا الكتاب يزعم الباب انه وحي أنزل عليه من السماء وقد قسمه الى تسعة عشر قسما تحت كل قسم منها تسعة عشر قسما كذلك ما عدا الأول منها فلم يقسمه. وهو يزعم بذلك ان كل قسم يمثل احد أتباعه الثمانية عشر الذين قامت عليهم دعوته والأول منها يمثله هو. وطريقته في تقسيمه ذلك كالآتي (— الواحد الأول — الواحد الثاني — وهكذا وهذا الواحد الثاني يقول فيه.. في الباب الأول.. ثم الثاني.. وهكذا..) وسيلاحظ القارىء اخطاء كثيرة في كلام هؤلاء المتنبئين وسننبه عليها في اواخر الفصول ان شاء الله

(٥) كتاب البيان — المطبوع مع كتاب خفايا الطائفة البهائية ص ٤٩

(٦) البيان الموجود في كتاب خفايا الطائفة البهائية ص ٤٩ — ٥٠

(٧) حقيقة البابية والبهائية ص ٦٢

وقال في البيان في الواحد الثالث : (وان فضل ما نزلنا عليك على ما نزلنا عليك من قبل كفضل القرآن على الانجيل ذلك فضل محمد على عيسى قل ان يا عبادي ظهوري في أخراي تنتظرون)[١].

وقال للعلماء الذين جمعوا معه لمناقشته (ألم يأن لكم أيها العلماء أن تنبذوا الهوى وتتبعوا الهدى وتتركوا الضلال وتسمعوا أقوالي وتذعنوا لاوامري ان نبيكم لم يخلف بعده غير القرآن فهاكم كتابي البيان فاتلوه واقرؤوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن وأحكامه ناسخة لأحكام القرآن)[٢] ثم لا يكتفي بدعوى النبوة بل رفع نفسه فوق سيد البشر عليه الصلاة والسلام فقال : (اني أفضل من محمد كما ان قرآني أفضل من قرآن محمد واذا قال محمد بعجز البشر عن الاتيان بسورة من سور القرآن فأنا أقول بعجز البشر عن الاتيان بحرف من حروف قرآني ان محمدا كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطة)[٣] ثم ينتهي به السفه الى أنه لا يرى فيه الا الله حيث قال : (أنا قيّوم الأسماء مضى من ظهوري ما مضى وصبرت حتى يمحص الكل ولا يبقى الا وجهي وأعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة فانه لا يرى فيّ الا الله)[٤].

وفي الايقان أسبغ عليه الميرزا حسين على صفة الربوبية حيث ورد فيه قوله : (ولقد أصدر حضرة الرب الأعلى روح ما سواه فداه توقيعا خاصا لجميع علماء كل بلد)[٥].

رابعا : موقف العلماء من دعوة الباب :

لقد أحدثت هذه الدعوى التي خرج بها الباب على المجتمع الشيعي رد فعل شديد على كل المستويات مما جعل الباب يعيش كل سنيّ حياته الأخيرة مطاردا محاربا الى أن تم اعدامه أخيرا.

---

(١) البيان الموجود في كتاب خفايا الطائفة البهائية ص ٥٥ ــ ٥٦
(٢) مفتاح باب الأبواب ص ١٣٧ ذكر في حقيقة البابية والبهائية ص ٦٢
(٣) مفتاح باب الأبواب ص ٢٠ ذكر في حقيقة البابية والبهائية ص ٦٢
(٤) المصدر السابق ص ١٠٠
(٥) ص ١٥٩ من الايقان

فأول ما قام به أمراء بلدته التي أظهر دعوته بها أن عقدوا له اجتماعا مع العلماء لمناظرته في دعواه تلك التي تخالف عقيدة الاسلام وتفتح بابا قد سد بخاتم المرسلين ﷺ[1]. وكان من نتيجة ذلك الاجتماع أن اختلف العلماء في أمره فمنهم من حكم بكفره وقتله ومنهم من شك في فكره وعقله ورأى أنه معتوه مجنون وهو بذلك مرفوع عنه القلم فمال الوالي الى هذا الرأي الأخير ثم تكررت عملية الاجتماعات والمناقشات حتى نفذ فيه أخيرا حكم الاعدام بناء على فتوى العلماء بوجوب قتله واهدار دمه من حيث مروقه من الاسلام ومجاهرته بالكفر ومحاربته لله ورسوله ومكره السيء بالمسلمين وكان ذلك عام ١٢٦٥ رميا بالرصاص[2] وهكذا انتهت حياته البائسة بعد أن أحدث في الاسلام ثلمة لا تزال قائمة الى اليوم متمثلة في فرقة البهائية.[3]

---

(١) خفايا الطائفة البهائية ص ٤٠ / والبهائية سراب ص ٢٨ — ٢٩

(٢) ذكر هذه المناظرات موسعة كتاب مفتاح باب الأبواب ص ١٣٢ — ٢٣٢ كما ذكره صاحب كتاب تهافت البابية والبهائية ص ٨٠ — ٨٧ وكتاب خفايا الطائفة البهائية ص ٤١ — ٤٢ — ٤٤، وكتاب حقيقة البابية والبهائية ص ٥٨ / وكتاب مقالة سائح في البابية والبهائية ص ٥ — ٣٢ — ٣٣

(٣) ذكر الأستاذ عبد المتعال الصعيدي : «الباب» ضمن كتابه «المجددون في الاسلام» وذلك مخالف لمنهجه في كتابه حيث ذكر في مقدمته ما يلي : (ان الاسلام دين جامع لصلاح الدنيا والآخرة فلا يقتصر الأمر فيه على ما يصلح الآخرة وحدها بل يدخل فيه ما يصلح الدنيا أيضا.. الى أن قال وعلى هذا الأساس نبحث تاريخ المجددين في الاسلام وندرسه على أنه تاريخ نهوض المسلمين في أمور دنياهم قبل أن يكون تاريخ نهوضهم في أمور أخراهم ولا نذكر فيه من المجددين الا من يعمل لهذه الغاية) ص ٦ — ٧ — ثم يأتي بالميرزا ويذكره ضمن هذا الكتاب مع ما جاء به من تلك الدعاوي الكافرة التي تطاول فيها على مقام النبوة بل وزعم أنه أفضل من سيد البشر محمد ﷺ كما رأينا ذلك من قبل.. ثم يذكر المؤلف كل دعاوي الباب تلك ويحكم على دعوته أنها «دعوة رجعية ص ٥٠٢» مع ذلك الكفر الصريح وكان الأولى بالمؤلف أن يفرد بابا خاصا للباب ولأمثاله لكشف زيفهم وابطال مزاعمهم.
وأما الأستاذ شكيب أرسلان فقد كان مخدوعا بالبابية أو بالأحرى لا يعرف عنها شيئا مما جعله يصفها بأنها : (من أشهر الفرق الاسلامية التي ظهرت في العصر الأخير) ولكنه أخيرا أبدى ارتيابه فيها فتوقف عن الحكم عليها فقال (وعلى كل حال فاننا لا نتعرض لهذا الموضوع بجرح ولا تعديل اذ كان ما قرأناه في باب البابية نقلا عما حرره في هذا الباب بعض المؤرخين — ص ٣٥١ —

خامسا : البيان كتاب البابية المقدس :

يزعم البابية أن هذا الكتاب وحي من الله تعالى أوحى به الى الباب وأنه يحتوي على تعاليم جديدة جاءت ناسخة لشريعة الاسلام. ونظرة واحدة الى ذلك الكتاب المزعوم يتبين لنا أنه في غاية الخلط والتعقيد بحيث يصعب على أحد فهمه الا بمشقة وكلفة وذلك لأنه تأليف رجل أعجمي أراد أن يكتب بلغة عربية لا يجيدها فجاءت عباراته معقدة مبهمة لا يفهمها العربي الذي يزعم الباب أنها بلغته وإن فهم بعضها فبجهد متكلف.. ولو كانت من كلام الله سبحانه وتعالى لكانت بأعلى الأساليب وأفصحها بحيث يفهمها من جاء بلغتهم.

أما هذا الكتاب فانه يحمل في داخله أكبر شاهد على كذب صاحبه وأنه لا يرضى أن يدعى مثله أوساط القراء في اللسان العربي بله أن يكون من كلام الله سبحانه وتعالى، فانه لا تكاد تخلو صفحة واحدة فيه من أخطاء إن لم يكن كل سطر فيه ثم لا يستحي أن يتحدى الاتيان بمثل حرف منه ؟؟ ولا ندري كيف يؤتى بمثل حرف منه مع أن الحرف لا يؤدي أي معنى بمفرده، ولا يوصف ببلاغة ولا اعجاز... ولكنها اللكنة الأعجمية تأبى الا أن تظهر...

وسنعرض هنا بعض عبارات ذلك الكتاب لترى مصداق هذا الكلام من نفس العبارات والكلمات :

يقول فيه : (وان أردتم التجارة فلا تطوّلنّ في البحر الا حولين ولا في البحر الا خمس حول ؟؟ وان جاوز من أحد فليؤتينّ قرينه اثنتي ومثتين من ذهب ان استطاع لا من فضة) [1].

قوله «خمس حول» هذا التركيب لم يرد في العربية ولا يجوز استعماله بهذه الصورة ولا يخفى فساده على صغار الطلبة في المجتمعات العربية اذ كلمة «حول» والتي أراد بها «احوال» جمعا «لحول» ليس جمعا صحيحا، هذا الخطأ الأول في العبارة.

(=) ٣٥٤ ج ٤ من كتاب حاضر العالم الاسلامي ـــ ولو اطلع رحمه الله على كتابه البيان وعقائده لما تردد في تكفيره ولكنه معذور في ذلك رحمه الله لعدم اطلاعه عليه.

(١) البيان ص ٦٩ المطبوع مع كتاب خفايا الطائفة البهائية.

أما الخطأ الثاني فحتى لو جمعت «حول» جمعا صحيحا فانه لا يجوز أن تضاف اليها الكلمة الأولى والتي هي «خمس» اذ لا بد أن تثبت التاء معها اذا كان المضاف اليه مذكرا فيقال «خمسة أحوال»[1] ... وبهذا التحليل الموجز يتضح لنا مدى ايغال هذا الكتاب في العجمة رغم كتابته بالحروف العربية وسنورد جملة من أمثال هذه العبارة لنرى مدى سقم التأليف وفساد الأسلوب الذي يزعم صاحبه أنه وحي من الله عزّ وجلّ.. تعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرا.

ففي العبارة الأولى كذلك قوله : (اثنتي ومئتين) أراد «اثنين ومائتين» أو اثنتين ومائتين.

ويقول : (فعلى شهداء البيان أن يأخذوا تسعين مثقالا من ذهب... وينفق «تسعة مثقالا» من ذهب)[2] أراد تسعة مثاقيل من ذهب.

ويقول : (ثم الواحد من بعد العشر من يتشيء كلماتا)[3] أراد كلمات.

ويقول : (ولتشترنَّ ما تحبون من كل أرض لعلكم شيء اللطيف تملكون)[4] عبارة غير مستقيمة ولا واضحة.

ويقول : (ثم انا كنا بالله راضيون)[5] أي راضون.

ويقول : (ثم الثاني أنتم في كل أرض بيت حر تبنيون)[6] أراد تبنون.

هذه نماذج قليلة من ذلك الكتاب الذي زعم صاحبه أنه وحي من الله عزّ وجلّ أنزله ينسخ به كتابا أعجز فصحاء العرب عن أن يأتوا بمثل سورة منه، ثم مع هذا الخلط المشين

---

(١) براجع شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ٤ ص ٦٧
(٢) كتاب البيان ص ٦٩
(٣) الواحد الثالث ص ٥٨
(٤) الواحد الخامس من كتاب البيان ص ٦٦
(٥) الواحد الخامس ص ٦٣
(٦) الواحد السادس ص ٦٦

أراد أن يقرر بنفس اللكنة الأعجمية أن هذا الكتاب عربيّ الأسلوب والعبارة فيقول (قل العاشر اذن في البيان أن يكونون ؟ كلما نزل فيه عربيا عند الذين يستطيعون ان يفهمون ؟ وأن يفسرن ؟ احد فارسيا اذن في الكتاب هم كلمات البيان لا يدركون ولا تفسرنّ الا بالحق ولا تجعلنّ الفارسي عربيا الا بالحق ولتملكن كلكم أجمعون بيان عربي محبوب وبيان فارسي للذين لا يستطيعون ما نزل الله يدركون).[1] وقد جعل كتابه هذا ــ البيان باللغتين العربية والفارسية بحجة أن البيان الفارسي للذين لا يدركون مانزل بالعربية.

والله عزّ وجلّ يقول : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه)[2] فلماذا اذن يكون بالعربية كما يزعم مع أنها بريئة من كتابه الذي يشينها ولا يزينها.

سادسا : تعاليم الباب :

ولما كان الباب يزعم أنه جاء ناسخا للاسلام فانه لا بد وأن يضمن كتابه «البيان» بديلا عن الاسلام في عباداته وشرائعه وغير ذلك وهكذا سولت له نفسه.

فمن تشريعاته أنه نسخ الصلاة بصلاة جديدة تصلى عند الزوال ويقول في ذلك : (رفع عنكم الصلوة كلهن الا من زوال تسعة عشر ركعة واحدا واحدا بقيام وقنوت وقعود لعلكم يوم القيامة بين يدي تقومون ثم تسجدون ثم تقنتون وتقعدون)[3] .

ثم نسخ صلاة الجماعة وأباح الحضور الى المساجد والجلوس على كراسي فقال : (أنتم بالجماعة لا تصلون ولكنكم تحضرنّ المساجد وأنتم على الكرسي بما يحبه الله تذكرون وتوعظون)[4] .

ونسخ قبلة الصلاة وجعلها تجاه الذي يظهره الله سواء أكان المراد به هو الباب أو البهاء تتنقل معه حيث ينتقل حتى يستقر أخيرا في مكان معين واليها يكون الاتجاه أخيرا.

يقول في ذلك : (قل انما القبلة من نظهره متى ينقلب تنقلب الى أن يستقر ثم من قبل مثل من بعد تعلمون)[5] .

---

(١) ٩٤ / الواحد الحادي بعد العشر
(٢) سورة ابراهيم آية ٤
(٣) الواحد السابع من البيان ص ٧٣
(٤) الواحد التاسع من البيان ص ٨١
(٥) الواحد الثامن ص ٧٤ من البيان

وأما في الزكاة فانه قد جعل في المائة عشرين كما يفهم من قوله : (ان هذا من عدل الله من كل بهاء مئة مثقال من ذهب من كل شيء بهاء عشرين مثقالا لله اذ اقضى عليه الحول ولم ينقص أصله تبلغنّه الى من نظهره)[1] .

وأما الصيام فقد أمر بصيام تسعة عشر يوما من كل سنة وهو عندهم شهر ويسميه شهر العلاء يقول في ذلك : (ثم الثامن من بعد العشر أتتم في كل حول شهر العلاء لتصومون وقبل أن يكمل المرأ احدى عشرة سنة من حين ما ينعقد نطفته أن يريدون ان حين الزوال ليصومون)[2] .

وفي الميراث : يرث الوالدان والأولاد والاخوة والزوجة.
يقول : (قل لا يورث عن الميت الا أبيه وأمه وذرياته وزوجته وأخيه وأخته ومن علمه بعد ما يصرف لنفسه من ماله ما يعزيه بعد موته)[3] .

ومن تشريعاته أنه :

١) نهي عن قتل الانسان ومن يفعل ذلك أو يرض به أو لا يدفع مع القدرة فعليه دية أحد عشر ألف مثقال يدفعها الى الورثة وتحرم عليه زوجته تسع عشرة سنة ومصيره جهنم ولا يغفر الله له أبدا. يقول في ذلك (قل السادس من بعد العشر فلا تقتلن نفسا ولا تقطعن شيئا من نفس أبدا ان أنتم بالله وآياته مؤمنون ومن يأمر أو يفعل أو يقدر أن يمنع ولم يمنع أو يرضي فيلزمنه من كتاب الله أحد عشر ألف مثقال من ذهب بأن يردن الى من يورث عمن قتل وليحرمن عليه كل قرينة تسعة عشرة سنة ودليل في كتاب الله أن كينونته قد خلقت على غير محبة الله ورضائه ويدخل النار بعد موته ولا يغفر الله له أبدا)[4] .

والسارق تحرم عليه زوجته تسعة عشر يوما ويدفع تسعة عشر مثقالا من الذهب الى علماء البابية ليقدموها الى المسروق عليه.

يقول في ذلك : (وانما السابع من بعد العشر أن يا أولى الحكم فلتأمرن من يتبعونكم ألا يأخذن لباس أحد ولا ما عنده وأن يؤخذ يحرم عليهم وعليكم أزواجكم تسعة عشر يوما

(١) الواحد الثامن من ص ٧٧ من البيان
(٢) الواحد الثامن ص ٧٨ من البيان
(٣) الواحد الثامن ص ٧٣
(٤) الواحد الحادي من بعد العشر ص ٩٦ — ٩٧

وان اقترنتم ليلزمنكم من كتاب الله تسعة عشر مثقالا من ذهب ان تردون الى شهداء البابية ليؤتين من أخذ عنه لباسه أو شيء مما عنده لعلكم تتقون)[1] .

وحد الذي يقطع شيئا من جسم انسان أو يغير لونه ــ أو يمزق لباسه أو يغيره أو أراد اهانته فانه تحرم عليه زوجاته تسعة عشر شهرا ويدفع خمسة وتسعين واحدا من ذهب.

يقول (ومن يأخذ من جسد أحد من شيء أو يغير لونه قدر شيء أو يغير لباسه أو أراد أن يذلته قد حرم الله عليه أزواجه تسعة عشرة شهرا في كتاب الله ليلزمنه من حدود الله خمس وتسعين واحد من ذهب لعلكم أنتم تتقون)[2] .

ومن الآداب في البيان : لا يجوز الاستهزاء ببهائي ومن يفعل ذلك فعليه غرامة بعدد الواحد من ذهب وكذلك بعدده فضة مع الاستغفار خمسة وتسعين مرة وتدفع الغرامة الى المستهزأ به ان استطاع ذلك والا يكفي الاستغفار فقط والذي يعجز عن الاستغفار يستغفر عنه غيره.

يقول في ذلك : (قال الثالث من يستهزأ مؤمنا أو مؤمنة ليلزمنه عدد الواحد من ذهب ثم من الفضة ثم من كلمة الاستغفار خمس وتسعين مرة لعلكم تتقون ولا تستهزؤون ليردن الى من استهزء أن يقدر وأن لم يقدر يرفع عنه الذهب والفضة وليلزمنه الاستغفار وان لم يكن ذا لسان واستهزأ باشارته فليختارن لنفسه من يستغفرن عنه أن يا عبادي الله تتقون)[3] .

وتحيتهم نوعان : تحية خاصة بالرجال وهي يقول المسلّم الله أكبر ويرد عليه يقول الله أعظم. أما النساء فتحيتهم الله أبهى والاجابة الله أجمل.

يقول في ذلك : (ثم الرابع فلتسلمن الله أنتم تقولون الله أكبر ثم تجيبون الله أعظم ثم المرأة الله أبهى ومن يجيب الله أجمل ثم اياي تتقون)[4] .

ومن الآداب كذلك قوله :

---

(١) الواحد العاشر ص ٨٩

(٢) الواحد العاشر ص ٨٩ ــ ٩٠

(٣) الواحد الحادي من بعد العشر ص ٩١ ــ ٩٢

(٤) الواحد السادس ص ٦٧

(وانما الخامس من بعد العشر لا تركبن البقر ولا تحملن عليه من شيء ان أنتم بالله وآياته مؤمنون. ولا تشربن لبن الحمير ولا تحملن عليه ولا حيوان غيره الا على دون طاقته ما قد كتب الله عليكم لعلكم تتقون. ولا تركبن الحيوان الا وأنتم باللجام والركاب لتركبون ولا تركبن ما لا تستطيعن ان تحفظن انفسكم عليه فان الله قد أنهاكم عن ذلك نهيا عظيما. ولا تضربن البيضة على شيء يضع ما فيه قبل أن يطبخ هذا ما قد جعل الله رزق نقطة الأولى في أيام القيامة ومن عنده لعلكم تشكرون)[1].

هذه بعض تعاليم الباب.

---

(١) الواحد العاشر ــ البيان ــ ص ٨٧ ــ البيان في جميع هذه النقولات هو الموجود في كتاب خفايا الطائفة البهائية. فهو مطبوع بكامله من ص ٤٩ الى ص ٩٨ من ذلك الكتاب.

ب ـ الرد على الدعوة البابية

بعد أن عرضنا حياة الباب وكتابه وتعاليمه نود هنا أن نعقب على تلك الجوانب ليتضح لنا بطلانها وضلالها :

أولا : ان ما تعرض له الباب في حياته السابقة على دعواه يكشف لنا عن الاضطراب العقلي والشذوذ الفكري الذي قد أصيب به الرجل في تلك الفترة كانصرافه عن الدراسة الجادة والتعلم المفيد الى تعلّم تسخير الكواكب ـ كما يزعم ـ ومخاطباتها مما لا يرجع اليه بفائدة لا في دينه ولا دنياه، ولا شك أن ذلك عبث لا يذهب اليه الا من ضعف عقله ودينه.

وقد أثرت فيه تلك الرياضات النفسية والخلوات الصوفية التي كان يعيشها كذلك... كجلوسه على سطح المنزل من وقت الظهر الى العصر في شدة الحر رغم شدة الحرارة في ذلك الوقت وتلك البلدة بصفة خاصة مما عرضه لنوبات عصبية. وكاختفائه في أعماق الظلام مع شذاذ آخرين مثله.. وغير ذلك من الأعمال الصوفية التي قلّ أن يسلم معها العقل من الفساد والانحراف.

وقد ظهرت على الباب آثار ذلك المسلك الشاذ مبكرا حيث كان يتحدث بكلام شاذ مع السرحان الفكري الذي كان يرى عليه بعد ذلك.

وهذه الحياة البابية تعطينا الدلائل المقنعة أن الرجل قد أصيب في فكره وعقله.. وذلك هو بعينه ما ذكره العلماء الذين اجتمعوا معه لمناظرته لأنه كان يتكلم بأمور عجيبة وهذيانات غريبة.

وقد زاد في فتنته تلك الشخصية الغريبة «كاظم الرشتي» اذ اتصل به ودرس على يديه وقد كان بعد لقائه به في حالة نفسية غير عادية كما شهد زملاؤه ذلك منه بعد مشاركته لهم في الرياضة الصوفية المسماة بالأربعينية.

كل ذلك يؤكد لنا أنه قد أصيب في عقله قبل ظهوره بدعواه تلك.

ثانيا : تدرج الباب في دعواه تلك اذ ادعى أولا أنه الباب الى الامام المختفي ثم لم يقف عند ذلك الأمر بل ادعى أنه هو المهدي المنتظر، وكان يكفي هذا الكذب المكشوف دليلا على كذبه مع أنّ قضية الامام المختفي من أساسها قضية مكذوبة لا يسندها دليل نقلي ولا عقلي وهي لا تسيطر الا على أدمغة فارغة لا تزال تتوارثها على جهل وبلادة منها والا فأيّ مصلحة للبشر في امام مختف من منتصف القرن الثالث الهجري الى اليوم ؟ ولم يخرج لانقاذ المسلمين رغم ما تعرضوا له من فتن داخلية، وهجمات خارجية كادت تجتث العالم الاسلامي من أساسه، ولا تخفى الحروب التترية والصليبية على أحد وما أحدثته في الأمة الاسلامية... انها فكرة عجيبة تزرى بالعقل البشري الذي يصدقها ويؤمن بها. ولقد كانت هذه الضلالة تكأة لكل من أراد حرب هذا الدين أو خلخلة بنائه. ولو لم تكن هذه الفكرة قائمة في المجتمع الشيعي لما كانت لذلك الضال ثغرة يخرج منها على عقيدة الأمة.. واذا كانت هذه الفكرة من أساسها باطلة فان دعوة الباب متهافتة من أصلها.

ولم يقف الباب عند دعوى بابيته للمهدي بل ادعى أنه هو المهدي نفسه.. يا عجبا لهذا الهوس.. بالأمس أنت الباب !! واليوم أصبحت المهدي الذي كنت بابا له ؟؟ ويا ليته وقف عند تلك المرحلة من الضلالة ولكنه تدرج الى دعوى النبوة والاتصال بالسماء.. بل ونسخ الدين الاسلامي الخاتم للأديان ! العميق الجذور في نفوس الأمة الاسلامية والتي لا ترضى به بديلا ولا عنه تحويلا لكماله وجلاله ولكونه آخر الرسالات السماوية كما فهمته من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ.

وهذه الدعاوى البابية والتي انتهت الى ادعاء النبوة وديانة جديدة ما كان لها أن تلقى شيئا من العناية لولا ما يساندها من رعاية الاستعمار لها ورعايته لزعمائها ـــ مع أسباب أخرى ستأتي فيما بعد ان شاء الله ـــ اذ ليس لديها من الأسس ما يمكنها من الظهور والبقاء.

ثالثا : ان هذا الكتاب البابي (البيان) لو وقع في يد أي شخص من العقلاء وقرأ ما فيه لما تبادر الى ذهنه الا أنه مقالات كتبها شخص مصاب في عقله ولولا الحقد والهوى اللذان يحجبان الانسان عن رؤية الحق لما وجد الباب الا الاهانة والازدراء لذلك السخف والجهل الذي يجلل كتابه من كل وجه.

والا فكيف يدعي أنه كتاب سماوي أنزله الله سبحانه وتعالى عليه

متحديا للبشرية أن يأتوا بمثل حرف من حروفه.. فمتى كان الحرف يؤدي معنى بمفرده في جميع لغات البشر ؟ ثم بصرف النظر عن هذه الأعجوبة !! كيف يتحدى الناس بكتاب لا تخلو عبارة من عباراته من خطأ أو ركة في الأسلوب والتي قد رأينا طرفا منها من قبل نحو (ولا في البحر الا خمس حول) أي خمسة أحوال بلغة العرب. ونحو : (فليؤتين قرينه اثنتي ومئتين..) أي اثنتين ومائتين ونحو : (خمس وتسعين مثقالا..) خمسة وتسعين مثقالا ونحو : (تبتيون... وترضيون..) الى غير ذلك مما ورد سابقا.. فأية عبارات هذه ؟ وأي أسلوب هذا الذي لا يليق بصغار طلبة العلم ؟ ! بل لا يليق بعوام الناس في المجتمعات العربية بله أن ينسب الى الله عزّ وجلّ ثم يتحدى الباب به البشر.. بل بحرف منه !! انها حماقة وبلادة.. تلك التي ضربت بأذيالها على عقلية الباب وأتباعه حتى أصبحت المنقصة في عرف العقلاء محمدة عندهم.. والعيّ عند أرباب العقول والفصاحة.. بلاغة في ميزانهم... ولا أظن أن انسانا يحترم عقله يحتاج مع هذا الحمق والسفه الى توضيح مواطن العيّ والنقائص في ذلك الكتاب الا اذا كان بهائيا قد ألغى عقله وفكره فهذا ندعو الله عزّ وجلّ أن يكشف له الحقيقة ويهديه الى صراط الحق وطريق النجاة..

ولما سئل الباب عن ذلك الفساد في أسلوبه وعدم التزامه بقواعد العربية الفصحى قال : (ان الحروف والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقبت على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الاعراب وحيث أن بعثتنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فأطلقت من قيدها تذهب الى حيث تشاء من وجوه اللحن والغلط)[1].

هذه هي العقلية البابية التي تزعم أنها جاءت لانقاذ البشر.

رابعا : ان تعاليم الباب تلك التي أراد أن يقدمها للناس وينسخ بها شريعة الاسلام لا يخفى فسادها وعدم صلاحيتها على القارئ الفطن.

---

(١) مفتاح باب الأبواب ــ للدكتور محمد مهدي خان ص ٩٩ ــ ذكره الدكتور محسن عبدالحميد ص ٩٤ من حقيقة البابية والبهائية

والا فأي دين هذا الذي يقطع صلة العبد بربه طوال الأربع والعشرين ساعة لا يقف بين يديه الا مرة واحدة... ثم يصلي تسع عشرة ركعة في فترة واحدة... ثم لا يصلون الا فرادى بدلا من الجماعة التي كان المسلمون يجتمعون لها في ظل الأخوة والمحبة فتتقوى رابطتهم وتزداد محبتهم.. ثم أي قبلة هذه التي هي «مكان الباب نفسه» لماذا تستبدل الكعبة المشرفة ذات التاريخ الطويل الذي يربط الأمة الاسلامية ببعضها من زمن بعيد الى اليوم حيث تمثل ثباتا مستمرا في التعظيم والتقديس.. ولا شك أن اختيار الله لها لتكون قبلة لهم من حكم الله العظيمة التي تعلّم الأمة الاسلامية الوحدة الكبيرة زمانا ومكانا..

ثم هذا السارق لا يكلف الا غرامة مالية يمكن أن يدفعها من نفس المسروق وهو تسعة عشر مثقالا من الذهب.. ان ذلك لا شك ليس كافيا لايجاد الأمن في المجتمع..

ثم الذي يقطع شيئا من جسم أي انسان.. يده.. رجله.. ليس عليه الا أن يدفع خمسة وتسعين واحدا من الذهب وتحرم عليه زوجته تسعة عشر يوما فقط.. وبعدها يعيش آمنا بدون قصاص ! ؟

وأخيرا يأتي ذكر الآداب.. يا لها من آداب.. لا تشربن لبن الحمير !! لا تركبوا الحيوان الا بلجام ! لا تقربن البيضة قبل أن تطبخ !!

هذه نبذة من تعاليم الباب.. لولا ضرورة البحث لما ذكرت منها شيئا لسخافتها وفسادها لأنها من نتاج انسان مصاب في عقله وفكره.

خامسا : لم يقدم لنا الباب الأدلة على دعوته تلك ! وكل دعوى مجردة من دليلها فهي بلا شك دعوى باطلة..

ونحن لم نر في تاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن أحدا منهم دعا قومه الى الايمان به ولم يقدم لهم الدليل الكافي لاقناعهم بصدق دعواه..

والا فان لأي انسان من الناس أن يدعي ما يريد ويضلل الناس بما يريد... ولهذا فان من رحمة الله عزّ وجلّ بالناس أن جعل للأنبياء السابقين

براهين واضحة تؤكد صدقهم وتبيّنه وهو بذلك سبحانه يقيم الحجة للأنبياء ويقطع الطريق على الضالين فلا يستطيعون اضلال الناس الا عندما تصاب عقولهم وأفكارهم بأمراض تفقدها قدرتها على التمييز ومعرفة الحق.

ولهذا فان دعوة البابية دعوة مرفوضة أصلا لخلوها من أهم الأسس التي تقوم عليها الدعوات الصحيحة نعم قال انه يتحدى البشر أن يأتوا بحرف واحد من بيانه المزعوم.. وان هذه الدعوى لمن أكبر الأدلة على جنونه واصابته بهبوط عقلي لا يدري معه ما يقوله للناس.

سادسا : وأخيرا : بعد عرض البابية وابطالها من حيث هي على ضوء دعاواها وكتابها وتعاليمها والتي قد رأينا من خلالها كذب تلك الدعوى وبطلانها.. وأنها دعوة بشرية افتراها صاحبها ونسبها الى الله سبحانه وتعالى.. — بعد ذلك نعرض هنا ما يكشف لنا الستار عن تلك الدعوى لنرى من هم الذين أوحوا بها الى الباب !؟

وقد ذكر بعض العلماء ما يؤكد صلته بالاستعمار الروسي الذي أراد شغل الدولة الايرانية بعد اقتطاعه لمملكة القوقاس منها وذلك ما ذكره محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد علماء الشيعة حيث قال : (كنا قبل سنوات عثرنا على كتيّب صغير بالفارسية لأحد الأفاضل الذين عاصروا الباب وشاهدوا كل تلك الحوادث مباشرة مع تحليل دقيق. وملخص ما ذكره أن رجلا من روسيا أتى طهران بعد أن انتزع الروس مملكة القوقاس من الدولة الايرانية وأراد اشغالها عن التفكير في استرجاع ما غصب منها فتعلم ذلك الرجل اللغة الفارسية وأتقنها ثم أظهر التدين بالاسلام وتزيّا بزيّ أهل العلم بلحية كبيرة وعمامة كبرى وعباءة وسبحة ولازم صلاة الجماعة ودرس شيئا من المبادئ واشتهر اسمه بالشيخ (عيسى) ثم جال في عواصم ايران كاصفهان وشيراز فوجد ضالته فاجتمع بالباب وكان غلاما جميلا ويتوسط خاله خلا به مرات عديدة والظاهر أنه هو الذي كان حلقة وصل بين البابية والحكومة القيصرية الروسية حيث زودتهم بالأسلحة فقاتلوا بها المسلمين) [1].

---

(١) الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية ص ٣٦ — ذكر ذلك في حقيقة البابية البهائية ص ١١٩ — ١٢٠

ويذكر حسين آل كاشف الغطاء ان هذا الرجل هو (كنيازد الكوركي) والذي كان مترجما للسفارة الروسية بطهران فارتقى بخدماته الجاسوسية الى منصب الوزير المفوض ثم السفير كما بين هو في مذكراته التي نشرت بعد انقراض القيصرية في مجلة الشرق السوفييتية سنة ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ م[1].

ثم نقل كلاما كثيرا من مذكرات السفير الروسي عن دوره في مناصرة البابية وفيها : (وكان قسم من أعمال السفارة الروسية في طهران منحصرا في تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية)[2].

وقد ذكر صاحب كتاب مقالة سائح في البابية انه عندما قتل[3] الباب (حضر قنصل الروس في اليوم التالي مع مصور وأخذ رسم الجسدين). وبهذه الاشارة الموجزة يتضح أنه نبيّ أرسلته روسيا لشغل الدولة الايرانية وليس مرسلا من الله سبحانه وتعالى ويكفي ذلك دلالة على كذب هذه الدعوى التي مولها الأعداء ورعوها حتى أتت ثمارها المرجوة لهم من شغل الايرانيين بأنفسهم عن استرداد حقوقهم وانقاذ اخوانهم.

فهذه هي البابية في تعاليمها وأدلتها وعلاقتها المشبوهة. فأيّ جانب فيها يغرى باتباعها وأي خير جاءت به للبشرية ؟ اللهم انه لم تقدم خيرا الا لأعداء الاسلام الذين حرصوا على تفتيت الأمة الاسلامية ليسهل عليهم اضعافها والسيطرة عليها... ولكن الله حافظ دينه ومعلي كلمته برجال مؤمنين في كل عصر ومصر.. الى أن تقوم الساعة.

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ص ١٢٠

(٢) ص ٨٢ ــ ٨٣ ــ كتاب الحقائق الدينية في الرد على البابية ذكر ذلك في حقيقة البابية والبهائية ص ١٢٤

(٣) ص ٣٣

الفصل الثاني

الدعوة البهائية والرد عليها

أ ـ الدعوة البهائية

تمهيد :

أولا : حياة البهاء

ثانيا : دعوى البهاء

ثالثا : أدلة البهاء على استمرار النبوة

رابعا : تعاليم البهائية

خامسا : كتاب الأقدس البهائي ـ أفكاره وأسلوبه

ب ـ الرد على الدعوة البهائية

أ ــ الدعــوة البهائيــة

تمهيــــد :

البهائية هي البابية السابقة انتقلت الى مرحلة جديدة بعد مقتل الباب وكان زعيمها أحد أتباع الباب يسمى بالميرزا حسين علي ويلقب بالبهاء. وتذكر لنا كتب البهائية طريقة انتقال الخلافة الى زعيمها الجديد فتقول :

(ان الباب لما علم بأنه سيعدم جمع مكتوباته وخاتمه ومقلمته في جعبة وأرسلها مع مفتاحها بصحبة شخص اسمه «ملّا باقر» ليسلمها الى «ملّا عبد الكريم القزويني» في مدينة «قم» ولما وصلت الجعبة الى ملّا عبد الكريم قال انه مأمور بايصالها الى «ميرزا حسين علي المازندراني» وبسبب ذلك انتزع الميرزا حسين على من كبار البابيين مقام الرئاسة عليهم وسمى نفسه بهاء الله)[1].

ولم يسلّم له أكثر البابيين بذلك وقد خالفه أخوه «يحيى المازندراني» وادّعى أنه أحق بالرئاسة منه [2] وزعم أتباعه أن الباب قد أشار اليه ــ قبل أن يعدم ــ بأنه سيخلفه ولقبه «صبح الأزل»[3].

ولكن حسين علي المازندراني الملقب بالبهاء هو الذي اشتهر فيما بعد وتكونت له جماعة ومؤيدون وعرفت جماعته باسم «البهائية».

أولا : حياة البهــاء :

هو حسين بن علي المازندراني ابن الميرزا عباس مأمور المالية بولاية مازندران.

ولد في احدى ضواحي مازندران وكان له ستة اخوة أحدهم ميرزا يحيى الذي لقبه الباب «بصبح الأزل».

وقد كلف البهاء بالتصوف فأكثر من مخالطة الصوفية ومطالعة ما دونوه في قراطيسهم حتى أصبح معدودا من كبار المتصوفة وشيوخهم في ذلك الزمان [4].

(١) مقالة سائح في البابية ص ٣٠

(٢) البهائية لمحب الدين الخطيب ص ٢٤ ــ ٢٥

(٣) البهائية سراب ص ٣٣ خفايا الطائفة البهائية ص ١٠١

(٤) كتاب الحراب في صدر البهاء والباب ذكر ذلك صاحب كتاب تهافت البابية والبهائية ص ٩٤ والعقيدة والشريعة ص ٢٧٣

ثم انه انضم الى الباب وأصبح من أكبر أتباعه حتى ورثه من بعده. وكان يقوم بدعوته داخل ايران ثم انتقل الى بغداد ثم نفي الى ادرنة وكان معه أخوه يحيى ولكنهما لم يلبثا أن اختلفا على الزعامة الدينية فقررت حكومتا العثمانية وفارس نفي الأول حسين الى عكا وأخيه الى جزيرة قبرص، وقد استمر في منفاه مع اسرته حتى هلك في عام ١٣٠٩ هـ وقد أوصى بالخلافة الى ابنه المسمى بعبد البهاء.[١]

وهذه الطائفة لم تستطع الحياة في الشرق لتمتعه بالمناعة الاسلامية فاتجهت الى أوربا وأمريكا ولهذا فأكثر أتباعها الآن في أوربا فلها مراكز في فرنسا وانجلترا وألمانيا وأمريكا[٢].

ثانيا : دعـــوى البهـــاء :

مرت دعوته بثلاث مراحل كما حدث مع سلفه الباب، الا أنه لم يدع البابية وانما ادعى أولا أنه المسيح بن مريم ثم ادعى النبوة ثم انتهى أخيرا الى مرتبة الربوبية.

ففي المرحلة الأولى التي ادعى فيها أنه المسيح بن مريم — يقول :
(قل يا قوم قد جاء الروح مرة أخرى ليتم ما قال من قبل)[٣]. ويقول كذلك :
(اعلم بأن الذي صعد الى السماء قد نزل بالحق وبه مرت روائح الفضل على العالم وكان ربك على ما أقول شهيدا قد تعطّر العالم برجوعه وظهوره)[٤].

ثم المرحلة الثانية ادعى نزول الوحي عليه وأن الله فضّ الختم الذي ختم به على النبوة وأنزل اليه كتاب «الأقدس» الذي قال فيه : (لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والاقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولى الأفكار)[٦] فهو بهذا قد فتح باب النبوة وفضّ ختمها لیوحي الى البهاء كما جاء ذلك

---

(١) الاعلام ج ٢ ص ٢٧١ — وحقيقة البابية والبهائية ص ١٤٨
(٢) الاسلام قوة الغد العالمية ص ١٢٩ والعقيدة والشريعة ص ٢٨٠
(٣) مفتاح باب الأبواب ص ٣٨٦ ذكره حقيقة البابية والبهائية ص ١٥٣
(٤) مفتاح باب الأبواب ص ٣٨٢
(٥) نصائح الهدى والدين ص ٩١ ذكره حقيقة البابية والبهائية ص ١٩٤
(٦) ص ١٤١ مطبوع مع كتاب خفايا الطائفة البهائية

واضحا في كتاب البهائية الآخر « الايقاف » حيث قال فيه : (فعليك بالاعتراف من معين الايقان الذي جرى من قلم الرحمن هذه الأزمان فانه مع وجازته تبيان الزبر والألواح ومترجم كتب الله فالق الاصباح به فكّ ختم النبيين)[1].

ولم يقف عند دعوى الوحي بل وصل الى دعوى الربوبية حتى أصبح لا يخاطب الآخرين الا بأسلوب الرب الأعلى فمن ذلك قوله : (يا ملأ الانشاء اسمعوا نداء مالك الأسماء انه يناديكم من شطر سجنه الأعظم انه لا اله الا هو المقتدر المتكبر المتسخّر المتعالي العليم الحكيم انه لا اله الا هو المقتدر على العالمين)[2].

عجبا لمالك الأسماء المسجون ؟! المتسخر ؟!

ثالثا : أدلة البهاء على استمرار الوحي :

ذكر البهاء في كتابه الايقان الذي ألفه أثناء تلمذته على الباب ــ أدلة استشهد بها على صدق دعوة الباب واستمرار الوحي وعدم انقطاعه. وتلك الأدلة بعضها أقوال مفتراة نسبها الى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أو إلى جعفر الصادق وبعضها آيات جاء بها وفسرها تفسيرا باطنيا.

أما الأقوال التي نسبها الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال البهاء في ذلك : (ومن جملة الكلمات الدالة على الشرع الجديد والأمر البديع فقرات النّدبة للامام عليّ التي تقول : «أين المدّخر لتجديد الفرائض والسنن وأين المتخيّر لاعادة الملة والشريعة» ثم أضاف كذلك استفسارا للصادق عن سيرة ذلك الذي تحدث عنه علي بن أبي طالب فقال : (سئل أبو عبد الله عن سيّده المهدي كيف سيرته ؟ قال : يضع ما وضع رسول الله ويهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية)[3].

وذكر عن الصادق أنه قال : (ولقد يظهر صبي من بني هاشم ويأمر الناس ببيعته وهو ذو كتاب جديد يبايع الناس بكتاب جديد على العرب شديد فان سمعتم عنه شيئا فأسرعوا اليه).[5] وآثار أخرى شبيهة بهذه كذلك.

---

(١) البهائية ص ٢٧ لمحب الدين الخطيب
(٢) الأقداس ص ١٧١ مطبوع ضمن كتاب خفايا الطائفة البهائية
(٣) الايقان ص ٩٤
( ) الايقان ص ١٦٦
(٥) ص ١٦٧ الايقان كذلك

ويستدل كذلك بالقرآن على ضوء التفسير الباطني فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) بقوله : (يجب أن ننظر الى المقصود من هذه الآية لا الى ما تخيّله اليهود من أن السلطان الحقيقي قد خلق الطلعة الموسويّة وخلع عليه ثوب الرسالة وبعدها أصبحت يداه مغلولتين وغير قادر على ارساله رسول بعد موسى والتفت الى هذا القول الذي لا معنى له وكم هو بعيد عن شريعة العلم والمعرفة...!؟

وانظر كيف أن جميع هؤلاء الناس يشتغلون بأمثال هذه الأقوال المزخرفة وقد مضى عليهم أكثر من ألف سنة وهم يرددون تلاوتها ويعترضون على اليهود من حيث لا يشعرون وما التفتوا وما أدركوا بأن ما يقولونه سرا وجهرا هو عين ما يعتقد به اليهود كما سمعت أنهم يقولون ان جميع الظهورات قد انتهت وأبواب الرحمة الالهية قد انسدت فلا تطلع بعد ذلك شمس من مشارق القدس المعنوية ولا تظهر أمواج من بحر القدم الصمداني ولا يأتي هيكل مشهود من خيام الغيب الرباني. هذا هو مبلغ ادراك هؤلاء الهمج الرعاع الذين اعتقدوا بجواز انقطاع الفيض الكلي والرحمة المنبسطة الأمر الذي لا يجوز لأي عقل أو ادراك أن يسلّم بانقطاعه)[1] .

هذه هي أدلة البهاء على استمرار الوحي.

رابعا : تعاليم البهائية :

هناك تقارب أو تشابه كبير بينها وبين تعاليم البابية التي قامت البهائية على أنقاضها علما بأن البهاء قد نسخ بكتابه «الأقدس» بعض ما جاء في كتاب البابية «البيان» كتجويز قراءة الكتب وتعلم العلم بعد أن حرمها البيان. وفي ذلك يقول : (قد عفى الله عنكم ما نزل في البيان من محو الكتب وأذنّا لكم بأن تقرأوا من العلوم ما ينفعكم لا ما ينتهي الى المجادلة في الكلام هذا خير لكم ان أنتم من العارفين)[2] .

وكذلك نسخ ما ورد في تحديد الأسفار فقال : (قد رفع الله ما حكم به البيان في تحديد الأسفار انه لهو المختار...)[3] .

---

(١) الايقان ص ٩٤
(٢) ص ١٥٨ ـــ الأقداس
(٣) ص ١٧١

ومن تعاليم البهائية كذلك ما يلي :

في الأعياد جعل عيد المجوس المسمى بالنيروز عيدا لأتباعه فقال : (وجعلنا النيروز عيدا لكم)[1].

وفي الميراث جعل ثلث تركة الميّت لبيت العدل أي للدولة التي تقوم للبهائيين فقال : (يرجع الثلثان مما تركه الى الذرية والثلث الى بيت العدل)[2]. كما حرم البنات والنساء من البيت المسكون وما فيه من أثاث وجعله للذكور فقط فقال : (وجعلنا الدار المسكونة والألبسة المخصوصة للذرية من الذكران دون الاناث والوارث انه لهو المعطي الوهاب)[3].

وقد أحل أواني الذهب والفضة فقال : (من أراد أن يستعمل أواني الذهب والفضة لا بأس عليه اياكم أن تنغمس أياديكم في الصّحاف والصحان)[4].

وما أدري ماذا أراد بهذه العبارة ولعله أراد ألّا يأكلوا الا «بالملاعق» وبذلك لا تنغمس أيديهم في الصحاف والصحون..

وفي تربية الأبناء يقول : (ان الذي ربى ابنه أو ابنا من الأبناء كأنه ربى أحد أبنائي عليه بهائي وعنايتي ورحمتي التي سبقت العالمين)[5]. ثم كذلك ما ندري أهذا هو كلام الله في زعمه فيكون لله أبناء ؟؟ أم للبهاء مع ادعائه أن هذا وحي السماء.

وقد أمرهم بالاستحمام بماء غير مستعمل ونهاهم عن خزانات مياه «العجم» !!.

لأنها بزعمه منتنة ! يقول : (ادخلوا ماء بكرا والمستعمل منه لا يجوز الدخول فيه اياكم أن تقربوا خزائن حمامات العجم من قصدها وجد رائحتها المنتنة قبل وروده فيها تجنّبوا يا قوم ولا تكونن من الصاغرين انه يشبه بالصّديد والغسلين ان أنتم من العارفين)[6].

---

(١) ص ١٤٣
(٢) ص ١٤٤
(٣) ص ١٤٤
(٤) ص ١٥٠
(٥) ص ١٥١
(٦) الأقدس ص ١٦٥

وقد شجب المطالبين بالحرية ووصمها بأقبح الصفات وسفّه عقول الباحثين عنها أو الداعين اليها فقال : (انا نرى بعض الناس أرادوا الحرية ويفتخرون بها أولئك في جهل مبين ان الحرية تنتهي عواقبها الى الفتنة التي لا تخمد نارها كذلك يخبركم المحصى العليم. فاعلموا أن مطالع الحرية ومظاهرها هي الحيوان وللانسان ينبغي أن يكون تحت سنن تحفظه عن جهل نفسه وضر الماكرين)(١).

(ان الحرية تخرج الانسان عن شؤون الأدب والوقار وتجعله من الأرذلين)(٢).

خامسا : كتاب الأقدس البهائي ـ أفكاره وأسلوبه :

الكتاب عبارة عن أفكار صوفية يهيم بها صاحبها في أودية الخيال وسنوحات الفكر لا ترقى الى درجة الكتب العلمية البشرية بله أن تكون كلاما موحى به من الله عزّ وجلّ واليك بعض تلك العبارات :

يقول في أوائل كتابه : (قد ماجت بحور الحكمة والبيان بما هاجت نسمة الرحمن اغتنموا يا أولى الألباب).(٣)

ويقول : (قد تكلم لسان قدرتي في جبروت عظمتي مخاطبا لبريتي أن اعملوا حدودي حبا لجمالي. طوبى لحبيب وجد عرف المحبوب من هذه الكلمة التي فاحت منها نفحات الفضل على شأن لا توصف بالأذكار. لعمري من شرب رحيق الانصاف من أيادي الألطاف أنه يطوف حول أوامري المشرقة من أفق الابداع)(٤).

أما عبارات الكتاب وأسلوبه فهي واضحة العجمة بائنة اللكنة التي يكتب بها المبتدئون في تعلم العربية. ولعل القارئ قد لاحظ ذلك أثناء قراءته لبعض نصوص الكتاب التي وردت في أجزاء متفرقة من البحث. ولا بأس باثبات بعض النصوص هنا كنماذج مستقلة لزيادة الايضاح والبيان.

---

(١) الأقدس ص ١٦٩
(٢) الأقدس ص ١٦٩
(٣) ص ١٤٠
(٤) ص ١٤٠

فمن ذلك مثلا قوله : (قد أخذهم سكر الهوى على شأن لا يرون مولى الورى)[1].

وكذلك قوله : (وله أن يصبر سنة كاملة «لعل» تسطع بينهما رائحة المحبة)[2].

ويقول كذلك : (قد أخذتنا الأحزان بما رأيناك «تدور» لاسمنا ولا تعرفنا امام وجهك)[3].

ويقول : (قل ان العيد الأعظم لسلطان الأعياد اذكروا يا قوم نعم الله عليكم اذ كنتم «رقداء» أيقظكم من نسمات الوحي وعرفكم سبيله الواضح المستقيم)[4].

... ويقول : (ان في ذلك «لحكم» ومصالح لم يحط بها علم أحد الا الله العالم الخبير)[5]

هذه بعض الأخطاء الواردة في كتاب البهائية المقدس عندهم والذين يزعمون أنه وحي السماء..

---

(١) وانظر ص ١٥٣ ــ ١٥٨ ــ ١٦٨ ــ ١٧١ ــ ١٧٤ فقد كرر عبارة على شأن عدة مرات

(٢) الأقداس ص ١٥٥ وقد كرر لعل هذه في ص ١٧٢ و ص ١٧٣

(٣) الأقدس ص ١٦٠

(٤) الأقدس ص ١٦٧

(٥) ص ١٦٣ الأقدس

ب ـ الرد على الدعوة البهائية

بعد أن عرضنا بعض الجوانب العامة لتلك النحلة البهائية والتي تعتبر امتدادا للحركة البابية ـ بعد ذلك نقف معها هنا لنوضح بطلانها على ضوء ما تقدم من جوانبها.

أولا : حياة البهاء كانت شبيهة بحياة سلفه الباب من حيث النشأة الصوفية التي عاشها كل منهما حيث رأينا من قبل أنه كان (معدودا من كبار المتصوفة وشيوخهم) ولعل ذلك الاتجاه الصوفيّ كان له أثر كبير في توجيهه الى ذلك الانحراف والخروج على عقيدة المسلمين بدعوى النبوة اذ أن المجاهدات الصوفية التي يعيشها أهل التصوف قد تؤثر على أعصاب من يبالغ فيها لشدة الجوع والألم الذي يعانيه ذلك المتصرف.

زد على ذلك مخالطته لأستاذه الباب وانخداعه بأفكاره وآرائه.

ثانيا : ان أول ما ظهر به البهاء هو دعواه أنه المسيح ابن مريم و ذلك لأنه يعلم أن المسلمين يعتقدون عودة المسيح عليه السلام الى هذه الأرض فظن أنه لو ادعى أنه هو المسيح لانخدعوا بدعواه تلك اذ ليست أقل من ادعاء سلفه الباب حينما ادعى أنه المهدي الموعود فكان له أتباع وأنصار علما بأن صفات المهدي عند كلا المذهبين ـ السنى والشيعي ـ لا تنطبق على الباب فما المانع أن يدعي هو أنه المسيح فادعى ذلك وقال (قال يا قوم قد رجع الروح مرة أخرى ليتم ما قال) وقال : (اعلم بأن الذي صعد الى السماء قد نزل بالحق) وهو يعلم كذب تلك الدعوى كما يعلمها كل انسان له عقل.. اذ كيف أن الذي صعد نزل مع أن هذا الميرزا حسين معروف أنه ولد في الأرض بين الشيعة أنفسهم وتنقل بين مخابئ التصوف فكيف يدعي أنه هو المسيح نزل مرة أخرى.. ولكن التأويل الآثم الذي فتحته الباطنية المجوسية هو القاعدة الأساسية لكل دعوة تريد أن تخرج على الدين.. فانها تستطيع أن تدعي لكل آية ظاهرا هو ما فهمه رسول الله ﷺ وأمته من بعده وباطنا وهو ما علمه فروخ مزدك وأحفاد ماني... وبذلك تكون أفهامهم وعقولهم أصدق وأعلم من فهم وعقل سيد المرسلين ﷺ.

وهذا المسلك ــ مسلك الباطن والظاهر ــ لو سلكه الناس في أي شيء من حياتهم لاختلت موازين الحياة ومفاهيمها.. اذ كل انسان يستطيع أن يدّعي لكل قول يقوله أو يقال له ان له ظاهرا وباطنا حتى مع هؤلاء الباطنيين.. ويقال للباطن كذلك ان له باطنا.. وللباطن باطنا وهكذا.. وهكذا سلسلة من المغالطات والمعارضات ليس لها رصيد من نقل ولا عقل..

ولو سلمنا لهذا المدعي أنه المسيح فما علامة صدقه ؟ نحن نعلم من الآثار الواردة عن المسيح عليه السلام أنه ينزل في دمشق وأنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقتل الدجال وتنزل الأمنة في عصره... الخ تلك الصفات التي وردت فيه.. فأين هي في ذلك الدّعي ؟.. ثم انه لما علم أن المسيح لا ينسخ الاسلام بل يعمل به ويقيم شرعه ــ وهو مرسل لنسخ الاسلام ــ ادعى النبوة استقلالا وأن الله عزّ وجلّ قد تراجع عن ختم النبوة بسيد المرسلين ﷺ ففتحها للبهاء كما زعم ذلك حيث قال : (لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والاقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي).

فما الذي طرأ على علم الله سبحانه وتعالى حتى يلغي ارادته السابقة والتي قد أخبرنا بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. والنسخ لا يدخل الاخبار لأن الخبر ليس له الا حالتان اما أن يكون صادقا أو غير ذلك.. وأخبار الله عزّ وجلّ كلها صدق وعدل فما أخبرنا بوقوعه فانه لا محالة واقع اذ الله عزّ وجلّ لا يهزل ولا يكذب ولا يجهل حتى يدّعي هذا الدجال أنه فتح باب النبوّة.. يا لها من حماقة تلك التي ارتكبها ذلك المفتري على الله عزّ وجلّ حينما أعلن فريته تلك وزعم أن الله عزّ وجلّ (فكّ ختم النبيين) وسيذكر هو وأتباعه ذلك الاجرام عندما يقول الملك الحق سبحانه (وقفوهم انهم مسئولون)...

ولكن عندما نرى الحلقة الأخيرة من حلقات الضلال التي تدرج فيها ألا وهي الاعتداء على مقام الربوبية فانّا نتيقن انه لم يكن في كامل قواه العقلية عندما كان يظهر إلهاماته تلك والا فهل هذا القول (يا ملأ الانشاء اسمعوا نداء مالك الأسماء انه يناديكم من شطر سجنه الأعظم انه لا اله الا هو المقتدر المتكبر المتسخر المتعالى العليم الحكيم انه لا اله الا هو المقتدر على العالمين) هل هذا قول انسان عاقل حيث يصف نفسه بهذه الصفات التي لا تليق الا بالله ثم يكون في سجن.. ثم أي عبارة هذه التي اخترعها «المتسخر» ومن أي القواميس أخذها ؟ ! ولم يكن أتباعه بأقل حماقة منه حيث كانوا يصفونه بصفات الربوبية كذلك كقولهم : (ربنا الأبهى) وقولهم : (جل اسمه وعز ذكره)[1].

---

(١) كتاب البهائية لمحب الدين الخطيب ص ٣٩ ــ ٤٥

ثالثا : أما أدلته على استمرار الوحي فلا يخرج بعضها عما اعتاده أهل التشيع ـ الغالي منهم ـ والمعتدل ـ حيث كانوا يستشهدون ـ في دعاواهم بأقوال ينسبونها الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو أحد أئمتهم الوارثين لعلي رضي الله عنه..

ولما كان البهاء قد عاش في وسط شيعي فانه لا بد أن يسلك مسلك سلفه الشيعة للاحتجاج على ما يريد، ولهذا فقد افترى تلك الكذبة الآثمة على عليّ رضي الله عنه وقد تكون مما افتراه غيره ثم استغله هو كذلك.

وهذه القولة المزعومة على عليّ رضي الله عنه والتي تقول : (أين المدّخر لتجديد الفرائض والسنن واين المتخيّر لاعادة الملة والشريعة) هذه القولة قولة آثمة يتبرأ منها عليّ رضي الله عنه ولا يستطيع أحد أن يثبت سندها اليه.

ثم لماذا يترقب عليّ رضي الله عنه ذلك وقد كان الدين في عهده لا يزال غضا طريا ؟ عجبا للباطل كيف يجد وسائله التي ينخدع العقلاء بها ؟ بل ان العقلاء أبعد من أن تنطلي عليهم تلك الأكاذيب ولكن النفوس المريضة التي لم تخالطها بشاشة الايمان يسهل قيادها بسلسلة الخداع والبهتان.

أما ما نسب الى جعفر الصادق رضي الله عنه فليست هي الأولى من تزويراتهم عليه اذ قد زوروا عليه من الأقوال ما لا يحصى حتى ان كتاب الكافي الذي هو أكبر أصول الشيعة قد احتوى منها على مئات الأقوال فلا يستغرب اذن من أحد سلالات الشيعة أن يحذو حذو آبائه من قبل، وحتى لو ثبت ذلك عن أبي جعفر الصادق فانه ليس نبيا يؤخذ عنه ما يقول فهو كاي عالم آخر لا يقبل قوله في أقل أمور الشريعة ـــ وليس فيها قليل ـــ الا بدليل فكيف يؤخذ عنه ما يهدم الاسلام ويخالف نصوص القرآن والسنة الصريحة كما رأينا طرفا منها في أول هذا البحث والتي تنفي مجيء نبي بعد رسول الله ﷺ.

أما استشهاده بقوله تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) فان ذلك في غاية العجب اذ أحدث لها تفسيرا لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأمة الاسلامية الى اليوم.

فالآية توبخ اليهود وتفضح عقائدهم الباطلة في الله عزّ وجلّ حيث يصفونه تعالى بالبخل عليهم وعدم العطاء لهم هذا هو معنى الآية الكريمة يقول الطبري رحمه الله : (انهم

قالوا : ان الله يبخل علينا ويمنعنا فضله فلا يفضل كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله : (يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة بأنهم وصفوه ـ تعالى عن قولهم علوا كبيرا ـ بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا : (يد الله مغلولة).[2] هذا هو فهم علماء الأمة الاسلامية لكلام الله عزّ وجلّ ليس كما يزعم البهاء أن اليهود قالوا ان الله بعد أن خلق الطلعة الموسوية أصبحت يده مغلولة.

ولكنها الباطنية الخبيثة تتجلى في كل عصر بمظهر جديد يتناسب مع البدعة التي تظهر بها.. وقد بدأت سلسلة التأويلات المنحرفة من زمن بعيد على أيدي أولئك الباطنيين ليهدموا بها شريعة الاسلام التي كانت شجى في حلوقهم وسهاما في قلوبهم المريضة لأنها حالت بينهم وبين شهواتهم المنحرفة فأعملوا في ذلك عقولهم حتى أوجدوا لهم ما يستطيعون به إتيان الأمور المحرمة في ظل التأويل الباطني.

ولو ترك الأمر لكل ضال ختال ليقول في القرآن برأيه لما بقيت للشريعة الاسلامية باقية.. لأن أوجه الاحتيال تتعدد وتتنوع من شخص لشخص ومن عصر لآخر وهكذا.

رابعا : لقد جاء البهاء بتعاليم غريبة وعجيبة تحمل في داخلها دليل بطلانها وفسادها. وقد رأينا ما ذكره فيها من تحريم الدخول في حمامات العجم ووصفها بالنتن والعفونة.. وهذه وصمة لتلك الأمة وتشهير بها على مدى الزمن حتى لو تغيرت أوضاعها.

فأية تعاليم هذه التي تشجب أمة من الناس لوجود عيب في بعضهم يمكن أن يزول ؟ وهلّا دعا الى نظافتها والاهتمام بها ان كان عاقلا ؟ اذ تلك الصفة قد تزول وتنتهي وتبقى المذمة مدونة في كتاب البهائية على مدى الدهر. ثم انه ليس كل حمامات العجم على صورة واحدة كأي مجتمع بشري آخر منها النظيف ومنها دون ذلك.. ثم ان كان هذا خطابه لغير العجم فما هو تشريعه للعجم في ذلك.

وان هذا لدليل واضح على كذب البهاء في نسبة دعوته الى الله عزّ وجلّ اذ يتعالى الله سبحانه عن مثل هذه الهذيانات الهابطة.

---

(١) تفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٥١

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٥

ولكنها حماقات انسان فقد وعيه وانساق وراء وساوس الشيطان حتى أصبح لا يدري ماذا يقدمه لأتباعه فهام في أودية الحمّامات وتنقل في مستنقعات العجم فوجدها منتنة كنتن عقيدته التي لا تعدو أن تكون صورة لتشريعه ذلك...

وأما قوله (ان الذي ربى ابنه أو ابنا من الأبناء كأنه ربى احد ابنائي) فان وجود ذلك في كتاب «الأقدس» الذي يعتبر وحي البهاء فاما أن يزعم البهاء ان هذا من كلام الله فيكون قد اثبت له ابناء كما للبشر أبناء.. وهذه الفرية قد نفاها القرآن الكريم بشدة واعتبرها كبيرة يكاد الكون كله يتشقق لذكرها حيث قال جل ذكره : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدًّا تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل ما في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا)[1].

واما ان كان يعني ابن نفسه هو فقد أبطل زعم انّ كتابه وحي من السماء وادعى لنفسه صفات الألوهية في قوله : (كأنه ربّى أحد أبنائي عليه بهائي وعنايتي ورحمتي التي سبقت العالمين) فكونه يرعاه ويرحمه برحمته التي سبقت العالمين فإنه ليس بشرا عاديا بل قد شارك الله عزّ وجلّ في قدرته على العناية والرحمة.. والرحمة التي وجدت قبل وجود العالمين.. اذن فقد وجد هو قبل العالمين.. انه اضطراب وخلط عجيب.

وعبارات الأقدس مرة تتكلم باسم الله ثم فجأة واذا بها تتكلم باسم البهاء نفسه مما يدل على عدم قدرته على حبك قضيته.

وقد ورد غير ما تقدم ما يلي (سوف يرتفع النعاق من أكثر البلدان اجتنبوا يا قوم ولا تتبعوا كل فاجر لئيم. هذا ما أخبرناكم به اذ كنا في العراق وفي أرض السرو في هذا المنظر المنير)[2].

فهو يتحدث عمّا سيحدث ويوصيهم بعدم اتباع الفجار اللئام ــ كما يزعم ــ ثم اذا به يتحدث باسم نفسه فيذكرهم أنه قد أخبرهم بهذا القول في العراق... اذ لا يعقل ان الله عزّ وجلّ قد كان بالعراق ثم انتقل الى عكا اذ أن هذه من صفات البشر الذين يعيشون داخل هذا الكون أما إله الكون فهو أكبر من كل شيء سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة مريم آية ٨٨ ــ ٩٣

(٢) ص ١٤٨

وهكذا ظلمات بعضها فوق بعض وتناقض لا يخفى على من أراد الحق.. الا أن الضلال اذا تمكن من شخص فانه يصمّه ويعميه عن سماع الحق ورؤيته أعاذنا الله من خذلانه.

هذا جانب من تعاليم البهائية التي كانت امتدادا للبابية وكلاهما كوّنا ديانة جديدة زعم أتباعها أنها نسخت الاسلام. فأي نعمة تستفيدها البشرية من هذه التعاليم التي تتضمن رد الناس الى الديانة المجوسية، وطمس الجوانب الكريمة في الانسان واركاسه في مستنقعات الذلة والصغار اذ يحرم عليه أن يشم رائحة الحرية والتي بفقدها يفقد الانسان أهم خصائصه الكريمة، والتي تعتبر قاعدة متينة لكل دعوة صحيحة وقد كانت متمثلة في واقع المجتمعات الاسلامية التي يقول كتابها (ولقد كرمنا بني آدم)[1] فأي حياة تلك التي تختفي منها حرية الانسان ؟؟!

وهذه الدعوة من البهاء هي دعوة للرضا بالاستعمار الذي حمى تلك الدعوة ومكنها من القيام ان لم يكن خطط لها وأوجدها، ولهذا فإننا نرى عبد البهاء ينسخ الجهاد صريحا.. الجهاد الذي يفزع الاستعمار.. وبذلك يمكن عقيدة الذلة التي أرسى قواعدها أبوه من قبل.

يقول عبد البهاء في ذلك (ويفتح ذلك المظهر الكلي بالقوى الريحانية لا بالحرب والجدال وبالصلح والسلام لا بالسيف والسنان ويؤسس هذه السلطنة الالهية بالمحبة الصحيحة لا بالقوة الحربية وروح هذه التعاليم الالهية بالمحبة والصلاح لا بالعنف والسلاح)[2].

وبذلك يتمكن المستبدون من اذلال الأمم وافساد أديانها ونهب خيراتها وهم آمنون من القوة الحربية اذ قد أصبحت البشرية في متناول يد كل طاغية... وهذا ما أراده الاستعمار... ودعا اليه البهاء.

خامسا : أما كتاب البهائية الأقدس فهو عبارة عن خيالات صوفية وعبارات فلسفية أراد صاحبها أن يبهر الذين يقرأونها بتلك الهالات من الألفاظ التي لا يجد تحتها القارئ فائدة تذكر مع ما فيه من عجمة اللفظ وسقم العبارة.

---

(١) سورة الاسراء آية ٧٠

(٢) ص ٥٣ من كتابه النور الأبهى

ففي أوائل ذلك الكتاب : (قل من حدودي يمر عرف قميصي وبها تنصب أعلام النصر على القنن والاتلال. وقد تكلم لسان قدرتي في جبروت عظمتي مخاطبا لبريتي ان اعملوا حدودي حبا لجمالي. طوبي لحبيب وجد عرف المحبوب من هذه الكلمة التي فاحت منها نفحات الفضل على شأن لا توصف بالأذكار لعمري من شرب رحيق الانصاف من أيادي الألطاف أنه يطوف حول أوامري المشرقة من أفق الابداع)[1].

وفي أواخره يقول : (يا أهل الانشاء اذا طارت الورقاء عن أيك الثناء وقصدت المقصد الأقصى الأخفى) وهذا الأسلوب يرجع الى النشأة الصوفية التي عاشها كما رأينا ذلك في ترجمته. أما عباراته فلا يخفى على القارئ ما فيها من مظاهر العجمة التي لا تمت الى اللغة العربية بصلة فهو مع سوء التركيب غامض المعنى فانظر مثلا اليه وهو يقول : (قد أخذهم سكر الهوى على شأن لا يرون مولى الورى) ويقول كذلك : (لعل تسطع) و(لعل تجدون) و(لعل تدعون) ويقول : (اذكروا يا قوم نعمة الله عليكم اذ كنتم رقداء أيقظكم من نسمات الوحي) ويقول : (قد أخذتنا الأحزان بما رأيناك تدور لاسمنا) ... وهكذا أكثر عبارات ذلك الكتاب.. عجمة في اللفظ وركة في الأسلوب.. وفساد تصور في العقيدة كما في الجملة الأخيرة التي تصف الله عزّ وجلّ بأنه قد حزن عليه وهو تائه (تدور ؟) أي تبحث. ولهذا فان أحد دعاة البهائية الكبار يقول : (نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ومطالع شموس آياته وبيناته لا تظهر صفة من صفات الله في الرتبة الأولى الا منهم ولا يمكن اثبات نعت من النعوت الجلالية والجمالية الا بهم، ولا يعقل ارجاع الضمائر والاشارات في نسبة الأفعال الى الذات إلا اليهم لأن الذات الالهية والحقيقة الربانية غيب في ذاتها متعال عن الأوصاف بحقيقتها منزه عن النعوت بكينونتها).[2] وبهذا يصبح البهاء على كرسي العظمة الربانية تسبغ عليه كل الصفات الربانية، وتنسب اليه كل أفعال الكون لأنه مشهود والله الخالق غيب.. وهكذا الضلال يتتابع ويتوالد (والذي خبث لا يخرج الا نكدا).

---

(١) ص ١٤١

(٢) الدرر البهية ج ٤ ص ٥٤ ــ نقلا عن البهائية ص ٣٥ ــ ٣٧

فأي دين هذا الذي بدأ بالمسيحية وانتهى بالربوبية... انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. وتتضح حقيقة تلك الدعوة المنحرفة عندما نرى صلتها بالاستعمار الحاقد على الاسلام وأهله.. وباليهود أعداء البشرية أجمع والذين يقفون وراء كل معول يهدم الأديان والأخلاق.. لتسهل عليهم السيطرة على الحياة البشرية في غيبة الحق وانطماس أنواره.

ويريد بعد هذا الخلط والسفه ان يستبدل كتابه هذا بالقرآن الكريم الذي تحدى باعجازه فطاحل العربية وفصائحها والذين كانت أذواقهم العربية في ذروة الأذواق حتى كان يبلغ الأمر بأحدهم اذا سمع عبارة فصيحة بليغة يخرّ لها ساجدا.. ثم يأتي هذا الأعجمي الذي لا يحسن مبادىء العربية لينسخ بلكنته الأعجمية ذلك الكتاب المعجز.. ولعل الفصاحة القرآنية كانت احدى الأسباب في هزيمة هذه النحلة في البلاد العربية فاتجهت الى البلاد الأعجمية للبحث لها عن موطن لا يستطيع عوام الناس فيه ان يروا عوارها أو يكشفوا أستارها.. وان العلماء في تلك المجتمعات قد هاجموها وبينوا زيفها الا أن الطبقة غير المتعلمة تبقى فريسة لأمثال تلك الدعوات الضالة..

وتتضح الرؤية لتلك النحلة الضالة بدرجة أكثر اذا رأينا صلاتها بأعداء الاسلام من يهود ونصارى وغيرهم اذ هم الذين كانوا يقفون وراءها ووراء كل دعوة تهدم الأديان وتفسد الأخلاق.

سادسا : صلة البهائية باليهود :

هذا الصنف من البشر المسمى «باليهود» صنف غريب !! لا تكاد ترى حركة مخربة أو فكرة ضالة أو دعوة منحرفة الا وتجد وراءها «يهودا»[1] !! فأي نفسية تلك هي النفسية اليهودية ؟

فاليهود كانوا وراء افساد الدين النصراني ![2]

واليهود كانوا وراء حركات الفرق الخارجة على الاسلام ![3]

---

(١) يراجع كتاب اليهود لزهدي الفاتح وكتاب حكومة العالم الخفية لشيريب سبيرد وفيتش وكتاب بروتوكولات حكماء صهيون مع مقدمة الأستاذ العقاد

(٢) تقدم

(٣) يراجع كتب الملل والنحل «السبئية» ليتضح ذلك للقارئ

واليهود كانوا وراء حركات الالحاد والشيوعية ![1]

واليهود وراء كل حركة تخريبية في العالم.

واليهود وراء حركات التنبؤ في العالم الاسلامي (ايجادا وتأييدا).

وسنرى في هذا المبحث مدى علاقة اليهود بهذه الحركة (البهائية).

واستمع الى اليهودي (جولد زيهر) وهو يقول[2] : (وبلغ الأمر ببعض اليهود المتحمسين للبهائية ان استخلصوا من دفائن العهد القديم وتنبؤات أسفاره ما ينبيء بظهور بهاء الله وعباس وزعموا أن كل آية تشيد «بمجد يهوه» انها تعني ظهور مخلص للعالم في شخص بهاء الله).

ثم يقول : (وهذا فضلا عن أنهم ـ أي اليهود ـ لم ينسوا ان يستخرجوا مما يحتويه سفر دانيال من الرؤى ما ينبيء بقيام الحركة التي أوجدها «الباب» وان يلتمسوا بتأويلها ما يدل على وقت حدوثها)[3].

ثم قال : (وقد تقدمت البهائية بظهور عباس افندي خطوة أخرى في استعانتها بالتوراة والانجيل)[4].

ولهذا فإننا نلمح في كتابهم «الأقدس» عبارات التبشير بمقدم دولة «صهيون» اليهودية المشتتة لتجتمع في فلسطين..

يقول كتاب الأقدس : (قل تالله الحق ان الطور يطوف حول مطلع الظهور والروح ينادي من في الملكوت هلمّوا وتعاونوا يا أبناء الغرور هذا يوم في سرع كرم الله شوقا للقائه وصاح الصهيون قد أتى الوعد وظهر ما في المكتوب)[5].

ويقول عباس افندي ولد البهاء «المسمى بعبد البهاء» : (وفي زمان ذلك الغصن الممتاز وفي تلك الدورة سيجتمع بنو اسرائيل في الأرض المقدسة وتكون أمة اليهود التي

---

(١) يراع كتاب الشيوعية للعقاد والانسان بين المادية والاسلام للأستاذ محمد قطب

(٢) العقيدة والشريعة ص ٢٨٠

(٣) العقيدة والشريعة ص ٢٨٠

(٤) العقيدة والشريعة ص ٢٨١

(٥) الأقدس ص ١٥٩

تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة) ويقول : (فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود الى الأرض المقدسة ويمتلكون الأرض والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجيا الى أن تصير فلسطين جميعا وطنا لهم)[1].

ولهذا فان البهائية قد اختارت عكا في فلسطين مركزا لها.

وبهذا القدر اليسير يتبين لنا مدى الصلة التي بين البهائية وبين اليهود الذين حاربوا الاسلام منذ ظهوره ولكن الله يرد كيدهم ويبطل مكرهم.. (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)[2].

سابعا : وأخيرا : موقف روسيا وبريطانيا من البهائية :

فكما رأينا من قبل صلة الباب بروسيا فلا بد أن نشير هنا الى صلة خلفه «البهاء» بها كذلك وما جدّ من صلة جديدة بينه وبين بريطانيا :

١) صلته بروسيا :

يقول الجاسوس الروسي في ايران (كنيازد الكوركي) والذي كان يشغل منصب سفير لروسيا في ايران يقول في مذكراته التي نشرها بعد انقراض القيصرية : (وكان الميرزا حسين علي — البهاء — أول من ورد هذه الغرفة وأخبرني بمطالب مهمة جدا) و(انقضى شهر رمضان المبارك وأنا كنت أربي نفرا من أصحاب سرّي تربية الجاسوسية ولم تكن لأي منهم لياقة الميرزا حسين علي — البهاء — وأخيه الميرزا يحيى صبح الأزل)[3] ويذكر قضية محاولة قتل ناصر الدين شاه وقبض الدولة على البابيين ومن بينهم حسين علي البهاء وآخرون فقال : (فانا حاميت عنهم وبألف مشقة أثبت أنهم ليسوا بمجرمين وشهد عمال السفارة وموظفوها حتى أنا بنفسي قلت ان هؤلاء ليسوا بابيين فنجيناهم من الموت وسيرناهم الى بغداد وقلت لميرزا حسين علي البهاء اجعل أنت أخاك الميرزا يحيى وراء الستر وادعوه : (من يظهره الله) فلا تدعه أن يكلم أحدا وكن أنت بنفسك متوليه وأعطيتهم مبلغا كبيرا رجاء أن أعمل بذلك عملا فالحقت به في بغداد زوجته وأولاده وأقرباءه وكل من كان لائذا به كي لا يكون له هوى

---

(١) مفاوضات عبد البهاء ص ٥٩

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠

(٣) كتاب الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية ذكر ذلك في كتاب حقيقة البابية ص ١٢٠ — ١٢١

من خلفه فشكلوا له في بغداد تشكيلات وجعلوا له كاتب وحي وأنا أيضا أرسلت لهم كتابا وكتبا كانت باقية للسيد بعد ما أنا أصلحتها جرحا وتعديلا وأمرتهم أن يستنسخوا منها نسخا كثيرة...)[1].

هذه صلته بروسيا...

٢) صلته ببريطانيا :

لم يكن البهاء عميلا لروسيا فقط وان كانت هي التي كان لها الدور الأول في تحريكه واخراجه اذ كل من الدولتين كان يطمع في التسلل الى المجتمع الايراني عن طريق أهله ولهذا فقد عرضت بريطانيا على البهاء بواسطة القنصل البريطاني العام في بغداد (ارنولد بروكميال) ان يتجنس بالجنسية البريطانية ليحافظ على حياته ولكنه لم يوافق لوجود شريك آخر اسبق منها وهو روسيا[2].

ولما فتح الانجليز حيفا عام ١٩١٨ م بادر قائد الحامية بزيارة عبد البهاء وقد لمس القائد منه استعداده للقيام بأية مساعدات تحتاجها بريطانيا لاستمرار الفتح في البلاد العربية ولهذا قدم القائد اليه وسام العضوية البريطانية من درجة فارس ممنوحا من لدن صاحب الجلالة ملك الانجليز لقاء خدماته الجليلة ومساعدة الحكومة البريطانية أيام الحرب الكونية وقلد الوسام في حفلة كبرى أقيمت في دار السفارة الانجليزية في ابريل سنة ١٩٢٠ م[3].

وبذكر هذا القدر اليسير من صلة البهائية بدول الاستعمار بشقيه الشرقي والغربي يتضح لنا طرف من المؤامرات التي يبذلها أعداء الاسلام لهدم الاسلام مستغلين في ذلك كل الوسائل والحيل ولو كان منها الكذب على الله وادعاء النبوة والرسالة.

والذي يتأمل هذه الدعوة والأسس التي قامت عليها يرى أن كل جانب من جوانبها يحمل معول هدم للأديان والأخلاق بل وطعنا في ذات الله سبحانه وتعالى حيث ادعى البهاء أخيرا أنه هو الرب الأعلى. تعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرا. وهذه الدعوات انما ينخدع بها عوام المجتمعات الجاهلة أو التي تسيطر فيها الخرافة ويضاف الى ذلك أصحاب

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ص ١٢٠ ــ ١٢٤

(٢) حقيقة البابية ص ٢٤٠

(٣) من كتاب عبد البهاء والبهائيين ذكر ذلك في حقيقة البابية والبهائية ص ٢٤١

المطامع المنحرفة والأهداف الساقطة... ولكن المجتمع الاسلامي بحمد الله رغم الكيد الذي يوجه اليه ورغم المؤامرات التي تحاك ضده فانه يحمل من عقيدته الطاهرة ما يحميه ويجعله يرفض كل دعوة تخرج على دينه. وموقف المجتمع الايراني رغم الانحرافات التي تغشاه كان احد المواقف الحازمة أمام تلك الطفيليات الغريبة على جسم الأمة المؤمنة.. وقد رأينا من قبل من صدر الاسلام الى اليوم طرفا من تلك المواقف القوية التي تقف في وجه دعاة النبوة وسدنة الباطل.

الفصل الثالث

الدعوة القاديانية والرد عليها

أ ـ الدعوة القاديانية :

تمهيد :

أولا : الظروف التي نشأت فيها

ثانيا : حياة القادياني

ثالثا : أخلاقه وشخصيته

رابعا : دعاوى القادياني

خامسا : ادعاؤه النبوة والرسالة

سادسا : نماذج من وحيه المزعوم

سابعا : عقائد القاديانية في الله

ثامنا : نبوءاته

تاسعا : الغاؤه الجهاد

أ ـــ القاديانية أو «الأحمدية»

تمهيـــــد :

هذه طائفة محدثة ظهرت في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في قاديان من أرض الهند وزعيم نحلتها بل نبيها الذي تنبأ لها يدعى (غلام احمد بن غلام مرتضي) ولا تزال هذه الطائفة قائمة الى اليوم وخاصة في البلاد غير العربية نحو جنوب افريقيا وأمريكا وغيرها. وهم يسمون أنفسهم في تلك البلاد «احمدية»[1].

وقد كانت ولا تزال تتستر بالاسلام وتدعى أنها فرقة اسلامية في صورة جديدة حتى ثار المسلمون في الباكستان ضدها وطالبوا باعتبارها أقليـة غير مسلمة فاستجابت حكومة الباكستان بعد عنت شديد[2].

أولا : الظروف التي نشأت فيها :

كانت الهند آنذاك تحت الاستعمار الانجليزي الذي لم يكـن يقر له قرار لما يواجهه من ثورات وحركات داخلية تطالب بجلائه عن الهند. وقد كان المسلمون هم الذين يقودون تلك الحركات التحررية مما أفزع الانجليز وأقضّ مضاجعهم وجعلهم يبحثون عن طريق يقاومون به تلك الحركات الجهادية التي تثار ضدهم من قبل المسلمين فوجدوا في القادياني بغيتهم تلك[3] التي استطاعوا بها فيما بعد شغل المسلمين ببعضهم البعض كما فعلوا من قبل في ايران بشغلهم بالبابية والبهائية.

ثانيا : حياة غلام احمد القادياني :

هو غلام احمد بن غلام مرتضي وهو فارسي الأصل ــ رحل آباؤه الى منطقة البنجاب من أرض الهند وبنوا بها قرية سموها اسلام بور وتعرف الآن بقاديان[4] وكان يزعم القادياني ان أصله مغولي[5] ثم ادعى ان ذلك من معلومات آبائه ولكن الله فيما بعد ــ كما يزعم ــ

---

(١) القاديانية لاحسان الهي ظهير ص ١ حاشية و ص ١١٨

(٢) القاديانية تاريخها وغاياتها لمجموعة كتاب ص ٧

(٣) القاديانية تاريخها وغاياتها ص ٧٩

(٤) رسالة في بعض سوانحه وسوائح ابائية واخوانه ص ٥٤١ وما بعدها

(٥) ضميمة حقيقة الوحي ص ٧٧ من كتاب القاديانية لاحسان ظهير الهي

صحح له ذلك وأخبره أن أصله ليس من الاتراك ولكنه من فارس وهذا ما قاله : (أنا قرأت في بعض الكتب في سوانح آبائي وأجدادي انهم من قبيلة مغول وهكذا سمعت من أبي ولكن الله أوحى الى أنهم ليسوا من الاتراك بل هم من بني فارس وأيضا أخبرني الله ان بعض جداتي كن من بني فاطمة وآل البيت)[1].

ولم يثبت على رأي واحد بل في كل مرة يدعي دعوة جديدة اذ لم يكتف بهذه الدعاوي بل قال مرة أخرى : (أنا صيني الأصل)[2].

والله أعلم بحقيقته وسيأتي ـ ان شاء الله ـ السبب الذي لأجله كان هذا الاضطراب.

وقد ولد غلام احمد عام ١٢٥٦هـ ودرس في صغره عدة علوم منها الصرف والنحو وبعض الكتب العربية[3] والفارسية والطب والعرافة ولكنه لم يفلح في دراسة علوم الشريعة كالحديث والفقه وغيرهما وهذا ما ذكره هو حيث يقول : (ولما ترعرعت ووضعت قدمي في الشباب قرأت قليلا من الفارسية ونبذة من رسائل الصرف والنحو وعدة من العلوم وشيئا يسيرا من كتب الطب وكان أبي عرافا حاذقا وكانت له يد طولى في هذا الفن فعلمني بعض كتب هذه الصناعة) ثم قال : (ولم يتفق لي التوغل في علم الحديث والأصول والفقه الا كطل من الوبل)[4].

ولم يقتصر في دراسته على تلك العلوم بل تعلم الانجليزية كذلك في اثناء اقامته في سيالكوت.[5].

(وقد بدأ حياته في تقشف وزهادة فلما تبوأ الزعامة الدينية اتسع له العيش وأقبلت عليه الدنيا واغدقت عليه الأموال وأصبح يعيش هو وأهله في نعيم وبذخ وتصرف في الأموال تصرفا مطلقا)[6].

---

(١) هامش كتاب البرية للميرزا غلام احمد ص ١٣٤ ـ عن القادياني والقاديانية ص ٢٢
(٢) حقيقة الوحي ص ٢٠٠ / عن القاديانية لاحسان ص ١٢٦
(٣) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٣٤٠ ـ ٣٤٣
(٤) التبليغ الى مشايخ الهند ص ٥٩ نقلا عن القاديانية ص ١٢٧ لاحسان
(٥) سيرة المهدي ج ١ ص ١٣٧ ـ لبشير بن الغلام القادياني نقلا عن القاديانية ص ٢٢٨ لاحسان
(٦) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٣٤٥

وبعد أن ادعى النبوة قامت عليه قيامة المجتمع وثارت عليه ثائرة العلماء وكان منهم العالم الكبير ثناء الله الأوتسري والذي كان من أشد العلماء عليه [1]. وفي عام ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٧ م تحدى القادياني الشيخ ثناء الله هذا بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت ودعا الله أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داء مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه. وبعد ثلاثة عشر شهرا وعشرة أيام تقريبا أصيب القادياني بدعوته. ويوضح ذلك ما ذكره ابنه بشير احمد عن صورة موت أبيه حيث يقول (أخبرتني أمي أن حضرته ـ أي الغلام ـ احتاج الى بيت الخلاء بعد الطعام مباشرة ثم نام قليلا وبعد ذلك احتاج مرة أخرى الى بيت الخلاء فذهب مرة أو مرتين اليها بدون أن يشعرني ثم أيقظني فرأيت انه ضعف جدا وما استطاع الذهاب الى سريره فاذا جلس على سريري أنا فبدأت أمسحه وأمسجه وبعد قليل أحس الحاجة مرة أخرى ولكن الآن ما استطاع الذهاب الى بيت الخلاء فلذا قضاها عند السرير واضطجع قليلا بعد القضاء ولكن الضعف بلغ الى منتهاه فجاءته الحاجة مرة أخرى فقضاها ثم جاءه القيء وبعدما فرغ من القيء خر على ظهره واصطدم رأسه بخشب السرير وتغير حاله) [2] ونشرت احدى الجرائد الهندية أن (النجاسة كانت تخرج من فمه قبل الموت ومات وكان جالسا في بيت الخلاء لقضاء حاجته) [3] وهكذا أصيب بمرض الكوليرا كما صرح بذلك بنفسه كما ذكره أبو زوجته حيث قال (ولما اشتد مرضه ايقظوني فذهبت الى حضرته ورأيت ما يعانيه من الألم فخاطبني قائلا : أصبت بالكوليرا ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات) [4].

وهكذا انتهت حياة الغلام القادياني عام ١٩٠٨ م بمدينة هور بباكستان ثم نقل الى قاديان.

وعاش الشيخ ثناء الله أربعين سنة بعده [5]

---

(١) القاديانية لاحسان الهي ص ١٥٤

(٢) سيرة المهدي ص ١٠٩ ذكره احسان الهي في القاديانية ص ١٥٥ ـ ١٥٨

(٣) القاديانية لاحسان ص ١٥٨

(٤) حياة ناصر ص ١٤ ذكره احسان الهي ص ١٥٨

(٥) القاديانية ص ١٥٩ لاحسان الهي

ثالثا : أخلاقه وشخصيته :

لم تكن شخصية القادياني تؤهله لقيادة أقل الجماعات الدينية بل ولا رعاية نفسه هو لما كان عليه من بذاءة اللسان وسوء الأخلاق الى جانب البلادة والجبن اللذين كان يتصف بهما كذلك .

فأما أخلاقه فتظهر في ألفاظه البذيئة التي كان يرمي بها المخالفين له في دعواه تلك.

فقد هجا بعض مخالفيه بقصيدة طويلة قال فيها :

(وما ان أرى في نفسك العلم والتقى تصول كخنزير وكالحمر تشهق
رقصت كرقص بغية في مجالس وفسقتني مع كونك أفسق
أراكم كذئب أو ككلب بصولكم وضاها تكلمكم حمارا ينهق)[1]

ويقول كذلك :

(وما نق الا كدجاجة فنذبحه بمدى الحق)[2]

ويقول (بل تكلموا كالنساء متسترين)[3]

ويقول (أأنتم رجال أم مخنثون أيها الجاهلون)[4]

ويقول (واغرقت وأحرقت يا فضله النوكي)[5].

أما غباؤه فيتضح في جهله بأبسط الأمور الحياتية التي يعرفها الأطفال بالتعود والمران كالتمييز بين يمين الحذاء من شمالها وكاستخدام الساعة ونحو ذلك من الأمور التي لا تحتاج الى جهد عقلي لمعرفتها أو استخدامها.

ولكن القادياني كان لفرط بلادته وغبائه لم يكن يحسن ذلك.

فقد لا يميز بين الحذاءين ـ اليمين والشمال ـ مما اضطره لوضع علامة باحداهما ليتمكن من معرفتها[6] وكان الناس يسخرون منه لذلك فقال فيهم : (ويذكرون النعلين عند المقال كأنهم يتمنون ضرب النعال)[7].

---

(١) رسالة عذر ضمن سلسلة تصنيفات غلام ص ٥٣١٨

(٢) المصدر السابق ص ٥٢٥٨

(٣) المصدر السابق ص ٥٢٥٦

(٤) من مجموعة رسائل له مبدوءة بالوصية ص ٤٠٢

(٥) المصدر السابق ص ٧٩

(٦) سيرة المهدي ج ١ ص ٦٧ ذكرها الندوي ص ٢٥ من القادياني والقاديانية

(٧) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٣٤٥ وحجة الله تأليف الميرزا ص ٦٠

ولم يكن كذلك يعرف الوقت حتى كان يعد أرقام الساعة اذا أراد معرفة الوقت عدا[1].

وأما جبنه فيتضح في عدم مشاركته لأهل مجتمعه في التدرب على الأمور العسكرية حيث كانت عادة أهل تلك البلاد ان ابناء الأشراف يدربون على بعض الأعمال العسكرية التي تعتبر لوازم الشرف والشجاعة ولكن القادياني لم يدخلها.

يقول الكاتب القادياني يعقوب (ان حضرة المسيح ـــ أي الغلام ـــ لم يدخل في المنازلات والمصارعات كعادة ابناء الشرفاء آنذاك ولم يتعلم الفنون العسكرية مع أن الناس كانوا يعدون هذه الأشياء من لوازم الشرف والشجاعة)[2] ويقول ابنه بشير احمد (ان حضرته ـــ أي الغلام ـــ أراد مرة أن يذبح فروجا فقطع أصبعه وسال منها الدم فقام مستغفرا تائبا لأنه طوال حياته ما ذبح حيوانا قط)[3].

رابعا : دعاوى القادياني :

بدأ دعوته أول أمره محاميا عن الاسلام ومظهرا لفضله وشرعه ثم انتهى الى دعوى النبوة والرسالة. وقد اضطربت أقواله وادعاءاته فيما بين ذلك فادعى أنه مجدد ومحدث ومهدي وادعى أنه المسيح بن مريم وأنه ظِلُّ محمد ﷺ بل ادعى أنه خير منه وادعى كذلك أنه آدم وابراهيم وأخيرا ظهر برؤيا رأى نفسه فيها كأنه الله عزّ وجلّ فأعاد خلق السماء والأرض ثم خلق آدم.

هذا ملخص دعاواه التي جاءت في كتبه ولا أظن أن عاقلا يحترم عقله يجرؤ على هذا الخلط المشين ثم يدعي انه خير من سيد المرسلين.

وفيما يلي تفصيل هذه الدعاوى من مواطنها التي وردت فيها :

١) أول ما ظهر به القادياني هو المحاماة عن الاسلام والدفاع عنه. يقول الأستاذ المودودي : (سنة/ ١٨٨٠ ـــ ١٨٨٨ م/ ما كان الميرزا في هذه المرحلة الا مناظرا عاديا يدعو الى الاسلام ويدافع عنه ازاء من يطعن فيه)[4].

---

(١) سيرة المهدي ج ١ ص ١٥٦ ذكرها الندوى في القادياني والقاديانية ص ٢٥

(٢) حياة النبي ج ١ ص ١٣٨ نقلا عن القاديانية ص ١٢٩

(٣) سيرة المهدي ج ٢ ص ٤ نقلا عن القاديانية ص ١٢٩

(٤) ما هي القاديانية ص ٢١ ـــ ٢٢

ثم ادعى أنه مجدد ومحدث :

يقول القادياني في حمامه البشرى : (وكذلك أرسلتُ مجددا ومحدثا لآخر الزمان)[1] .

وقال كذلك : (واني كتبت في بعض كتبي أن مقام التحديث أشد تشبها بمقام النبوة ولا فرق الا فرق القوة والفعل وما فهموا قولي وقالوا ان هذا الرجل يدّعي النبوة والله يعلم ان قولهم هذا كذب بحت)[2] .

٢) ثم ادعى انه المهدي :

يقول في رسالة بعثها الى مشايخ الهند ومتصوفة أفغانستان : (وكما جعلني من الهادين المهديين جعلني أفصح المتكلمين)[3] . وقال في كتابه سر الخلافة : (الباب الثاني في المهدي ـــ أي نفسه ـــ الذي هو آدم الأمة وخاتم الأمة) ثم قال تحت ذلك : (ان المهدي هو مجدد الصلاح عند طوفان الطلاح ومبلغ أحكام رب الناس الى حد الايناس سمّي مهديا موعودا واماما معهودا وخليفة الله رب العالمين)[4] .

٣) وادعى أنه آدم :

يقول في تذكره (وحي المقدس) : (أردت أن استخلف فخلقت آدم ـــ سويته ونفخت فيه من روحي ـــ يقيم الشريعة ويحي الدين ولو كان الايمان معلقا بالثريا لناله)[5] .

٤) وادعى أنه عيسى بن مريم عليه السلام :

يقول في كتاب «تذكرة وحي مقدس» : (الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم)[6] .

---

(١) ص ١٤٩ للغلام نفسه

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٣

(٣) ص ٣٠٨

(٤) ص ٣٤ ـــ ٣٧

(٥) ص ٢٧٨

(٦) ص ٣٧٨

٥) وادعى أنه ظل نبينا محمد ﷺ :

يقول في رسالته «عذر» : (الحمد لله الذي جعلني مظهر الآيات وصيرني ظل سيّد الكائنات وجعل اسمي كاسمه بأنواع التفضيلات ــ فأتم النعمة عليّ لأحمده وأكون له أحمد تحت السموات ونضّر بي ايمان الناس ليحمدوني وأكون محمدا بين المخلوقات فأنا احمد وأنا محمد كما جاء في الروايات وأعطيت حقيقة اسمي نبينا فخر الموجودات كانعكاس الصورة في المرآة)[1].

٦) وادعى أنه ابراهيم عليه السلام :

يقول : (اني معك يا ابراهيم اني أنا ربك الأعلى اخترت لما اخترتك)[2]

٧) وادعى أنه داود :

يقول في تذكرة وحي مقدس : (يا داود عامل الناس رفقا وحسنا).[3]

٨) ثم ادعى أنه خير من نبينا محمد ﷺ :

يقول في قصيدة له وهو يتحدث عن نفسه وعن رسول الله ﷺ :

له خسف القمـــر المنيـــر وان لي   غسا القمـــران المشرقـــان أتنكـــر
وكـــان كلام معجـــز ايـــة له   كذلك لي قول على الكل يبهر)[4]

ويقول : (اني فضلت على العالمين قل اني أرسلت اليكم جميعا)[5].

٩) ثم ادعى أنه يتم اسمه ولا يتم اسم الله والله عزّ وجلّ يمشي اليه ويحمده :

يقول : (يا احمد يتم اسمك ولا يتم اسمي)[6] ينسب هذا الكلام الى الله جل وعلا، ويقول : (وحمدني من عرشه ومشى اليّ)[7].

---

(١) هذه الرسالة ضمن سلسلة تصنيفات احمد ص ٥٢٤٩

(٢) تذكرة وحي مقدس ص ٧٤٢

(٣) ص ١٠٩

(٤) في كتابه درّ ثمين ص ٢٦٦

(٥) تذكرة وحي مقدس ص ١٢٩

(٦) انجام اتهم ص ٥٠ ــ من تأليفه

(٧) ص ٧

(يحمدك الله ويمشي إليك)[1]

١٠) وأخيرا رأى في المنام أنه هو الله فأعاد خلق السماء والأرض وآدم من جديد :

يقول في تذكرة «وحي المقدس» : (ورأيتني في المنام عين الله وتيقنت انني هو ولم يبق لي ارادة ولا خطره... ونظرت الى جسدي فاذا جوارحي جوارحه وعيني عينه واذني أذنه ولساني لسانه أخذني ربي واستوفاني وأكد الاستيفاء حتى كنت من الفانين... وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول نريد نظاما جديدا سماء جديدة وأرضا جديدة فخلقت السموات والأرض أولا بصورة اجمالية لا تفريق فيها... وبعد الانتهاء من خلق الكون ـــ قال : ثم قلت الآن نخلق الانسان من سلالة من طين..)[2].

هذه هي دعاواه المضطربة.. تدل دلالة قوية على اختلال وهوس في قواه العقلية.. ومع هذا فقد كان له أتباع وأنصار!؟.

خامسا : ادعاؤه النبوة والرسالة :

أما ادعاؤه النبوة والرسالة فقد تكرر كثيرا في كلامه نثرا وشعرا.

يقول في كتاب الهدى والتبصرة لمن يرى : (وقالوا لست مرسلا بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فسوف يعلمون... وما كنت متفردا في هذا بل ما أتى الناس من رسول الا كانوا به يستهزئون وهلم جرًا الى ما تشاهدون)[3].

ويقول في تذكرة وحي «المقدس» : (انا أرسلنا أحمد الى قومه فأعرضوا وقالوا كذاب أشر)[4].

ويقول : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وتهذيب الأخلاق)[5] وأما ما جاء في شعره من ذلك فنحو قوله :

---

(١) ص ٦٢٩ تذكرة وحي مقدس
(٢) ص ١٩٥ ـــ ١٩٧
(٣) ص ٦
(٤) ص ٤٠٣
(٥) المصدر السابق ص ٤٠٦

(أخاطب جهرا لا أقول كخافت فاني من الرحمن أوحى وأخبر)[1]

وقوله :

(تخيّرني الرحمن من بين خلقه له الحكم يقضي ما يشاء ويأمر)[2]

ويقول :

(يا معشر الأعداء توبوا واتقوا والله انني مرسل ومقرب)[3]

ويقول :

(هل هذه من قسم عمل منجم اواية عظمى عظيم الشأن
هذا حديث من نبي مصطفى كهف الانام وسيد الشجعان)[4]

هذا جزء من كلامه الذي ادعى فيه النبوة والرسالة.

سادسا : نماذج من وحيه المزعوم :

سلك غلام احمد في تجميع وحيه ــ المزعوم ــ طريقا عجيبا فهو يعمد الى القرآن الكريم ويختزل منه كلمات أو آيات ثم يغير فيها شيئا يسيرا ويدخل عليها كلمات أخرى ثم يشير بها الى نفسه. وقد أتى بما يضحك الثكلى. من ذلك الخلط العجيب وهذه نماذج منها :

يقول : (واتل عليهم ما أوحى اليك من ربك ــ أصحاب الصّفة ــ وما أدراك ما أصحاب الصفة ــ ترى أعينهم تفيض من الدمع ــ يصلون عليك ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ــ وداعيا الى الله وسراجا منيرا) ٦٢٥ ــ تذكرة.

ويقول (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا مريم اسكن أنت وزوجك الجنة يا احمد اسكن أنت وزوجك الجنة نصرت وقالوا لات حين مناص ــ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله رد عليهم رجل من فارس ــ شكر الله سعيه أم يقولون نحن جميع منتصر ــ سيهزم الجمع ويولّون الدبر ــ انك اليوم لدينا مكين أمين)[5].

---

(١) در ثمين ص ٢٣٤
(٢) المصدر السابق ص ٢١٨
(٣) المصدر السابق ص ١٤٣
(٤) المصدر السابق ١٣١
(٥) تذكرة (وحي مقدس) ص ٦٢٥ ــ ٦٢٧ ــ ٦٢٨

ويقول : (سلام على ابراهيم ــ صافيناه ونجيناه ــ من الغمّ ــ تفردنا بذلك ــ فاتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ــ إنا أنزلناه قريبا من القاديان ــ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل صدق الله ورسوله)[1] .

وقد ضم الى هذه الطريقة التي حاول فيها تركيب آيات قرآنية أو تقليدها بكلام من عند نفسه ــ ضم اليها كذلك بعض الأحاديث النبوية مع التغيير فيها مرة والاتيان بها كما هي مرة أخرى... وضم اليها كذلك بعض الأبيات الشعرية التي قيلت في صدر الاسلام... والى جانب ذلك كذلك ألفاظ لا يدري ما هي.

فمن الأحاديث : (الله أكبر خربت خيبر)[2]

ومن الشعر : (ان المنايا لا تطيش سهامها)[3]

ومن الألفاظ غير المفهومة (ايلي ايلي لما سبقتني ايلي آوس)[4]

وهذا الوحي المزعوم ــ قد أوحى اليه بعدة لغات وقد جمع كله في كتاب سمي «تذكرة» وتحت هذا العنوان (يعني وحي مقدس).

سابعا : عقائد القاديانية في الله :

ان القادياني يصف الله عزّ وجلّ بأوصاف لا تليق به سبحانه وتعالى من الجهل والأكل والصوم والتوقيع على الأوراق والتولد الى غير ذلك مما يتنزه عنه الله سبحانه وتعالى فيزعم أن الله قال له :

(يا نبيّ الله كنت لا أعرفك)[5] فهو هنا لم يكن يعرف القادياني.

وقال له كذلك :

(اني مع الرسول أقوم أفطر وأصوم)[6] فهو هنا يفطر أي يأكل ويصوم أي يكف عن الطعام.

أما كونه تعالى يوقع على الأوراق فاستمع الى هذا الكشف الذي ذكره القادياني حيث يقول :

---

(١) تذكرة ص ٦٣٧

(٢) تذكرة (وحي مقدس) ص ٢٩٥

(٣) المصدر السابق ص ٥٥٩

(٤) المصدر السابق ص ٩٤

(٥) ٥٨٨٩ تذكرة ــ وحي مقدس

(٦) ص ٦٥٤ ــ المصدر السابق

(أنا رأيت في الكشف بأني قدمت أوراقا كثيرة الى الله تعالى ليوقّع عليها ويصدّق الطلبات التي اقترحتها فرأيت أن الله وقّع على الأوراق بحبر أحمر وكان عندي وقت الكشف رجل من مريديّ يقال له عبد الله ثم نفض الرب القلم وسقطت منه قطرات الحبر الأحمر على أثوابي وأثواب مريدي عبد الله ولما انتهى الكشف رأيت بالفعل أن أثوابي وأثواب عبد الله لطخت بهذه الحمرة مع أنه لم يكن عندنا شيء من اللون الأحمر وإلى الآن هذه الأثواب موجودة عند مريدي عبد الله)[1].

فالقادياني قدم اقتراحات للتوقيع عليها.. وهو يؤكد أنها حقيقة ويعني بالكشف أنه كان في حالة تلقّي الوحي وعرض ما عنده على الله وقد كان مريده هذا الى جواره وهو غائب عنه في الكشف وحدث ما حدث ورأى آثار نفض الحبر على ثوبه...

ويزعم كذلك أن الله قال له : (اني مع الرسول أجيب أخطئ وأصيب)[2] ويزعم أن الله قال له كذلك : (أنت مني بمنزلة ولدي ـــ)[3] ومرة أخرى قال : (أنت مني بمنزلة أولادي)[4].

هذه بعض تلك الترهات التي نسبها القادياني الى الله عزّ وجلّ تمثل لنا مدى الاسفاف العقلي الذي تردى اليه.

ثامنا : نبوءاتـــه :

لما كان يزعم أنه يتلقى الوحي من السماء وأنه يتصل بالله عزّ وجلّ عالم السر وأخفى، وكان من عادة الأنبياء أنهم يخبرون الناس بما سيأتي في المستقبل بما علمهم الله عزّ وجلّ فان القادياني أراد أن يضاهي هؤلاء الانبياء ويقلدهم في ذلك الجانب فيخبر بما سيجد في بعض الأمور لعلها تصدق تلك النبوءة والا فلديه مجال للتأويل والاعتذار. وقد أطلق عدة نبوءات أخزاه الله عزّ وجلّ فيها وأخلف ظنه البليد فلم تقع كما أخبر ولم تصدق كما أراد.. وقد كان ذلك دليلا واضحا على كذبه وافترائه لولا أن القلوب المطموسة تعمى حتى عن المحسوس المشاهد... ونكتفي هنا بايراد أربع من نبوءاته تلك :

---

(١) حقيقة الوحي ص ٢٥٥
(٢) تذكرة ص ٦٥٣ ـــ ٦٥٤
(٣) تذكرة ص ٦٣٦
(٤) المصدر السابق ص ٤٣٦

(١) كانت هناك ابنة لأحد أقربائه تسمى «محمدي بيجوم» فأراد أن يتزوجها فلم يستجب له والدها ولكن القادياني زعم أن الله أخبره بأنه سيتزوجها ولو بعد حين، وأن الذي يقدم على زواجها غيره فانه يموت بعد فترة حددها القادياني وخوفا من عدم تحقق النبوءة الكاذبة فقد عرض على أبيها كل ممتلكاته ان زوّجه اياها، ولكن أباها زوّجها لغيره ولم يستمع الى عروضه تلك فماذا قال القادياني عند ذلك ؟ قال : (هذا صحيح بأن محمدي بيجوم ما زوجت لي ولكنها قطعيا سوف تزوج لي كما ذكر في النبوءة... وأن الناس قد استهزؤوا بي لعدم تحقق هذا النبأ الذي ما تنبأت به من عند نفسي بل أخبرت عنه بعد وحي من الله وأقول صدقا أنه يأتي يوم تنحني فيه رؤوس هؤلاء المستهزئين من الندم... وان المرأة لا تزال على قيد الحياة حتى ترجع اليّ وأنا أؤمن بهذا ايمانا جازما لأن وعد الله لا يتخلف)[١].

ولكنه هلك ولم يتزوجها وبقيت بعده مع زوجها وعاش زوجها بعد هلاك القادياني أكثر من أربعين سنة.[٢]

(٢) نبوءته بموت النصراني (عبد الله آتم» الذي تناظر مع القادياني في مدينة امراتسر بالهند سنة ١٨٩٣ م وخرجا منها متكافئين مع أن القادياني يدعي الوحي وهذا طبعا يعتبر هزيمة له فأراد أن يمسح ذلك العار فأطلق نبوءته هذه : (ما فتح على الليلة هو هذا بأني حينما تضرعت وابتهلت أمام الله عزّ وجلّ ودعوت منه بأنه يفصل في هذا الأمر فأعطاني آية بأن الكذاب يموت في خمسة عشر شهرا بشرط أن لا يرجع الى الحق والصادق يكرم ويوقّر وان لم يمت الكذاب في خمسة عشر شهرا من ٥ مايو سنة ١٨٩٣ م ولم يتحقق ما قلت فأكون مستعدا لكل جزاء يسوّد وجهي وأذلل ويجعل في جيدي حبل واشنق وأنا أقسم بالله العظيم أنه يقع ما قلت ولا بد له أن يقع)[٣]. وتمر فترة من أصعب الفترات وأحرجها ويأتي اليوم الموعود الذي يحدثنا عنه أحد أقطاب

---

(١) انجام اتهم ص ١٨٧ والقاديانية لاحسان الهي ص ١٧٢ وحاشية تذكرة ص ١٦٢

(٢) القاديانية لاحسان ص ١٧٢

(٣) الحرب المقدس ص ١٨٨

القاديانية بقوله : (جاء اليوم الأخير من المدة المعهودة لآتم ووجوه القاديانية مصفرة وقلوبهم مضطربة وبعضنا قامر المخالفين على موت عبد الله آتم، واليأس والحسرة سائدة والناس يصرخون في الصلواة بالبكاء داعين الله موته، وبلغ الصراخ والعويل الى حد أشفق المخالفون)[1].

فهل وقعت هذه النبوءة ؟ استمع الى ما جاء في رسالة بعثها صهر القادياني اليه حيث يقول فيها : (والآن ولم تتحقق هذه النبوءة وعبد الله آتم سالم صحيح حي ولم يمت ولا أظن أنه يمكن التأويل لهذه النبوءة ـــ المرسل محمد علي خان)[2]. فأراد القادياني أن يؤولها بأن عبد الله هذا رجع عن المسيحية ولكن النصراني كتب على ذلك في احدى الجرائد قال فيها : (أنا ألفت نظركم الى نبوءة غلام أحمد عن موتي وأخبركم بأني صحيح سالم وأني سمعت بأن غلام احمد يقول أني رجعت عن المسيحية فأعلن أن هذا كذب كنت مسيحيا ولا زلت مسيحيا كما كنت وأشكر الله على أنه جعلني مسيحيا)[3].

٣) وقد زعم أن الله عزّ وجلّ قد أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة ومات قبلها بسنوات. يقول في مواهب الرحمن : (فبشرنا ربنا بثمانين سنة من العمر)[4].
وولادته كانت عام ١٨٣٩ م أو ١٨٤٠ م ووفاته كانت عام ١٩٠٨م فمدة حياته اذن ٦٨ او ٦٩ عاما[5]، فأين بشرى القادياني؟!

---

(١) سيرة المهدي الموعود ص ٧ ليعقوب القادياني
(٢) مكتوب محمد علي القادياني الى غلام احمد المندرج في آينة حق نما ص ١٠٠ ـــ ١٠١ ليعقوب القادياني ـــ ذكره احسان الهي ص ١٦٦ في القاديانية
(٣) جريدة (وفا دار) اللاهورية بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٨٩٤ م ذكرها أحسان في القاديانية ص ١٦٧
(٤) ص ٢٣
(٥) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٣٤٠ ـــ ٣٤٤ ويراجع القاديانية لاحسان الهي ص ١٨٤ ـــ ١٨٥

ومن نبوءاته كذلك انه عندما ولد له ولد عام ۱۸۹۹م قال : (ان هذا الولد نور من نور الله ومصلح موعود وصاحب العظمة والدولة ومسيحي النفس ومشفي الأمراض وكلمة الله وسعيد الحظ وهذا يشتهر في أنحاء العالم وأطرافها يفك الاسارى ويتبرك به الأقوام) وبعد ثمان سنوات أي في عام ١٩٠٧ م هلك الولد وكذبت النبوءة كبقية نبوءاته الأخرى.[1]

تاسعا : الغــاؤه للجهــاد :

أهم شيء كان يفزع الانجليز هو الجهاد الاسلامي الذي يعلنه المسلمون لحربهم وقد أعلن القادياني الغاءه وانه لم يعد الوقت وقت جهاد بالسيف بل جهاد اللسان فقط مع التركيز على عدم جواز قتال الدولة البريطانية بالذات :

يقول (سيصول عليّ شرير أو ضرير ويقول ويحك أتحرم الجهاد وانا تنتظر المهدي الذي يسفك الدماء ويفتح البلاد ويأسر كل من أرى الكفر والعناد فالجواب ان هذه القصص ما ثبتت بالقرآن بل يأتي المهدي بوقار وسكينه لا كمجنون بالسيف والسنان)[2].

وقد بعث بكتاب له الى الأستاذ رشيد رضا ليقرضه فرد عليه في جريدته المنار وبيّن ضلاله وزيفه فكتب القادياني ردا على ذلك يقول فيه : (وأظن أنه استشاط من منع الجهاد ووضع الحرب والسيوف الحداد وأن الوقت وقت اراءة الآيات لا زمان سل المرهفات ولا سيف الا سيف الحجج والبينات فلا شك أن الحرب لاعلاء الدين في هذه الأوقات من أشنع الجهالات ولا اكراه في الدين كما لا يخفى على ذوي الحصات)[3].

ويقول كذلك : (ولا يجوز عندي أن يسلك رعايا الهند من المسلمين مسلك البغاة وأن يرفعوا على هذه الدولة المحسنة سيوفهم أو يعينوا أحدا في هذا الأمر ويعاونوا على شيء أحد من المخالفين بالقول أو الفعل أو الاشارة أو المال أو التدابير المفسدة بل هذه الأمور حرام قطعي ومن أرادها فقد عصى الله ورسوله وضل ضلالا مبينا)[4].

---

(١) ترياق القلوب ص ٤٣ للقادياني ص ٤٣ وسيرة المهدي ص ٤٠ / ذكر ذلك احسان الهي ص ١٧٨ ـــ ١٧٩ في القاديانية

(٢) الهدى والتبصرة ص ٢٣

(٣) المصدر السابق ص ٢١ الحاشية

(٤) حمامة البشرى ص ١٤١ ـــ ١٤٢

ب ـ الـرد على القاديانيــة

هذه هي القاديانية.. رئيسها المتنبيء لها.. أخلاقه.. تعاليمه.. تنبؤاته... عقيدته... مهمته.. والمتأمل لهذه الحركة لا يرى تحتها شيئا قدمته للبشرية وهي بجملتها من أولها الى آخرها لا تحتوي الا على جانبين فقط..

الأول : هو ادعاء القادياني للنبوة والاتصال بالوحي والاساءة الى كل من لم يؤمن به وأن الله سينصره وسيخذل أعداءه... الى آخر تلك الأمور التي لا تخلو صفحة من صفحات كتبه.. بل لا يكاد يخلو سطر واحد منها الا وهو يتحدث عن هذا الموضوع.

الثاني : فلو تنازلنا لهذا المتنبئ وسلمنا له بالنبوة فأي شيء سيقدمه لنا ؟! هل سيقدم دينا جديدا يشتمل على عقيدة واضحة شاملة وشرع كامل شامل بحيث يغنينا عما سواه ـــ معاذ الله ـــ ؟؟ لا.. انه سيقدم أمرا واحدا فقط ذلك الأمر هو لبّ عمله وأسّ دعوته، وهو : الغاء الجهاد ودعوة المسلمين للخضوع لأعدائهم والذلة للانجليز بالذات لأنهم هم الذين أرسلوه ـــ كما يبدو ـــ وهذا هو الجانب الثاني من دعوته.. دعوى كبيرة عريضة يترتب عليها كفر وايمان.. نتيجتها الغاء الجهاد وذلة المسلمين لأعداء الاسلام.. انها ضلالة حمقاء أقدم عليها ذلك المخذول المأجور نعوذ بالله من خذلانه..

ولا بد من وقفة قصيرة مع تلك الدعوة أو الديانة المحدثة لترى ما فيها من اضطراب وتناقض وتهافت لئلا يبقى عذر للمخدوعين بها.

أولا : إن أول ما يسترعي الانتباه في حياة القادياني هو حيرته في نسبه واضطرابه في أصله كما تقدم :

فآباؤه يدّعون أنهم «مغوليون» وهو يتّهم آباءه في ذلك وأنهم لم يصدقوا ويدّعي أن أصله فارسيّ فيقول : (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله رد عليهم رجل من فارس شكر الله سعيه)[1] فلماذا يدعي ذلك ؟؟

انه يريد أن يوجد لنفسه سندا أولا حتى يقيم دعواه على أساس يستطيع به خداع المسلمين على انها دعوى صحيحة ويتضح ذلك القصد من خلال كلامه :

---

(١) تقدم في نماذج من وحيه

فهو يقول : (خذوا التوحيد يا أبناء الفارس ــ إنا أنزلناه قريبا من القاديان...)[1] فهو هنا يشير الى الحديث الصحيح الذي ذكره النبي ﷺ وهو : (لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو من أبناء فارس حتى يتناوله)[2] ولقد أشار اليه القادياني كذلك في قوله : (لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله).

فهذا السند الأول الذي لمّح به ويحاول ادعاء الفارسية لأجله فهل فيه سند له ؟ ان الحديث لم يقل (لو كان الوحي عند الثريا لذهب به رجل من فارس) انه قال (لو كان الدين)[2] الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ.. من غير احداث نبوة اذ في دينه انه لا نبي بعده.. ولهذا نراه يشير الى الحديث من غير تصريح لأنه يعلم أن ذلك لا يمكّنه من دعواه تلك.

ولكن يبدو أن هذه المحاولة قد فشلت فانتقل الى غيرها وترك النسبة الفارسية وادعى أنه من آل بيت النبي ﷺ وان احدى جداته كانت من آل البيت.. أراد بذلك ان يمهد لدعوى «المهدية» والتي قد بشرت بها السنة ــ كما تقدم ــ وقد فعل وادعى أنه المهدي.. ولكن المهدي لا يكون مبتدعا ولا ناسخا لشيء من دين الاسلام.. ولا يدعي الوحي ولا النبوة.. اذ هو أحد أفراد الأمة يكرّمه الله بوظيفة الاصلاح في آخر الزمان...

وهذه الدعاوى الثلاث لم تف له بالغرض.. وهو ممن تربى على كتب التصوف الضالة وخاصة كتب «ابن عربي» الذي رأينا طرفا من أفكاره من قبل.. فزعم القادياني ان مما قرأه في كتب ابن عربي انه بشّر بمجيء ولد صيني يدعو الى الله فادعى انه هو وقال : (ان محي الدين بن العربي تنبأ ؟! في كتابه «فصوص الحكم» حيث قال : «يولد في آخر الزمان ولد يدعو الى الله ويكون مولده بالصين ولغته لغة بلده فانا هو المقصود لأني صيني الأصل)[3] وهذه دعوى رابعة في نسبه كما ترى.

---

(١) تذكرة ص ٥٢

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٧٢

(٣) حقيقة الوحي ص ٢٠٠ / عن القاديانية لاحسان ص ١٤٦ وقد بحثت عنها في كتاب الفصوص فلم أجدها.

ويبدو أن الرجل أراد أن يخدع المسلمين بدعوى المهدية التي بشر بها نبيهم ﷺ ويخدع أهل التصوف بدعوى أن شيخهم تنبأ له وأخبر به قبل مجيئه..

فما هو نسبه يا ترى ؟؟ هل هو مغولي كما ذكر آباؤه ؟ أم هو فارسي كما زعم أنه أوحي إليه بذلك ؟ ثم كذّب نفسه بعد ذلك وادعى أنه صيني ؟! أم أنه عربي من آل البيت ؟ انه اضطراب عجيب وحيرة عاشها ذلك المتنبىء...

وهذه أولى صور الاضطراب والحيرة في حياته.

ثانيا : دعاوى القادياني :

أما دعاواه الكاذبة فقد رأينا أنها تزيد على عشر دعاوى. وهو مظهر جديد من مظاهر حيرته واضطرابه.. فقد ظهر مدافعا عن الاسلام.. ثم انتهى أخيرا الى دعوى النبوة ونزول الوحي عليه، بل بلغ به الهوس حتى وصل الى تلك الرؤيا المنحطة التي رأى نفسه فيها أنه هو «الله» وأراد تغيير خلق الكون بأسره.. يا لها من سخافة حمقاء وصل اليها ذلك الفكر الضال.

وان هذا الاضطراب يكشف لنا عن مدى ما يعانيه في نفسه من تمزقات وتناقضات ولعل ذلك ناتج عن حرصه الشديد على اقناع جميع الطوائف الاسلامية بصدق ادعائه.. فأراد أن يقنع أهل السنة بدعوى التجديد والمهدي.. وأراد أن يقنع أهل التشيع كذلك بأنه من أهل البيت والمهدي المنتظر. وأراد أن يخدع أهل التصوف بتلك النبوءة الكاذبة التي زعم أنها من كلام ابن عربي، ولابن عربي في نفوس الصوفية المكانة التي لا تلحق.

والدعاوى الأخرى.. التي يدعي فيها أنه ظل محمد ﷺ.. أو أنه آدم.. أو ابراهيم.. أو غير ذلك هذه ثمرة الفكر الصوفي المتمثل في فكر ابن عربي الذي يزعم أن الله يبعث على قدم كل نبي وليا من الأولياء تتمثل فيه صفاته[1] .. والقادياني رغم تعدد الدعاوى يركز على ظلّيته لرسول الله ﷺ وذلك أثناء خطاباته للصوفية، فقد جاء في رسالته التي بعث بها

---

(١) الفتوحات المكية ج ٤ ص ٧٧ — ٨٨

الى مشايخ الهند ومتصوفة أفغانستان ما يلي : (ان الله وتر يحب الوتر ولأجل ذلك قد استمرت سنته أنه يرسل بعض الأولياء على قدم بعض الأنبياء فمن بعث على قدم نبي يسمى في الملائكة باسم ذلك النبي الأمين وينزل الله عليه سر روحه وحقيقة جوهره وصفاء سيرته وشأن شمائله.. الخ[1] فهو يزعم أنه بعث على قدم رسول الله ﷺ.

والقادياني في هذه النزعة يتابع شيخه ابن عربي اذ قد تحدث عن هذه الموضوعات بشكل أوسع في كتابه الفتوحات المكية.

ولا ندري كيف عرف القادياني هذه السنة الالهية مع الأنبياء وهي أن الله يرسل أولياء على قدم الأنبياء ؟؟ فهو شيء لم يرد في كتاب الله عزّ وجلّ ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ولا غيرهم الا ما زعمه ابن عربي الذي لا يقل عنه في هذا الموضوع ضلالا وبهتانا على الله ورسوله...

ولو سلمنا له هذه الدعوى. فمن يا ترى الذي أرسل على قدم محمد ﷺ. أهو شيخه ابن عربي أم هو ؟

واذا كان حسبما يقول القادياني : (ان الأنبياء لهم ساعات يتزلون فيها الى الأرض فيريهم الله الفساد فيغار كل نبي على أمته فينزعج ويدعو الله أن ينزله على الأرض ليهيء لهم من وعظ رشدا فيخلق له نائبا يشابهه في جوهره وينزل روحه بتنزيل انعكاس على وجود ذلك النائب ويرث النائب اسمه وعلمه فيعمل على وفق ارادته عملا — فهذا هو المراد من نزول ايليا في كتب الأولين ونزول عيسى عليه السلام وظهور محمد نبينا ﷺ في المهدي خلقا وسيرةً ! وما من محدث الا له تصيب من تدلّيات الأنبياء قليلا كان أو كثيرا)[2] .

اذا كان هذا الزعم صحيحا فلماذا لم يخلق أحد شبيهاً به ﷺ من قديم الزمن اذ قد تعرضت الأمة لفتن كثيرة، ومصائب عظيمة، وقد كانت الأمة وحدها هي التي تغالب تلك الأحداث ولم نسمع أن أحدا ادعى قبل القادياني انه أرسل شبيها برسول الله ﷺ لينقذ الأمة لأن الرسول نزل الى الأرض فانزعج وأرسله !!

---

(١) ص ٣٧٦

(٢) رسالة الى صلحاء العرب ص ٤٣٩ — ٤٤٠

ثم ما هو الاصلاح الذي جاء به هذا المهدي المزعوم والمسيح الموهوم ؟! لقد رأينا من قبل ان كل ادعاءاته وكتاباته وأقواله وأفكاره لا تخرج عن أمرين : دعوى النبوة والرسالة ثم الغاء الجهاد الاسلامي.. فهل هذا هو الاصلاح الذي أرسل القادياني لادائه ؟! اللهم انه نعم اذا ــ اعتبرنا المرسل هم الانجليز ــ فقد قدم لهم خدمة عظيمة ودعا المسلمين لطاعتهم والذلّة لهم.. وأما ما عدا هذا فقد فرّق المسلمين وشغلهم ببعضهم وأساء الى غير المسلمين الذين اعتنقوا دينه بأن أضلّهم وقادهم الى سخط الله وعقابه..

ثم ان هذه الدعاوى.. ما الذي يمنع أن يدّعيها أي شخص آخر منحرف ثم يتقدم بها الى الناس ما دامت الدعاوى تقبل بغير برهان ؟ كما هي حال المتنبىء القادياني.. والا فأيّ برهان على صدق دعواه أو دعاواه تلك ؟! لا شيء الا الشتم والسب والتكفير والخداع الكثير...

بل إن الأدلة الشرعية والعقلية كلها تنادي ببطلانها وضلالها، يزيد في ضلالها تلك الطّامة الكبرى التي تردّى فيها ذلك المسكين أخيرا حيث تخيل نفسه أنه هو البارىء سبحانه وتعالى وأنه أخذ يعيد النظر في المخلوقات ويريد أن يستبدلها بمخلوقات جديدة كما يزعم فخلق سماوات جديدة وأراضين جديدة وخلق آدم من جديد يا لها من عقلية قد عبثت بها الشياطين وأردتها الى ذلك المستوى المخجل الذي يأنف من نزوله كل من لديه مسكة من عقل أو رائحة من دين..

هذه العقلية هي التي زعمت أنها تتلقى الوحي من السماء وأن الله عزّ وجلّ قد اتصل بها لاصلاح العالم وتجديد أمر الدين.

ثالثا : أما أخلاقه بعد أن تعرض لاستنكار العلماء لدعواه تلك فقد كانت في درجة هابطة لا ينزلق اليها أقل الناس شأنا فما بالك بأدعياء الوحي ؟ واستمع الى تلك الشتائم والاتهامات التي يقذف بها هذا النبي المزعوم من يدعي الاتصال بوحي السماء والتي لم نر واحدة منها في قصة من قصص الأنبياء كما يحدثنا عنها القرآن الكريم ــ وحاشاهم عن ذلك.

هذه هي الألفاظ التي استعملها مع خصومه :

خنزير.. حمر تشهق.. كرقص بغيّة.. كلب.. حمار ينهق.. ما تقّ الا كدجاجة.. رجال مخنّثون.. فضلة النوكى..

يا لهذا الأدب النبوي القادياني !! لو عرضت هذه الألفاظ على محكمة شرعية لناله حد القذف.. ولكنه كان آمنا من حد الله لعدم وجود الخلافة الاسلامية التي تؤدب السفهاء وتقيم بينهم حدود الله. بل قد عرضت احدى القضايا المتعلقة بذلك على احدى المحاكم وأدين فيها بسوء الخلق لأنه استعمل فيها ألفاظا سيئة فأخذ عليه التعهد كما حدّث عن ذلك بنفسه حيث قال : (أنا عاهدت أمام نائب الحاكم بأني لا استعمل بعد ذلك ألفاظا سيئة)[1].

ومما ينضم الى قاموس تلك الألفاظ القاديانية أنه كتب كلمة «لعنة الله» ألف مرة في أربع صفحات في آخر كتابه «نور الحق» ثم جعلها على مخالفيه !! وانها لمهزلة تزري بعقل صاحبها وبعقول أتباعه.

وانّ هذا كله يهون مع موقفه من نبيّ الله عيسى عليه السلام واتّهامه في نسبه وخلقه بأن أمهاته زانيات ــ استغفر الله عزّ وجلّ وحاشاه من ذلك ــ وانه هو كان كذلك وأنه خمّار ــ وسيء السيرة كذلك .

يقول في ذلك : (ان عيسى كان يميل الى المومسات لأن جداته كنّ من المومسات)[2]

ويقول كذلك : (ان عيسى ما استطاع أن يقول لنفسه أنه صالح لأن الناس كانوا يعرفون ان عيسى رجل خمّار وسيء السيرة)[3] .

أي خلق هذا الذي يتحلى به القادياني ؟ وأيّ عقل هذا الذي يسفّ في هذه الحماقات والسفاهات التي لا تليق بآحاد الناس بله ان يتقمصها رجل يدعي الاتصال بخبر السماء.

---

(١) مقدمة كتاب البرية ص ١٣ للغلام نفسه / عن القاديانية لاحسان ص ١٤٤

(٢) ضميمة أنجام آتم حاشية ص ٧ للغلام نفسه

(٣) ست بجن في الحاشية ص ١٧٢ للغلام نفسه كلاهما عن القاديانية لاحسان ص ١٤٣

رابعا : اذا نظرنا الى وحيه المزعوم فاننا نراه قد وصل اليه بعدة لغات :

العربية.. والانجليزية.. والأردية.. والفارسية.. ولغة أخرى غير معروفة..!! وقد جمع هذا كله في كتاب سماه أتباعه «تذكرة» وفسروه بقولهم : «يعني وحي مقدس» تحت العنوان.

وقد خلط بين هذه اللغات المختلفة فترى الصفحة الواحدة مملوءة بعدة لغات... أسطر منها بالأردو ثم جملة واحدة بالعربي ثم يعقبها لغة أخرى عدة أسطر.. وهكذا كل صفحة. ولنأخذ صفحة من صفحات ذلك الكتاب مثلا : ص ٣٢

سطران بغير العربي ثم جملة عربية هي (اشكر نعمتي رأيت خديجتي) ثم ستة أسطر غير عربية ثم جملة فيها : (الحمد لله الذي جعل لكم الصهر والنسب) ثم بقية الأسطر غير عربية... وهكذا بقية الصفحات.

ونحن هنا سنناقش ما ورد فيه من العبارات العربية : وهي مزيج من :

القرآن الكريم

والأحاديث النبوية

والشعر العربي

وكلام لا يدري ما هو..

فأما الآيات التي أخذها من القرآن فهي أكثر ما في ذلك الوحي المزعوم بعضها نقله كما هو نحو قوله : (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) [١] وقوله : (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ــ قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيّا) [٢]. وقوله : (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع يولون الدبر)، وقوله : (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)، وقوله : (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضّوا من حولك) [٣] الى غير ذلك من الآيات.

---

(١) ص ٦٨ تذكرة / وهي في سورة الانسان آية ١

(٢) ص ٧٢ تذكرة / وفي في سورة مريم آية ٢٣

(٣) ص ٧٥ وهي في سورة القمر ضاية ٤٤ وآية ٢ وسورة آل عمران آية ١٥٩

أما تحريفه للآيات فكثيرة منها الآية المتقدمة التي في أم عيسى مريم عليها السلام طبّقها على نفسه فقال (فأجاءه المخاض الى جذع النخلة قال يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)[١] . وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس وافتخارا للمؤمنين)[٢] ويقول (ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بشفاء من مثله)[٣].

وأما الأحاديث :

فمنها ما جاء به كما هو نحو قوله : (الله أكبر خربت خيبر)[٤] فهذا من كلام رسول الله ﷺ في غزوة خيبر حيث قال : (الله أكبر خربت خيبر إنّا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)[٥] .

ومنها ما حرّفه وغيّر فيه نحو قوله : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكن من الصالحين الصدّيقين)[٦] .

فهو حديث جاء عن رسول الله ﷺ ماعدا الزيادة الأخيرة من قوله (وكن... الخ)[٧] .

وأما الشعر :

فقوله (طلع البدر علينا من ثنية الوداع)[٨] فهو من مطلع قصيدة قالها الأنصار رضي الله عنهم عند مقدم رسول الله ﷺ المدينة. وهي :

طلع البدر علينا　　　من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا　　　ما دعا لله داع[٩]

---

(١) ص ٧٣

(٢) ص ٣٦٥ / وهي في سورة آل عمران آية ١١٠

(٣) ص ٦٠٩ / وهي في سورة ــ البقرة آية ٢٣

(٤) ص ٢٩٥

(٥) هذا الحديث أخرجه البخاري ج ٥ ص ١٦٧ ومسلم ج ٣ ص ١٤٢٦ في غزوة خيبر عن أنس ابن مالك رضي الله عنه

(٦) ص ٢٤٥

(٧) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ج ٨ ص ١١٠

(٨) تذكرة ص ٥٦٣

(٩) تاريخ البداية ج ٣ ص ١٩٧

وأما قوله : (عفت الديار محلها ومقامها) وقوله : (ان المنايا لا تطيش سهامها)[1].

فهما بيتان من قصيدة لبيد بن ربيعة المشهورة وهي من المعلقات ومطلعها :

(عفت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبّد غولها فرجامها)[2]

فقوله الأول هو شطر البيت الأول من هذه القصيدة ـ الجاهلية ـ مع تغييره في اللفظ.. اذ في قوله (ومقامها وفي القصيدة (فمقامها)وقوله الثاني هو شطر البيت التاسع والثلاثين من القصيدة الذي هو :

(صادفن منها غرّة فأصبنها   ان المنايا لا تطيش سهامها)[3]

والقادياني يروي هذا البيت مرة أخرى مع التحريف فيه فيقول : (ان المنايا قد تطيش سهامها)[4] وهذا في غاية الحمق وسوء المعتقد اذ المنية وهي الموت لا تطيش عن أحد وهي بقدر الله عزّ وجلّ وقد كان لبيد في قصيدته الجاهلية خيرا منه اذ عرف أن المنية لا تطيش ولا تخطيء.

وأما الكلام الذي لا يدرى ما هو فما تقدم وهو : (ايلي ايلي لما سبقتني ايلي اوس) فأي شيء هذا يا ترى ؟ الله أعلم.

هذه هي مجموع ما أوحى به الى القادياني خليط من كل شيء. ويبدو أنه كان يتكلم بكل ما يأتي على لسانه ويدّعي أنه وحي.. فما دام أن في عالم البشر من لا يفرق بين الرشد والغي، والعقل والجنون فليقل ما شاء، وليفعل ما أراد..

خامسا : أما عن تنبؤاته فالواقع أن علم الغيب لا يعلمه أحد من البشر ولا يخاطر بالتحدث عنه عاقل الا من قبيل الحدس والظن. أما الأنبياء الذين يتصلون بالله سبحانه وتعالى فانهم يتحدثون عن ذلك وهم واثقون من تحقق ما يخبرون به، ويقع موافقا لما أخبروا به لأنهم يتلقون ذلك من الله عزّ وجلّ الذي يعلم السر وأخفى.

---

(١) ص ٥١٧ و ص ٥٥٩

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات ج ١ ص ٣٩٩

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٩٩

(٤) تذكرة ص ٦٧٢

ولكن القادياني الذي يزعم الاتصال بالله عزّ وجلّ وأنه يتلقى منه الوحي فقد اقتحم ذلك الميدان وخاطر بنفسه فيه، وأخبر بوقوع تلك النبوءات التي لم يتحقق منها شيء..

فقد تنبأ بموت ذلك الرجل النصراني فلم يمت، فحاول أن يخدع الناس بأنه شرط الموت بعدم عودة النصراني الى الحق ولكن النصراني تاب فلم تتحقق النبوءة، فرد عليه النصراني بما فضحه وأظهر كذبه.

ثم تنبأ بزواجه من تلك المرأة.. وأن الذي يتزوجها غيره يموت.. فلم يتزوجها هو ولم يمت زوجها..

ثم تنبأ بأنه سيولد له ولد ذكر فولدت زوجته بنتا ولم تأت بولد..

ثم تنبأ كذلك بعدها بأنه يولد له ولد فكان خلاف ما ذكر.

ثم تنبأ أنه يتزوج نسوة أخريات ويولد له أولاد فلم يتزوج بعد هذه النبوة ولم يولد له.

وتنبأ أن ولده مبارك احمد يكبر ويكون مصلحا وصاحب العظمة.. ولكن الله أخزاه فمات بعد ثمان سنوات.[1]

..وهكذا.. وهكذا.. كلما تنبأ بنبوءة واحدة أكذبه الله فيها وكان خلاف ما ذكر.. فأيّ نبوّة هذه التي تتحدث باسم الله ؟! انها نبوءات شيطانية أوقعه فيها غباؤه وبلادته والا لو كان عاقلا لما عرّض نفسه الى تلك المجازفات.. ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه للناس حتى لا يبقى لهم على الله عزّ وجلّ حجة الا الذين ظلموا منهم.

وهذه التنبؤات التي وقعت له في حياته فلم تصدق لا يزال التاريخ القادياني يحفظها ويحاول تأويل بعضها خروجاً من ذلك الحرج، فهي شهادة واضحة بكذب صاحبهم. ولكن الضلال اذا تمكن من انسان أورده المهالك، وأخفى عليه الحقائق واستمع الى أحدهم وهو يبرر عدم وقوع أول نبوءة له ظنا منه أنه سيأتي من النبوءات الأخرى ما يمسح عن صاحبه عار تلك الحادثة. يقول محمد علي اللاهوري — أمير الفرع القادياني بلاهور — عن تلك النبوءة : (هذا صحيح بأن امامنا قال إن محمدي بيجوم تزوج له وصحيح أنها ما زوّجت له ولكنه مع ذلك لا ينبغي أن يكذّب الرجل لنبوءة واحدة وتترك النبوءات الأخرى التي تحققت...)[2]... انها مهزلة من ذلك الزعيم القادياني يبرر بها كذب نبوءة صاحبه.. اذ

---

(١) يراجع كتاب القاديانية لاحسان ص ١٧٥ — ١٨٥

(٢) مقال له في جريدة قاديانية تسمى (بيغام صلح ١٦ يناير ١٩٢١م)

النبي الذي يخبر عن الله بأمور الغيب لا يمكن أن يكذب منها ولا مثقال ذرة لأنه لا يتكلم من عند نفسه.. فلا تكون المسألة كهانة اذا صدق أكثرها قبل منه ويعفى عن البعض الآخر .. لا .. لا .. انها نبوّة يتوقف عليها ايمان وكفر، ووجود الشك في جزء منها يعرّضها للطعن في الله عزّ وجلّ أو الطعن في ادّعاء صاحبها... وبهذا يكون القادياني انسانا مفتريا يعتمد على المصادفات التي يقول أصحابها اكذب مائة كذبة لعله تصدق كذبة واحدة... وهذا الجانب يكفي أن يكون دليلا على كذبه ودجله.

سادسا : لم تكن هذه العقيدة — أي اعتقاد نزول الوحي عليه هي عقيدة الغلام القادياني في أول أمره اذ كان يقول قبل ادعائه النبوة (ولا يجوّز القرآن أن يأتي نبي جديد أو قديم بعد خاتم النبيين، فان الرسول لا يتلقى علم الدين الا بواسطة جبريل وان باب نزول جبريل بسلسة وحي الرسالة مقفل، ومن الممتنع أن يأتي الرسول بدون أن تكون سلسلة وحي الرسالة باقية)[1].

ويقول (من سوء الأدب والوقاحة والجسارة غير المحمودة أن يترك أحد نصوص القرآن الصريحة ويتبع الأفكار الركيكة، ويعتقد أنه سيأتي نبيّ بعد خاتم النبيين وأن يبدأ سلسلة وحي النبوة بعد انقطاع وحي النبوة)[2].

ويقول : (فان جوّزنا ظهور نبيّ آخر بعد نبينا ﷺ فقد جوّزنا انفتاح باب النبوة بعد انغلاقه وهو غير صحيح كما هو ظاهر للمسلمين. وكيف يأتي نبيّ بعد نبينا ﷺ وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله الأنبياء على نبوته)[3].

ثم نراه فيما بعد يقول : (وقالوا لست مرسلا بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه فسوف يعلمون... وما كنت متفردا في هذا بل ما أتى الناس من رسول الا كانوا به يستهزئون وهلّم جرّا الى ما تشاهدون)..

---

(١) ازالة الأوهام للميرزا غلام ص ٥٧٧

(٢) ازالة الصلح للميرزا ص ٦١٤ ذكر ذلك في كتاب ما هي القاديانية ص ٣٦ للمودودي

(٣) حمامة البشرى للميرزا غلام احمد ص ٣٤

فما الذي طرأ على القادياني بعد حتى ادعى ما يخالف اعتقاده السابق ؟ يبدو أن باب الوحي الانجليزي هو الذي انفتح عليه مؤخرا وذلك ما يصوره لنا هو بنفسه حيث يقول : (اني رأيت ملكا في صورة شاب انجليزي ما تجاوز عمره من عشرين سنة وهو جالس على كرسيّ وأمامه منضدة فقلت له إنك جميل جدا فقال : أي نعم)[1].

ومن الهاماته بالانجليزية ما يلي :

I love you ـــ يعني أنا أحبك

I am with you ـــ أنا معك

I shall help you ـــ أنا أساعدك

ويذكر انه ارتجف جسمه ثم الهم في الانجليزية هذه العبارة :

I can what I will do [2]

أي أنا أستطيع أن أفعل ما أريد ـــ ثم قال : ففهمت التلفظ واللهجة كأنه انكليزي يتكلم عند رأسي..[3]

نعم انه انجليزي وليس شبيها به.. ويبدو أن هذا الانجليزي ماهر في طريقة الايحاء.. وهذا لا يخلو من أحد أمرين : اما أن يكون هذا الانجليزي قد استعمل معه طريقة التنويم المغناطيسي أو الايحاء النفسي، واما أن يكون قد أوحى اليه شفويا من غير أي تأثير آخر..

اذ «ملك» على صورة انجليزي.. وعلى كرسي ومنضدة.. هذا مكتب ارسال الوحي البشري لا الايحاء الرباني. ثم يقول له أنت جميل جدا فيجيب أي نعم.. أهذا موقف وحي تهتز له الأعضاء ؟ أم موقف تغزّل وتظرّف ؟!

---

(١) تذكرة ص ٣١

(٢) تذكرة ص ٦٤ ـــ ٦٥

(٣) ذكر ترجمتها احسان الهي ـــ القاديانية ـــ ص ٢٥

انها مهزلة عاشها ذلك المسكين... وانني لا أستبعد أن يكون الانجليز قد استخدموا معه التنويم المغناطيسي وأوهموه أن ذلك من وحي السماء.[1] وهو يصدقهم عند ما يرى نفسه في غيبوبة ويسمع الأصوات الانجليزية وهو في احد مكاتب الادارات الانجليزية، فيزيده ذلك ايهاما على ايهامه.. ويظن أنه وحي من السماء بلغة انجليزية..

لعل المستقبل يكشف عن ذلك في مذكرات الانجليز وهم في الهند... ولكن القادياني يعترف في مواطن كثيرة أن هذه الدعوة من غرس الانجليز حيث ذكر في عريضة قدّمها لأحد أمراء الانجليز يخاطبهم فيها عن دعوته وجماعته ثم يقول : (ما غرسها الا أنتم).

هذه شهادته بنفسه ويؤيدها عشرات الرسائل والاعترافات التي سجلها هو في كثير من كتبه، وسنرى طرفا منها فيما يأتي ــ ان شاء الله.

سابعا وأخيرا : فان عمالته لبريطانيا تبدو في مواضع كثيرة من كتاباته وفي أكثر من خطاب بعثه الى الحكومة الانجليزية. ومنها خطابه الآتي الذي يقول فيه :

(ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنّا من خدامها ونصحائها ودواعي خيرها من قديم وجئناها في كل وقت بقلب صميم وكان لأبي عندها زلفى وخطاب التحسين ولنا لدى هذه الدولة أيدي الخدمة ولا نظن أن تنسها في حين ــ وكان والدي الميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد القادياني من نصحاء الدولة وذوي الخلة وعندها عن أرباب القربت... بل ثبت اخلاصنا في أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكمين.

وتعلم الدولة أن أبي كيف أمدّها في حين محاربات مشتدة الهبوب وفتن مشتطّة اللهوب وانه أعطا الدولة خمسين خيلا مع الفوارس مددا منه في أيام المفسدة وسبق السابقين في امدادات المال...) ثم استرسل بذكر خدمة ابيه وكذلك أخيه بعد موت أبيه الى أن قال : (ثم بعد وفاتهما قفوت أثرهما واقتديت سيرهما) ــ وذكر عصرهما ــ ثم اعتذر عن وجود المال الذي يقدمه مساعدة لها على غرار سلفه وأنه سخر لخدمتها قلمه يقول : (فقمت لامدادها بقلمي ويدي).

(١) ذكر الأستاذ وحيد الدين خان أن هناك من (يستطيع أن ينقل اليك كلمات أو خواطر لست على علم بها) ثم قال : (انها عملية لا تستعمل فيها أية وسائل ولا يشعر بها غير عامل الاشراق وصاحبه) أي الذي يبث المعلومات والشخص الذي يتلقاها فقط. ص ١٠٨ ــ كتاب الاسلام يتحدى.

ثم قال : (فانظروا يا أولي الأبصار لم فعلت هذه الأفعال ولم أرسلت هذه الكتب التي فيها منع شديد من الجهاد لهذه الدولة في ديار العرب وغيرها من البلاد)[1].

أي رجل شريف هذا الذي يفخر بخدمته لأناس هم أعداء الله ورسوله ثم هم ظالمون مغتصبون جاؤوا من بريطانيا واقتحموا بلاد الهند فأذلوا أهلها وتسلطوا على خيراتها وأرزاقها.. ثم يفخر هذا المتنبىء انه ابن أسرة خادمة لهؤلاء الكفار الظلمة والله عزّ وجلّ يقول : (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)[2] فهذا الركون، فما بال المساعدة والمعاونة.. ان هذا الظلم الصارخ الذي أزعج المواطنين فلم يهنوا ولم يذعنوا بل قاوموه بكل طاقاتهم، وشهروا السلاح في وجوه الغاصبين يطالبونهم بالجلاء.. ان هذا الظلم الذي ينكره أقل البشر لم يهز المتنبىء القادياني بل لا يرى أنه ظلم فأي نبوة هذه التي تبارك الظلم وتمجد الظالمين وتعينهم على ظلمهم؟! ولكن اذا عرف السبب بطل العجب.. ان السبب في ذلك المسخ في عقل القادياني انه (غرسة من غراسهم) غرسوها وغذوها بغذاء الظلم وأموال الظالمين فلا غرابة اذن..

وإلا فإننا نرى الاحساس بالظلم والثورة في وجهه حتى من الحيوانات التي لا تعقل ولا تفكر.. فبمجرد ان يعتدي حيوان آخر على مسكنه أو أولاده أو رزقه فانه يحول بينه وبين ذلك وتحدث بينهم الصراعات والمعارك لا لشيء الا للاحساس بالظلم فاذا ما فقد هذا الاحساس في انسان من الناس فانه يفقد انسانيته.. بل وينحدر الى أدنى درجات المخلوقات.. بله ان يكون متصلا برب الأرض والسموات..

هذه هي القاديانية.. على ضوء مصادرها هي، وعلى ضوء ما كتبه عنها علماء الأمة.. لم نجد فيها ما يستحق المدح والثناء لا في حياة منشئها ولا في محتويات أصولها ومبادئها.. الا ذلك الخلط والسفه.. والتناقض والتهافت..

---

(١) ضمن كتابه «نور الحق» ص ٢٦ / ٣١

(٢) سورة هود آية ١١٢

دعاوى باطلة..

وعقائد فاسدة..

وهذيان مخلوط من كل شيء..

ونبوءات كاذبة..

وعمالة واضحة..

وكل جانب فيها ينادي بكذبها ودجلها.

وبعـــد :

هذه هي حركات التنبؤ المعاصرة رأينا زيفها وبطلانها وانها لا تملك سندا يدعمها أو يقويها. وسنرى في الباب الآتي ان شاء الله زيادة ايضاح وبيان للأسباب التي أدت الى ظهورها وخروجها.

البـــاب الخـــامس

أسباب التنبؤ ونتائجه وواجب المسلمين تجاهه

تمهيـــد :

الفصل الأول : أسباب التنبؤ

الفصل الثاني : نتائجه على المسلمين

الفصل الثالث : واجب المسلمين تجاهه.

تمهيـــــــد :

رأينا فيما تقدم مكانة «عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية» وانها عقيدة راسخة مدعمة بالأدلة الشرعية المتعددة بحيث لا يصح ايمان المسلم بدون الايمان بها..

ورأينا كذلك أنها قد تعرضت في تاريخها الطويل من صدر الاسلام الى اليوم لمحاولات الخروج عليها من قبل الشيعة والصوفية، بل والخروج عليها بالفعل من قبل المتنبئين الكذبة قديما وحديثا. فما هي الأسباب الكامنة وراء ذلك ؟.

لمعرفة ذلك فانه لا بد من دراسة وتحليل لتلك الحركات المختلفة التي خرجت على هذه العقيدة وحاولت ايجاد تنبؤات جديدة.

وسنتناول في هذه الدراسة أسباب التنبؤ[1] ونتائجه على الاسلام والمسلمين ثم نعقب على ذلك بذكر الموقف الايجابي الذي يجب على المسلمين أن يقفوه لحماية عقيدة ختم النبوة، اذ لن تقف الهجمات عليها عند حد، ولن يرضى أعداء الاسلام بوحدة الأمة التي تتمثل في وحدة القيادة المحمدية... ولذلك فلا بد من يقظة الأمة الاسلامية ووعيها بمداخل الأعداء وشبهاتهم لئلا يتسللوا الى عقائدهم ومجتمعهم.

(١) سيرى القارئ أنا نكرر الاستشهاد بالحركة الواحدة أو الشخصية الواحدة وذلك لأنه قد يجتمع في ذلك أكثر من جانب مما نضطر معه للتكرار.

الفصـــل الأول

أسبـــاب التنبـــؤ

أ ــ العصبيـــة :

أولا : العصبية القبلية

ثانيا : العصبية القومية

ب ــ الحقـــد :

أولا : الحقد اليهودي

ثانيا : الحقد الاستعماري الصليبي

جـ ــ الانحراف الفكري :

أولا : التشيع

ثانيا : التصوف

د ــ انتشار الجهل الديني

هـ ــ الظروف السيئة التي تتعرض لها الأمة

ثانيا : العصبية : القومية (أو الشعوبية) :

سنرى هنا عصبية أخرى هي عصبية قوم على قوم أو شعب على شعب وهي التي عرفت فيما بعد بـ (الشعوبية)[1] والتي أثارها الحقد والحسد. وقد كانت بلاد «فارس» هي الموطن الأول لتلك المؤثرات التي ظهرت في صور متنوعة كلها تريد هدم الاسلام والقضاء عليه وذلك لأن بلاد فارس كانت من أقوى البلاد وأعزها فلما أذل الله ملكهم على أيدي أناس كانوا في نظرهم من أهون الناس وأذلهم عظم ذلك في نفوس المتعصبين منهم لجنسهم والذين لم تنشرح بالاسلام صدورهم ولم يبق لهم من القوة والسلطان ما يستعيدون به سلطانهم وعزهم ـــ كما يزعمون ـــ الا ما تفتق عنه تفكيرهم من الحيل.

فلجأوا الى تكوين المذاهب الباطلة ووضع الأحاديث الكاذبة للانتقام من تلك الديانة الجديدة.

قال ابن حزم رحمه الله بعد أن ذكر مجمل الفرق الخارجة عن الاسلام ومنهم المتنبئون : (والأصل في خروج أكثر هذه الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلوّ اليد على جميع الأمم وجلاله الخطير في أنفسهم حتى إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدّون سائر الناس عبيدا لهم. فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى. ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق) الى أن قال (فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الاسلام، واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم عليّ رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الاسلام. فقوم منهم أدخلوهم الى القول بأن رجلا ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين اذ لا يجوز أن يؤخذ الدين من هؤلاء الكفار اذ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ الى الكفر وقوم خرجوا الى نبوة من ادعوا له النبوة... وقوم سلكوا بهم المسلك الذي ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع...)[2] الخ ما ذكر رحمه الله مما بيّن أثر العصبية الفارسية في أصل تلك الدعاوى المتعددة التي حاربوا

---

(١) يراجع الفرق بين الفرق ص ٢٨٥

(٢) الفصل ج ٢ ص ١١٥ ـــ لابن حزم

بها الاسلام. وقد دفعهم ذلك الى أن زعموا : (ان الله سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة محمد عليه السلام ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن)[1].

ولا يزال خلف أولئك الأعاجم الضالين يتوارثون تلك الدعوى المزعومة حتى رأينا حركة التنبؤ البهائية المعاصرة ترددها كذلك فقد قال الكاتب البهائي احمد حمدي : (وان العلم بمجيء رسول جديد من العجم بعد محمد ﷺ كان معلوما لدى المحققين من علماء الأمة وهو من أسرار الشريعة)[2] هكذا يزعم هذا البهائي المخدوع.

وقد كانت القرامطة وهي من نتاج فارسي تزعم أن الملك سيعود الى العجم، ووضعوا لذلك تقديرا وافق عصر المقتدر والمكتفي[3] من حكام الدولة العباسية في أوائل القرن الرابع فأخلف الله موعدهم وأرغم أنوفهم.

ولعل هذا هو السبب الذي جعل ابا طاهر الجنابي زعيم القرامطة آنذاك يدّعي أنه هو المذكور في الكتب لاعادة ملك الأعاجم حيث قال في بعض قصائده :

(ألست أنا المذكور في الكتب كلها ... ألست أنا المبعوث في سورة الزمر
سأملك أهل الأرض شرقا ومغربا ... الى قيروان الروم والترك والخزر)[4]

ولقد باتت بلاد فارس مسرح المتنبئين والمناهضين للاسلام الى أن ظهر أخيرا الميرزا محمد علي الملقب بالباب ثم خلفه البهاء الكذاب.

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٦ والمقالات للأشعري ج ١ ص ١٨٤ والفرق ص ١٠٤

(٢) التبيان والبرهان ـــ ١. ح. آل محمد ج ٢ ص ١١٨ ـــ ذكر ذلك في حقيقة البابية والبهائية ص ٧١

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٨٦ ـــ ٢٨٧

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٨٧

وهذا ما يؤكد لنا أن تلك العصبية العجمية لا تزال تتوارثها بعض الطوائف المنحرفة.

ولما ظهر المتنبئ القادياني في الهند أبدى الهنادك تجاهه ارتياحا كبيرا لأنها تلبي في نفوسهم تلك العصبية الممقوتة ونحن تلمح ذلك في إحدى مقالات الصحف الهندية حيث تقول : (ان المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة ولا يزالون يتغنون ببلاد العرب ويحنّون اليها ولو استطاعوا لاطلقوا على الهند اسم العرب وفي هذا الظلام الحالك وفي هذا اليأس الشامل يظهر شعاع من نور يبعث الأمل في صدور الوطنيين وهي حركة الأحمديين القاديانيين) الى أن ذكر أن هذه الحركة : (مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين)[1] . ولهذا فان القادياني حاول أن يسترضيهم ويدعي أنه جاء في لباس كرش الذي هو أعظم أنبياء الهنادكة[2] .

وبهذا يتبين لنا مدى تأثير العصبية في تلك الحركات الضالة.

---

(١) من مقالة للدكتور شنكر داس مهرا في صحيفة (بند في ماترم) ذكرها صاحب كتاب القادياني والقاديانية ص ١٢٤ ـــ ١٢٥

(٢) رسالة كرش الثاني للميرزا شكر على القادياني ـــ ذكر في كتاب القاديانية تاريخها وغاياتها ص ٩٤

ب ــ الحقــــد

أولا : الحقـد اليهـودي :

مذ بعث الله رسوله ﷺ من أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام واليهود حاقدة حاسدة فقد حاربت الاسلام في مهده ولا تزال تكيد له وتتأمر عليه الى اليوم بشتى الطرق وأنواع المكائد ، ولكن الله حافظ دينه ومعل كلمته.

ولليهود في حروبهم تلك للاسلام حالتان :

الأولى : ايجاد الأمر واحداثه.

الثانية : استغلال الحدث الذي يقوم به غيرهم وتوجيهه.

وهاتان الحالتان هما اللتان استخدموهما مع المتنبئين فهم اما أن يوجدوا الشخص المتنبىء كما فعلوا ذلك في أواخر الدولة الأموية حيث ادعى اليهودي أبو عيسى بن اسحاق ابن يعقوب الأصفهاني النبوة وآمنوا به وادعوا له المعجزات وخوارق العادات..[1] ، ثم أوجدوا نبيا يهوديا آخر في عهد الخلافة العثمانية وهو شبتي سيبي في مدينة سلانيك عام ١٦٦٦ م فادعى أنه المسيح الموعود واتبعه خلق كثير فاعتقله السلطان محمد الرابع ولكنه تظاهر بالتوبة وأعلن اسلامه فأطلق الأتراك عليه وعلى أتباعه الذين أسلموا اسم «دونمه» غير أن دخولهم في الاسلام كان كذبا وزورا حيث استمروا في دعوتهم تلك الى أن تم القضاء على الخلافة الاسلامية على أيديهم.[2]

يقول الأستاذ كلرزار احمد مظاهري عن طريق اليهود تلك : (وقد لجأ اليهود الى فكرهم الخلاّق في المؤامرات ووجدوا أن أسهل طريق يسلكونه في خرق جدار الأمة الاسلامية هو طريق «النبوة الكاذبة» وقد خلق اليهود في كل زمن نبيا من هؤلاء الأنبياء الكذبة ولعل أقبح وأنكر ما ارتكبوه هو أنهم خلقوا في الدولة العثمانية شبتي سيبي وخلقوا في الهند زمن الاستعمار الانكليزي غلام احمد وكلاهما ادعى أنه المسيح الموعود)[3] .

---

(١) الملل والنحل ج ٢ ص ٢٩٠

(٢) خفايا الطائفة البهائية ص ٩ ــ ١٠

(٣) القاديانية تاريخها وغاياتها ص ١١١ ــ ١٢٥ في بحث طويل

ثم انهم استغلوا الحركات الضالة الأخرى كحركة الباب والبهاء فقد أوعزوا الى اخوانهم يهود ايران أن ينضموا تحت لواء حركة الباب فدخلوا فيها بصورة جماعية حيث بلغ عدد الداخلين أكثر من ثلاثمائة يهودي[1] في فترة قصيرة وهذا عدد كبير بالنسبة للتعصب اليهودي الذي لا يرضى بيهوديته بديلا، ولكنها الحرب والمكيدة لدين الله في تكثير أعداد الخارجين عليه.

ثم بعد مهلكه ناصروا خلفه البهاء وبلغ بهم المكر والكيد الى (أن استخلصوا من دفائن العهد القديم وتنبؤات أسفاره ما ينبئ بظهوره)[2].

ثم انتقلت البهائية الى ظل الدولة اليهودية ـــ في عكا ـــ ليتم لها رعايتها ومؤازرتها ـــ وقد تقدم من ذكر صلة هذه الحركة باليهود ما يغني عن الاعادة هنا ـــ[3].

وبهذا يظهر دور الحقد اليهودي في ايجاد التنبؤات الكاذبة أو رعايتها، واستغلالها لمحاربة الاسلام والنبوة المحمدية.

ثانيا : الحقد الاستعماري (الصليبي)

بعد أن هُزمت الجيوش الصليبية المسلّحة في الشرق الاسلامي سلك الصليبيون الحاقدون طريقا أخرى لا يحمل فيها سيف ولا يفجّر فيها بارود وانما سلاحها الأفكار المنحرفة والمبادئ الضالة، واثارة الشبه والشكوك تحت رعاية المخططات السرية التي توجه كل ذلك وترعاه فاستطاعوا بذلك أن يفرقوا شمل الأمة الاسلامية ويضعوها تحت الوصاية الفكرية والتبعية الاستعمارية.

وقد كان من تخطيطهم لذلك أن يكون المنفذون لمخططاتهم تلك أناساً من أبناء الأمة الاسلامية ليكون ذلك أمكن وأقوى تأثيرا.

---

(١) حاشية مطالع الأنوار ص ٥٣٤ / ذكره مؤلف حقيقة البابية والبهائية ص ١٢٧

(٢) تقدم من قول جولد تسيهر

(٣) سيرى القارئ أن هناك نصوصا كثيرة تكرر من غير تنبيه الى موطنها السابق وليس ذلك نسيانا من الباحث ولكنه اعتماد على فطنة القارئ

واستمع الى القس زويمر وهو يوجه رفقاءه المبشرين الى الطريق التي ينبغي أن تسلك مع المسلمين يقول : (ان تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها)[1] .

وأوضح من ذلك ما ورد في : (ملفات الحكام البريطانيين في الهند) حيث جاء فيها ما يلي : (في سنة ١٨٦٩م جاء وفد مؤلف من قادة بريطانيين ومن رؤساء الكنيسة الى الهند للبحث عن الأمور الواجب اتخاذها لتثبيت دعائم السلطة الانكليزية في البلاد ولكسب ودّ المسلمين ومحبتهم ـــ ومما جاء في التقرير الذي رفعه الوفد الى حكومته قوله :

(ان أكثرية المسلمين في الهند يسيرون وراء زعمائهم الدينيين بلا تفكير فاذا تسنّى لنا ايجاد «رجل يدعي النبوة» فانه يجمع حوله كثيرا من الناس ولكن يبدو أنه من العسير ايجاد مثل هذا الشخص على أحسن وجه وتصرفه كما نريد وأن القيام بمثل هذا العمل يعد أن استولينا على كل الهند أمر ضروري لتهدئة خواطر أهل الهند والجماعة الاسلامية)[2] .

وبعد عشر سنوات تقريبا أي ١٨٧٩ م ظهرت تلك الشخصية التي جاؤوا يبحثون عنها وهي شخصية «غلام احمد القادياني» وقد ظهر في أول مرة بصورة المجاهد المسلم الذي يريد اظهار مزايا الاسلام وفضائله، ثم سنة ١٨٨٨ م ادعى أنه مجدد العصر وأنه مثيل للمسيح بن مريم ثم أعلن في سنة ١٨٩١ أنه المسيح الموعود، وأخيرا صرح بالنبوة وذلك في عام ١٩٠١ م[3] في أول مؤلف ألفه والذي هو (براهين أحمدية).

يقول الأستاذ الندوى ان الجزء الثالث والرابع من براهين احمدية للغلام نفسه قد تضمن : (حث العلماء والجمعيات الاسلامية على اقناع الحكومة الانجليزية بأن المسلمين أمة هادئة سلمية مخلصة للانجليز، وعلى الاعلان بحرمة الجهاد في بلاد الانجليز)[4] . وهكذا كانت البداية وكذلك النهاية دعوة الى طاعة الانجليز والغاء للجهاد الاسلامي الذي فرضه الله سبحانه وتعالى لاقامة الدين وازالة الظلم والطغيان.

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي ص ٣٢
(٢) القاديانية تاريخها وغاياتها ص ٧٩
(٣) ما هي القاديانية ص ٢١ ـــ ٢٤ وترجمة الخواطر ص ٣٤٠ ـــ ٣٤١
(٤) القادياني والقاديانية ص ٤١

وقد رأينا من قبل أن الوحي كان يأتيه في بعض الأحيان في صورة ملك انجليزي ثم رأى بعد ذلك رؤيا أخرى قريبة من ذلك. يقول عن نفسه : (رأيت في الكشف ان الملكة المعظمة «قيصرة الهند» سلمها الله تجلّت وتفضلت في بيتنا فقلت لأحد أصحابي ان الملكة المعظمة شرفتنا بكمال الحب والألفة وسكنت يومين في بيتنا فلا بد لنا أن نشكرها)[1].

ويقول في رسالة بعثها الى الحكومة البريطانية : (أرجو منكم أن تكتبوا للحكام الصغار برعاية هذه الشجرة وحفظها التي «ما غرسها الا أنتم» كما أرجو أن ينظروا الى أتباعي بنظرة خاصة ودّية لأننا ما تأخرنا أبدا من التضحيات في سبيلكم لا بالنفوس ولا بالدماء، كما لا نتأخر بعد ذلك)[2].

وبهذا العرض الموجز يتبين لنا دور الاستعمار في صنع القادياني. أما الباب والبهاء فقد رأينا من قبل علاقتهما بروسيا وبريطانيا كذلك، وقد كان ظهورهما في فترة كان فيها الروس والانجليز قد غزيا فيها مناطق مجاورة لايران مع طمعهما فيها نفسها[3] وكان في تلك الحركات اضعاف للسلطة الايرانية وشغلها بمشاكلها الداخلية وذلك ما رأيناه من قبل في الرسالة التي عثر عليها محمد حسين آل كاشف الغطاء والتي فيها : (ان رجلا من روسيا أتى الى طهران بعد أن انتزع الروس مملكة القوقاز من الدولة الايرانية وأراد اشغالها عن التفكير في استرجاع ما غصب منها) الى أن قال (والظاهر انه هو الذي كان حلقة وصل بين البابيين والحكومة القيصرية الروسية حيث زودتهم بالأسلحة فقاتلوا بها المسلمين)[4].

وأما البهاء فقد كان اتجاهه للانجليز أكثر من الروس وقد قلده قائد الجيش الانجليزي في فلسطين عندما فتح حيفا (وسام العضوية البريطانية من درجة فارس ممنوحا من لدن صاحب الجلالة ملك الانجليز لقاء خدماته الجليلة ومساعدة الحكومة البريطانية أيام الحرب الكونية... في حفلة كبرى اقيمت في دار السفارة الانجليزية في ابريل سنة ١٩٢٠)[5].

---

(١) مكاشفات الغلام ص ١٧

(٢) عريضة من الغلام قدمها لنائب امير الهند آنذاك ـــ وهي ضمن كتاب تبليغ رسالة ج ٧ لقاسم القادياني ـــ ذكرها احسان في كتاب القاديانية ص ٢٥ و ٢٩

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٦٥٧ ـــ لبروكلمان

(٤) وقد تقدم في البابية

(٥) كتاب عبد البهاء والبهائيين ـــ ذكره محسن عبد الحميد في حقيقة البابية والبهائية ص ٢٤٠ ـــ ٢٤١

وأخيرا تركزت البهائية في بريطانية كما قال عبد البهاء : (ان لندن ستكون مركزا لنشر الأمر). فتقول هذه بضاعتهم ردت اليهم بعد أن رفضها المسلمون في ديارهم.

وهكذا يتبين لنا دور الاستعمار في دفع الحركات الضالة ورعايتها لحرب المسلمين واضعافهم.. ولكنها ولله الحمد حرب مكشوفة قد باءت بالفشل وقد استيقظت الأمة وتبينت طريقها واعداءها وعما قريب تعود لها الكرة ان شاء الله وينصر الله دينه وعباده المؤمنين.

ج ــ الانحــراف الفكــري

المراد بالانحراف الفكري هنا هو ما وقعت فيه طائفتا الشيعة والصوفية حيث سلكتا في بعض الجوانب الدينية مسلكا منحرفا كان له أثر كبير في دفع حركة التنبؤ الى الامام، وتهيئة المناخ المناسب لها للاستمرار والزيادة.

وقد اشتركتا في الغلو في حق رؤسائهم (الأئمة والأولياء) مع انفراد كل طائفة منهما بانحراف آخر.

فالشيعة انفردت بفساد تصورها للمهدي المنتظر الذي سبقت الاشارة الى خروجه في آخر الزمان ليقوم بدور خاص في الاصلاح مما ادى ببعض أتباعها الى استغلال ذلك التصور المنحرف بادعاء المهدية ثم النبوة.

وأما الصوفية فانها قد انفردت بالغلوّ في الجانب العبادي في الاسلام حتى أدى ببعض أفرادها الى تخيلات وهمية وهلوسات ذهنية. وقد أدى بهم ذلك الى أن اعتقدوا في أنفسهم أنهم أنبياء ورسل، وأن الوحي يتنزل عليهم.

ولهذا الغلوّ الذي تعيشه كلا الطائفتين فقد كان خروج المتنبئين فيهما أكثر من غيرهما ان لم نقل انه خاص بهما، وانه لم يتنبأ أحد قط بعد المتنبئين الأربعة في عهد الصحابة الا كان له باحدى هاتين الطائفتين صلة. وفي ذلك يقول الامام ابن حزم رحمه الله بعد أن ذكر الطوائف الضالة في عقيدة النبوة والألوهية : (واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية) [1] ولذلك فقد

---

(١) الفصل ج ٤ ص ١٨٨ لابن حزم

كان التشيع : (مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد)[1]، لملائمته لكل دعوة منحرفة.

وفيما يلي بيان لطرف من اثر التشيع والتصوف في ظهور ادعياء النبوة :

أولا : التشيـــع :

قد رأينا في الباب الثاني أثر الغلوّ في الأئمة عند الشيعة وكيف أدى بهم ذلك الى اعتقاد نزول الوحي عليهم، وادعائهم العصمة لهم الى آخر ما تقدم مما كان ممهدا للدعاوى الضالة التي خرجت منها فيما بعد.

ولهذا فان قسما كبيرا من المتنبئين من الشيعة قد بدأوا ادعاءهم ذلك بدعوى الامامة ثم انتهوا الى دعوى التنبؤ. ومن هؤلاء ــ كما رأينا من قبل ــ المغيرة بن سعيد العجلي الذي (ادعى أن الامامة بعد محمد بن علي بن الحسين في محمد النفس الزكية بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن الخارج بالمدينة) ثم : (ادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه)[2].

وكذلك أبو منصور العجلي : (الذي زعم أن الامامة دارت في أولاد عليّ حتى انتهت الى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالباقر. وادعى هذا العجلي أنه خليفة الباقر ثم ألحد في دعواه فزعم أنه عرج به الى السماء، وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له يا بنيّ بلّغ عني ثم أنزله الى الأرض...)[3].

وكذلك أبو الخطاب الأسدي كان يقول بامامة أبي جعفر الصادق فلما تبرأ منه (ادعى الامامة لنفسه)[4] ثم ادعى النبوة بعد ذلك.

وهكذا بقية المتنبئين الذين يدخلون ضمن هذا القسم كالمختار بن عبيد الثقفي وبيّان بن سمعان وغيرهما.

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٧٦ والخطط للمقريزي ج ١ ص ٣٢٦

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٦ ــ ١٧٧ والفرق بين الفرق ص ٢٣٨، ص ٢٣٩

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٤٣ والملل والنحل ج ١ ص ١٧٨ والمقالات ج ١ ص ٧٤ ــ ٧٥ للأشعري

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٩

أما القسم الآخر فقد أتى من قبل فساد التصور في شخصية المهدي الموعود فمنهم عليّ بن الفضل الحميري اليمني والذي كان شيعيا اثنيْ عشريا من قبل ثم انخدع بدعوة الفاطميين للمهدي وأخذت منه البيعة له وَأَوْهَمَ أن المهدي خارج قريبا فاستجاب لتلك الدعوى، وأصبح داعيا لتلك الشخصية الموهومة حتى آل به الأمر الى دعوى النبوة [1].

ثم خرج أخيرا الميرزا ــ الباب الذي ادعى البابية ثم ادعى المهدية ثم ادعى النبوة.

وقد يقول قائل ان فكرة المهدية فكرة مشتركة بين الشيعة وأهل السنة فلماذا يكون اعتقاد الشيعة هو السبب لذلك الانحراف دون أهل السنة ؟ فنقول ان الشيعة قد أعطوا هذه الشخصية من الاهتمام والحقوق ما لم يعطه له أهل السنة. فالشيعة يعتبرونه موجودا مختفيا من مئات السنين، ويوجبون الايمان به في كل عصر. وكان من أثر ذلك أن تمكن دعاة المهدية (في القرون الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين وغيرهم من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلبا للملك والسلطان، فجعلوا ادعاءهم المهدية الكاذبة طريقا للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليهم) [2].

أما أهل السنة فلا يعطونه من الاهتمام مثل ما تفعل الشيعة ولا يجوّزون له اذا خرج أن يدعي لنفسه المهديّة أو أن يوجب على الناس الايمان به لأنه انسان عادي يصلحه الله عزّ وجلّ ويصلح به كبقية المصلحين، وليس له شرع جديد ولا يوحى اليه. ولذلك فقد لا يعلم أنه المهدي المقصود الا اذا نزل عيسى عليه السلام وهو موجود، فعندئذ قد يعرف ذلك.

ولذلك فلا سبيل لأحد أن يدّعي المهدية أو أن يوجب على أحد الايمان به أو متابعته، وانما ــ لصلاحه ولما يقوم به من اصلاح ــ تهوي اليه الأفئدة، وتجتمع عليه الأمة من غير أن يكون هناك دخل له في ذلك.

وان كنا لا ندعي أنه لا يخرج في أهل السنة ضالون ولكنا نقول ان ذلك الخروج ليس نتيجة فكر منحرف عند أهل السنة أدى بذلك الضال الى الانحراف وانما ضلاله ذاتيّ من نفسه أو من عوامل أخرى لا دخل لأهل السنة فيها.

وبذلك يتبين المراد من الكلام السابق.

---

(١) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ص ١٩١ ــ ٢٠٨

(٢) عقائد الامامية ص ١٠٦ لمحمد رضا المظفر

ثانيا : التصـــوف :

أما أثر التصوف في ظهور المتنبئين فهو قريب من أثر التشيّع كذلك لما صاحب تلك الطريقة من مغالاة في التنكر لحقوق الجسم والافراط في العبادة المضنية، حتى أدى ببعضهم ـــ ذلك الحال ـــ الى خيالات عجيبة، وتصورات غريبة كانت سببا في دفعهم الى الزندقة والالحاد من القول بالاتحاد والحلول وغير ذلك من الاعتقادات الفاسدة[1]. كدعوى النبوة والوحي، أو الأخذ المباشر للعلوم من اللوح المحفوظ وغير ذلك.

وممن أثرت فيه تلك الطريقة المنحرفة فادعى النبوة الحارث بن سعيد. وقد قيل فيه لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهاده ـــ وما ذلك الا لزهده المفرط، وانغماسه في مذهب التصوف. ثم ما لبث أن أدى به ذلك الى ادعاء النبوة ودعوة الناس اليه ـــ كما سبق.

وقد مرّ بنا أن الباب والبهاء (مع تشيّعهما) كانا من كبار المشتغلين بالرياضات الصوفية حتى عرفا في أوساط الصوفية بذلك.

ولقد رأينا أثر هذه الرياضات على الباب فيما خرج به من أقوال أنكرها عليه زملاؤه حتى وصل به الأمر الى دعوى الوحي ـــ كما تقدم. وكذلك كان غلام أحمد القادياني مشتغلا بالتصوف ومتأثرا بكتب ابن عربي، وقد ظهر ذلك واضحا في دعاواه الكثيرة التي استشهد في بعضها بكلام ابن عربي.

هؤلاء بعض أدعياء النبوة ممن كانت لهم علاقة بالتصوف ثقافة أو سلوكا حتى كان من أمرهم ما كان من اختلال في التصور وخروج على العقيدة الاسلامية مما جعلهم يخضعون لكل رؤيا غريبة أو وساوس عجيبة[2]، توهموا معها أن ذلك وحي من السماء يدعوهم ليكونوا أنبياء.

---

(١) يراجع كتاب تلبيس ابليس ص ١٩١

(٢) يراجع كتاب تلبيس ابليس للوقوف على غرائب أحوالهم وعجائب أمورهم ص ١٨١ ـــ الى آخر ذلك المبحث ص ٤٢٤

د ـ انتشار الجهل الديني

ان هذه الدعوات الضالة ـ دعوات التنبؤ ـ وأمثالها لا تقوم ويكتب لها البقاء والاستمرار الا في المجتمعات الجاهلة التي انطمست فيها أنوار الهداية الربانية أو تشوهت صورتها الصحيحة. وعند ذلك يسهل على كل مبتدع أو زائغ ان ينشر بدعته، وأن يظهر زيغه. يقول البغدادي رحمه الله وهو يذكر الذين يروج عليهم مذهب الباطنية ـ مثلا يقول انهم أصناف :

(**أحدها** : العامة الذين قلّت بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والأكراد وأولاد المجوس)[1] ويذكر الدكتور محسن عبد الحميد وهو يتحدث عن سبب انخداع الناس في المجتمع الايراني بالدعوة البابية : (أنه كان من المستحيل على تلك الأباطيل البابية أن تجد لها متنفسا لو لم تجد مجتمعا جاهلا خرافيا مضطربا كمجتمع ايران الذي كان منبعا للحركات الالحادية والنزعات الاباحية والأحقاد المجوسية والاتجاهات الخرافية). ثم يقول كذلك (ولو ظهر ـ أي الميرزا ـ ودعا في غير بلاد ايران اذن لعاش كألوف من الملاحدة والمفسدين في كل عصر ومصر منبوذا محتقرا)[2].

ولذلك فإننا نرى أكثر الدعوات الضالة انما تنتشر بين طائفتي الشيعة والصوفية لقلة حظهما من العلم.

فالشيعة تعتبر مصدر التعليم هو الامام، فهو وحده الذي عنده العلم الصحيح وقد عاشت الشيعة أحقابا كثيرة لا تدري أين إمامها الذي يحركها ويوجهها مما سهل تسرّب الخرافات الى صفوفهم وقبولهم لكل دعوة ضالة.

يقول ابن تيمية رحمه الله (فصاحب الزمان الذي يدعون اليه لا سبيل للناس الى معرفته ولا معرفة ما يأمرهم به وما ينهاهم عنه وما يخبرهم به)[3]. ولذلك يسهل نشر الخرافة

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٠٠
(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ٧٥
(٣) منهاج السنة ج ١ ص ٢٠

بينهم باسم الامام. وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله عنهم أشد من ذلك، ذكر أن : (طائفة من شيوخ الرافضة كابن العود الحلّي يقول : اذا اختلفت الامامية على قولين احدهما يعرف قائله والآخر لا يعرف كان القول الذي لا يعرف قائله هو القول الحق الذي يجب اتّباعه لأن المنتظر المعصوم في تلك الطائفة)[1] .

وفي وسط هذه العقلية البليدة تنمو الضلالات، وتظهر الخرافات. أما الصوفية فلا تقل في جهلها وحمقها عن هذا المستوى الذي وصلت اليه الشيعة. فكما أن مصدر علوم الشيعة عن مجهول فكذلك علم الصوفية عن مجهول. اذ يدّعي أولياؤهم أنهم يأخذون علومهم من اللوح المحفوظ كما صرح به أبو يزيد البسطامي حيث قال : (أخذتم علمكم ميّتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت) فهو هنا لا يلتقي علمه عن طريق التعلم الذي يسلكه المسلمون فيعرفون أمور عقائدهم وشرائعهم بواسطته ولكنه يتلقى علمه بطريق أخرى.. وهذه الدعوة سهلة المأخذ اذ كل انسان يستطيع أن يدعيها.. ثم انها تحول بينهم وبين معرفة شرع الله الذي ورّثه لهم محمد ﷺ، ولذلك فان المؤلفات الصوفية قد ملئت بالأحاديث الموضوعة والحكايات المنكرة جهلا منهم.

يقول فيهم ابن الجوزي رحمه الله : (انما لبس الشيطان عليهم لقلّة علمهم)[2] . ويقول : (فيهم من كان لقلّة علمه يعمل بما يقع اليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري)[3] .

وهذا القدر المشترك من الجهل عند الطائفتين والذي قد انعدمت معه الحصانة العلمية الشرعية التي تحميهم من البدع والضلالات ـــ قد كان من أكبر الأسباب لنجاح حركات التنبؤ تلك.

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١

(٢) تلبيس ابليس ص ١٨٦

(٣) المصدر السابق ص ١٨٣

هـ ـــ الظروف السيئة التي تتعرض لها الأمة

ان الحالة النفسية التي تعيشها أيّ أمة من الأمم أو أي مجتمع من المجتمعات لها أثر كبير في استسلام أفراد من الأمة لبعض الوساوس والخيالات الغريبة... وذلك لما ينشأ في الأمة من ترقّب الخلاص من سوء الحالة التي تعيشها، وهي تعتقد أن ذلك الخلاص لا يكون الا على يد شخصية قوية لها من الخصائص ما يؤهلها لتلك المسئولية.

يقول الأستاذ محمد اقبال : (ان التاريخ يشهد أن الأمة التي وقعت فريسة الذل والانحطاط يصبح مصدر الالهام لديها نفس ذلك الانحطاط الذي تورطت فيه)[1].

وقد كانت حركتا البابية والقاديانية احدى الأمثلة الحية لتلك الحالة السيئة. يقول الدكتور محسن عبد الحميد : (كان نظام الحكم في ايران في القرن التاسع عشر نظاما كسرويا استبداديا طاغيا. فالشاه هو الحاكم المطلق الذي لا يرد قوله، الأمر الذي أوقع الشعب الايراني في مهلكة عظيمة، فبلغ التذمر مداه نتيجة لهذه السياسة الكريهة. زد على ذلك سوء الحالة الاقتصادية وانتشار البطالة وعدم تحقق العدل مما دفع الشعب أبدا الى التفكير في المنقذ الغائب الموهوم الذي سينصفهم ويرفع الحيف عنهم)[2].

أما القاديانية فيقول عنها اقبال : (أعتقد أن هؤلاء الأبطال الذين أسهموا في تمثيلية حركة الأحمدية كانوا ألعوبة في يد الانحطاط والزوال)[3].

ويصوّر لنا الأستاذ أبو الحسن الندوى الأوضاع التي ظهر أثناءها القادياني فيقول : (استولى على المسلمين اليأس والتذمر والقلق، ويئس الناس من اصلاح الأوضاع بالأساليب العادية الطبيعية، وبدأوا يتطلّعون الى منقذ جديد غريب، وكثر الحديث عن الغائب والعصر الأخير وكثرت التنبؤات والالهامات، وذاعت المنامات والكهانات. وكانت بنجاب أكبر مجال للقلق الفكري وضعف العقيدة والعلم فقد قاست هذه الناحية من بلاد الهند حكم السكة الذي كان أشبه بالحكومات العسكرية أو الحكم العرفي ثمانين حولا تزلزلت في خلالها العقائد، وضعفت الحميّة الدينية وفقدت الثقافة الاسلامية الصحيحة، واضطربت الأفكار والعقول والنفوس اضطرابا عظيما، وتهيأت لكل ثورة فكرية ودعوة متطرفة)[4].

(١) حرف اقبال ص ١٥٧ ـــ ١٥٨ ـــ ذكره الندوى في كتابه القادياني والقاديانية ص ١٤٣
(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ٦٩
(٣) حرف اقبال ص ١٥٨ ذكره الأستاذ الندوي في القادياني والقاديانية ص ٢٤٢
(٤) القادياني والقاديانية ص ٢٠ ـــ ٢١

وتكاد تكون هذه الحالة عامة لكل الأمم ـ أعني تأثير الأوضاع السيئة في الأمة بحيث تستسلم للأوهام والخرافات.

ففي القرن التاسع عشر الميلادي عندما تعرضت فرنسا للاحتلال الانجليزي نشأت في المجتمع الفرنسي حالة ترقب للمنقذ المخلّص من ذلك الذل والاحتلال مما ادى الى ظهور استسلام بعض أفراده للأوهام والخيالات.

ـ يقول الأستاذ فريد وجدي وهو يتحدث عن فرنسا في تلك الظروف : (ومن العجيب أن الناس في فرنسا كانوا ينتظرون خلاصهم على يد بطلة تظهر فتصلح أحوال البلاد والعباد بما يظهر على يديها من القوة الروحانية)[1] . وهذه الحالة الانتظارية التي كانت تعيشها فرنسا كانت سببا لظهور : (نساء ادعت كل واحدة منهن أنها هي تلك البطلة المنتظرة ثم ظهر كذبها وبهتانها). ثم ظهرت في هذه الأثناء امرأة تسمى «جان دارك» (اعتقدت في نفسها أنها مرسلة من قبل الله لتخليص وطنها، وكانت تقول انها تسمع أرواحا عالية تكلمها)[2] . ونتيجة لذلك فقد قادت المعارك ضد الانجليز، وقد حالفها النصر في أغلب المعارك مما جعل المجتمع الفرنسي يعتقد فيها أنها هي تلك المرأة التي ينتظرونها ثم وقعت أخيرا في أسر الانجليز وحكم عليها بعد ذلك بالحرق بالنار بتهمة الكفر والالحاد)[3] .

فهي كما ترى قد استجابت لذلك الصوت الخفيّ الذي تخضع له المجتمعات المغلوبة على أمرها مثلها في ذلك كمثل الذين خرجوا في بلاد المسلمين تحت ذلك التأثير النفسي سواء بسواء. والشيء الغريب في هذه القصة أن الانتظار كان محدد الصفة اذ كان الانتظار لامرأة منقذة مما يوحي بأن وراء الشائعات خطة مدروسة لتلك المتنبئة.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ١٣
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ٢٠
(٣) المرجع السابق

الفصـــل الثـــاني

نتائـــج التنبـــؤ

أ ـ زعزعة العقيدة الاسلامية.

ب ـ تفريق شمل الأمة.

ج ـ تشتيت جهود الأمة.

د ـ تمكين الاستعمار في بلاد المسلمين.

هـ ـ التمهيد للدعوات الضالة.

أ ـ زعزعة العقيدة الاسلامية

ان ظهور أي دعوة ضالة أو فتنة دينية في داخل الصفوف الاسلامية ـ ان ذلك أمر له نتائجه في بلبلة أفكار بعض المسلمين وزعزعة عقيدته.

وادعاء النبوة من أحد بعد رسول الله ﷺ من أكبر الفتن وأخطرها على عقيدة الختم اذ ينتج عن ذلك بلبلة فكرية وفوضى دينية تعرض العقيدة الاسلامية في نفوس عوام المسلمين الى الاهتزاز والتخلخل.

يقول الأستاذ الندوى وهو يتحدث عن نتائج حركات التنبؤ على العالم الاسلامي أن ذلك : (لا ينتج سوى بلبلة فكرية وفوضى دينية واصطدام بين الأفكار)(١).

ومما يزيد في خطورة هذه الحركات أنها لا تدعى في بعض الأحيان الخروج عن الاسلام وانما تزعم أنها حلقة من حلقات التجديد والتصحيح داخل الاطار الاسلامي وبذلك ينخدع أتباعها وأنصارها فلا يظنون أنهم قد خرجوا باتّباعهم ذلك عن دين الاسلام.

ولقد فقه علماء الباكستان ذلك الأمر وأصروا على اعتبار القاديانية ـ التي ابتلوا بها ـ أقلية غير اسلامية. ومما ذكره الأستاذ المودودي من الأسباب المقتضية لذلك الاصرار (أن قيام القاديانية بالدعوة الى فكرتهم ونحلتهم الجديدة باسم الاسلام مع بقائهم في مجتمع المسلمين كأنهم جزء منه يجعل ضعاف الايمان قليلي المعرفة يدخلون في دينهم ظنا منهم أنهم لا يخرجون بذلك من الأمة الاسلامية ويدخلون في أمة غيرها)(٢).

اما اذا اعتبرت الدعوات الضالة مستقلة ومغايرة للمسلمين فان خطرها يخف عن ذلك وان كانت لا تزال تمثل جانبا من الخطورة، ولكن ذلك أقل من بقائها منتسبة الى الاسلام.

ورغم أنها دعوات باطلة الا أنه لا بد أن تلقى لها أنصارا وأعوانا من ذوي الأمزجة المنحرفة وخاصة اذا توفرت هناك عوامل أخرى خارجية. ثم ان هذه العقائد الجديدة لا بد أن تحمل تصورات وتفسيرات خاصة تواجه تصورات المسلمين وتفسيراتهم فيحدث الصراع وتعرض الشبه مما قد لا يستطيع كل المسلمين ردها أو ابطالها فتهز بذلك شيئا من عقائدهم.

---

(١) ص ١٣٤ كتاب القادياني والقاديانية

(٢) ما هي القاديانية ص ١٠٧ ـ ١٠٨ بتصرف

فالحركة القاديانية مثلا جاءت بتفسيرات خاصة لبعض العقائد الاسلامية، فالمهدي ليس هو المهدي الذي فهمه المسلمون من قبل[1] وعيسى بن مريم الموعود بنزوله ليس هو المسيح المعروف لدى المسلمين بل ان المسيح بن مريم قد مات ودفن في كشمير[2]، ثم كذلك الجهاد الذي يُعدّ من أهم شرائع الاسلام[3] قد انتهى وقته ونسخ بظهور القادياني.. الى آخر تلك الأكاذيب المقصودة التي أريد بها بلبلة الفكر الاسلامي.

وهكذا كل دعوة ضالة تظهر في العالم الاسلامي أو في غيره فانها لا بد أن تحدث جرحا اليما في جسم المجتمع الذي تخرج فيه.

ب ــ تفريق شمل الأمــة الاسلاميــة

القيادة المحمدية للأمة الاسلامية من أهم الركائز التي ترتكز عليها وحدة الأمة وتتمثل هذه القيادة في اتّباع ما تركه لها رسولها ﷺ من الكتاب والسنة.

وخروج أي متنبئ بعده ﷺ مدعاة لتفرق هذه الأمة وانقسامها الى مجتمعين أو أمتين. وكلما تعدد المتنبئون كلما تعددت المجتمعات وتمزقت الأمة فتضعف بذلك أسس المجتمع الاسلامي ويتعرض للفساد والفناء.

ولقد رأينا من قبل كيف أن الحركات التنبؤية الحديثة قد مزّقت الأمة وأصبح فيها بدل الأمة الواحدة أمم عدة.

فالبهائية مثلا :

أصبحت بعد ظهور متنبئيها أمة مستقلة اليه تنتسب، والى كتابه الذي زعم أن الله أوحى به اليه المسمى بـ (الأقدس) تتحاكم، وأقامت لها مراكز تبشير في عدة مدن ودول بدءا بعكا وانتهاء بأوربا وأمريكا ومرورا بأفريقيا وبعض دول آسيا كذلك.[4]

---

(١) سر الخلافة للقادياني ص ٣٧ ــ ٣٨

(٢) رسالة الى مشايخ الهند ومتوفة أفغانستان ومصر وغيرها ــ المنشورة ضمن رسائل القادياني ص ٤٥٦ / الى ص ٤٦٢ وانجام اتهم ص ١٥١

(٣) تقدم في القاديانية

(٤) تقدم في البهائية

وإذا دعت أحدا انما تدعوه الى البهائية أو توصيه على دينه مع الاتصال بالبهائية. كما أنها تزاحم المسلمين في كل مكان توجد فيه وتبلبل عليهم أفكار أبنائهم والسذّج من أفرادهم لعدم وجود الحصانة العقائدية اليوم عند أكثر المسلمين يقول كليمان هوار : (ان الباب أنشأ دينا جديدا بتعاليمه وعقائده، وأنشأ مجتمعا جديدا تحت ستار الاصلاح في الاسلام)[1].

ويقول الأستاذ محمد علي منصور : (وأتباع هذا المذهب ــ أي البهائية ــ يتسترون عن الناس ويغرّرون بالسذّج ويبشرون لعقيدتهم في محافل سرّية كالماسونية التي هي فرع عن الصهيونية)[2].

وكذلك القاديانية قد سارت في نفس الطريق حيث أصبحت أمة مستقلة كذلك لها نبيها الخاص بها، وأفكارها الخاصة بها كذلك. وقد انحازت بعد استقلال باكستان الى منطقة مستقلة أطلقوا عليها اسم «الربوة» كونوا بها مدينة لا يسكنها غيرهم، وبنوا مسجدا سموه بالأقصى ودارا أطلقوا عليها دار الخلافة، ولهم مقبرة خاصة بهم كذلك[3]. كما أنهم يكفّرون[4] من لا يؤمن بنبيّهم. وقد بلغ عدد أفراد هذه الديانة الجديدة في سنة ١٩٣٤ حوالي ستة وسبعين ألفا كما تذكر مصادرهم.[5]

يقول الأستاذ الندوي بعد أن عرض واقع الهند ابّان ظهور النحلة القاديانية وما كانت تعاني فيه الهند من تشتت وتمزق ثم نجمت هذه الفرقة الضالة أثناء ذلك ــ يقول : (ثم قام ــ أي القادياني ــ في هذا العالم الاسلامي الذي كان فريسة الاختلاف والنزاعات الدينية من قبل، وقد كثرت فيه الفرق والطوائف ــ فدعا الى نبوة جديدة وكفّر من لا يؤمن بها، وأقام بينه وبين المسلمين جدارا سميكا وسترا صفيقا من النبوة الجديدة بقي العالم الاسلامي في جانب منه وجماعة تعدّ بالآلاف في جانب آخر فزاد المسلمين في الهند (وباكستان أخيرا)

---

(١) البابية لمحمد كرد علي : ضمن كتاب دراسات عن البابية والبهائية ص ١١٦

(٢) البهائية بين الشريعة والقانون ص ٤٢ ضمن مجموعة رسائل ــ دراسات عن البابية والبهائية

(٣) رأيتها بنفسي في زيارة قمت بها عام ١٣٩٧ هـ

(٤) القادياني والقاديانية ص ٧٥

(٥) جريدة الفضل القاديانية في ٢١ يونيو ١٩٣٤م عن القاديانية لاحسان

افتراقا على افتراق، وتشتتا على تشتت، وزاد في الفرق الاسلامية فرقة تقل عنها في العدد وتزيد عليها في الضلال والبعد عن المسلمين والعداء للاسلام وهكذا زاد في مشكلات المسلمين مشكلة عظمى، وزاد في العقد عقدة لا يزال المسلمون منها في تعب وبلاء»[1].

فهذه هي احدى نتائج تلك الحركات الضالة في هذا العصر.

جـ ــ تشتيت جهـــود الأمـــة

عندما تتعرض الأمة الاسلامية لخطر يهدد عقيدتها أو شيئا من دينها فانها تتحرك للقضاء على ذلك الخطر.. وقد رأينا كيف تحركت الأمة الاسلامية في حياة الصدّيق رضي الله عنه للقضاء على حركات التنبؤ التي قامت في عهده والتي قد فتحت ثغرة أمام الأمة الاسلامية الى جانب ثغرات الردة التي ظهرت بعد موت رسول الله ﷺ ثم دحر الله كيدهم وأعز الاسلام.. ولم تنته الحركات الضالة عند حد بل كان يخرج في كل عصر تتوفر فيه الظروف الملائمة أئمة ضالون يدعون الناس الى الهوى وعبادة الشيطان ثم لا تلبث أن تختفي تحت ركام الزمن..

وأخيرا ظهرت حركات جديدة تمثل خطرا جديدا على وحدة الأمة الاسلامية مما دفع المسلمين بشتى مستوياتهم ــ الى مقاومة تلك الحركات الضالة واستنفدت كثيرا من جهودهم العلمية والمادية، بل وأدت الى نشوب معارك أهلية بين الحركات النابتة والأمة الثابتة.

وقد وقعت بين البابية وجيش الحكومة وقواتها من مسلمي ايران معارك ضارية كانت سببا في تفكير الحكومة الجدّي في القضاء على المتنبئ (الباب)[2].

أما القاديانية فحوادث الصراع بينها وبين المسلمين في الهند والباكستان لا تحصى كثرة سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات كان من ضمنها حادث طلبة كلية الطب في مدينة ملتان الذين خرجوا برحلة الى شمالي باكستان وكانت طريقهم من مدينة ربوة القاديانية، وعند مرورهم منها أخذوا يهتفون بشعارات الاسلام ورسالة الاسلام الخالدة، ويهتفون بأن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. وأثناء عودتهم فوجئوا بخمسة آلاف

---

(١) القادياني والقاديانية ص ١٦٣

(٢) تهافت البابية ص ٨٦ ــ ٨٧

قادياني على رأسهم مدير سكة الحديد وهو قادياني يحملون مختلف أنواع الأسلحة، وقد تمكنوا من ايقاف القطار ثم انهالوا على الشباب المسلم طعنا وتشويها. وأسفر العدوان عن مقتل عدد من الطلبة وتشويه سبعين طالبا بقطع آذانهم وألسنتهم وأعضائهم التناسلية وجرح الباقين ولم يسلم منهم أحد.

وعلى اثر ذلك قامت اضرابات في المدن المجاورة لمدينة ربوة وحدث صدام بينهم وبين القاديانيين... فرضت حالة الطوارئ بعدها.[1]

وهكذا شغلت هذه الفتنة القاديانية حيّزا كبيرا من حياة المسلمين في ذلك البلد المسلم كان يمكن أن يصرف في أمور أخرى تعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم.

والى جانب تشتيت جهود الأمة المادية وشغلها بتلك الحوادث الجانبية فقد أخذت نصيبا كبيرا من جهود العلماء والمفكرين كذلك. فكان من نتاج ذلك ظهور عشرات الكتب والمقالات تحذّر من تلك الفرق، وتكشف زيفها وضلالها حتى لم يكد يخرج كتاب في العصر الحديث عن مشاكل الأمة وأحوالها الا وكان لتلك الحركات الضالة النصيب الأكبر ــ خاصة في المجتمعات التي ابتليت بها ــ.

وعلى سبيل المثال فقد ذكر الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة في هامش كتاب ــ التصريح بما تواتر في نزول المسيح أكثر من مائة كتاب[2] كتبت في القاديانية وذلك عام ١٣٨٥ هـ فكم كتب بعد ذلك ؟ وكم كتب في الحركات الأخرى كذلك ؟.

لا شك أن ذلك تشتيت لجهود الأمة المادية والمعنوية كان يمكن أن تستفيد منها في جوانب أخرى من حياتها.

د ــ تمكين الاستعمار في بلاد المسلمين

لما كانت أكثر هذه الحركات ان لم يكن كلها هي من نتاج أعداء الاسلام قديما وحديثا فانه ليس غريبا عليها إذن أن تجتهد لتمكين الاستعمار في بلاد المسلمين. وهذا ما حدث فعلا من الحركات الضالة حيث إن أول ما ركزت عليه من الأمور هو الغاء الجهاد الذي يخيف الاستعمار ويفزعه أن يعلن في البلاد التي يعيش فيها، يمتص خيراتها ويحارب دينها ويضعف سلطانها.

(١) عن المجتمع الكويتية العدد ٣٠٤ بتاريخ ٢١ جمادى الأولى ص ٧

(٢) ص ٤٩ ــ ٥٠

وقد اتسمت حركتا البهائية والقاديانية بالدعوة الى الغاء الجهاد واعلان الاخوة العامة بين جميع البشر وان تعددت الأديان. يقول عبد البهاء : (سوف تتبدل الانسانية في هذا الدور المجيد وتلبس خلع الجمال والسلام، وتزول المنازعات والمخاصمات، ويتبدل القتل والقتال بالوئام والسلام، والصداقة والاتحاد. وتظهر بين الملل والأقوام والبلدان روح المحبة والصداقة، ويتأسس التعاون والاتحاد، وتزول في النهاية الحروب، وترتفع خيمة السلام العام في قطب الامكان)[1].

ويقول البهاء : (البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور لجميع أهل العالم محو حكم الجهاد من الكتاب ـــ أي القرآن الكريم)[2].

أما القاديانية فقد رأينا من قبل كيف أنها تدعو الى الولاء للحكومة الانجليزية. ولما دخلت جيوش الاستعمار القدس كتبت جريدة الفضل القاديانية تقول : (نحن نشكر الله ألف ألف مرة على فتوحات بريطانيا وانها سبب الابتهاج والسرور)[3].

وهذه النحل الجديدة المنبوذة في العالم الاسلامي تشعر بغربتها في هذه المجتمعات الاسلامية لأنها خارجة على عقيدتها. ولهذا فان هذه النحل تشعر في قرارة نفوسها بضرورة الانتقام من الأمة الاسلامية بنصر أعدائها وخدمتهم فتجعل لنفسها بذلك سندا يدعمها ويقوّيها، وتعمل ضد المسلمين الذين يكفّرونها ويحاربونها.

هذا ما تقوم به هذه الحركات الخارجة على عقيدة الاسلام.

هـ ـــ التمهيد للدعـــوات الضالـــة

محاولة فتح باب التنبؤ بعد رسول الله ﷺ ادى الى كثرة المتنبئين الدجّالين الذين فرقوا الأمة الاسلامية وافسدوا عقائدها ووحدتها. ثم انه لن تقف حركة التنبؤ عند حد معين لأن ذلك الادعاء سيصبح شيئا مألوفا ميسورا لا يحتاج الى كثير عناء. ويكفي في ظهوره أن تتوفر العوامل السابقة أو بعضها... وقد رأينا فيما سبق كيف أن حركة التنبؤ وجدت في عدّة فترات من تاريخ الأمة وكان من أحدثها حركتا البابية والبهائية ثم القاديانية...

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ١٥٨ عن حقيقة البابية والبهائية ص ٢١٢

(٢) نبذة من اشراقات عبد البهاء ص ١٠٩ عن حقيقة البابية والبهائية ص ٢٤٨

(٣) تاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩١٨م عن القاديانية ـــ لاحسان الهي ص ٣٢

ولما كانت هذه الحركات قد اعتمدت على فتح باب التنبؤ لرؤسائها فان ذلك كان سببا في تعدد المتنبئين في داخلها.

فقد ادعى الميرزا علي محمد النبوة، ثم لما توفي ادعاها من بعده الميرزا حسين ابن علي المازندراني الذي عرف بالبهاء فيما بعد.

أما القادياني فقد فتح باب التنبؤ على مصراعيه حتى أصبحت دعوى النبوة ميسورة لكل أحد. يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى : (لقد فتح الميرزا غلام احمد باب النبوة على مصراعيه) وقال : (ان اتباع النبي ﷺ يمنح كالات النبوة وإن العناية بذلك واهتمامه به ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم)[1]. وقال نجل القادياني وخليفته الميرزا بشير الدين محمود : (لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت ما قدروا الله حق قدره انكم تتنازعون في نبي واحد وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد ﷺ)[2].

ثم يعلق الأستاذ الندوى على هذه الدعوى بقوله : (وقد أحدث ذلك فوضى في «النبوة» وفقدت كلمة النبوة جلالتها وحرمتها وقداستها، وأصبحت ألعوبة وعبثا وهان على الناس بصفة عامة بعد الميرزا أن يتنبأوا. وما عرفنا في التاريخ الهندي الذي لا يزال محفوظا الى حد كبير شخصية أنكرت ختم النبوة وتجرأت على تأسيس دين جديد سوى الامبراطور «أكبر» غير أنه لم يدّع النبوة كما ادعاها الميرزا بصراحة وتنظيم. ولكن الميرزا هو أول من فتح هذا الباب بوجه عام وقام متنبئون، وقد عدّ منهم الأستاذ محمد الياس البرني الى عام ١٣٥٥ هـ سبعة. ولا شك أنه ليس احصاء دقيقا والا فان قام أحد باحصائهم بشيء من الاهتمام لوجد في نفس مقاطعة «بنجاب» أكثر من هذا العدد بكثير)[3].

---

(١) حقيقة الميرزا غلام احمد ص ٩٦

(٢) انوار خلافت ص ٦٢ ــ ذكرهما الندوى في القادياني والقاديانية ص ١٣٢

(٣) القادياني والقاديانية ص ١٣٢

ثم ينقل عن الميرزا بشير الدين محمود نفسه أنه قال في احدى محاضراته : (لقد نشأ في جماعتنا كثير ادعوا النبوة، وأعتقد أنهم ليسوا في الدعوى كاذبين غير واحد منهم)[1] .

وهكذا نرى أنه قد نشأ في هذه الفرقة أو الديانة[2] على الأصح عشرات المتنبئين وما كانوا ليستطيعوا ذلك لولا أن قدوتهم الميرزا القادياني قد فتح ذلك الباب.

(١) عن جريدة الفضل أو يناير عام ١٩٣٥ م من القادياني والقاديانية ص ١٣٣

(٢) يراجع القادياني والقاديانية — للندوى — ص ٧

الفصل الثالث

واجب المسلمين تجاه التنبؤ

أ ــ نشر الوعي الاسلامي وتثبيت عقيدة ختم النبوة

ب ــ حماية المجتمعات الاسلامية من دعاة الضلال.

أ ــ نشر الوعي وتثبيت عقيدة ختم النبوة

من الأسباب التي أدت الى ظهور حركات التنبؤ في العالم الاسلامي وغيره هو انتشار الجهل بين صفوف أهله. فاذا ما أريد تحصين المجتمع من تلك الفتن فانه لا بد من نشر الوعي وتثقيف الأمة مع تثبيت عقيدة ختم النبوة في نفوسهم حتى تتأصل عندهم حقيقتها فتنسدّ بذلك جميع الثغرات التي يمكن أن يدخل منها الدجّالون الى عقيدة ختم النبوة. وذلك باتباع الخطوات الآتية :

أولا : بيان انتهاء النبوة وانقطاع الوحي بعد رسول الله ﷺ وانّ كل من ادعاها بعد ذلك فهو أفّاك دجّال.

ثانيا : توضيح كمال الشريعة الاسلامية وتمام الدين بدين الاسلام واستغناء البشرية عن غيره وشموله وخصائصه التي تؤهله للاستمرار والدوام حتى يثبت في الأذهان عدم حاجة الناس الى شرع جديد آخر معه أو بديلا عنه.

ثالثا : تعريف الناس بمعاني الصفات الواردة في الآثار النبوية والتي قد توهم مشاركتهم للأنبياء في الوحي «كالمُحدَّث» و«المجدد» و«الوليّ» وبيان أنها أوصاف لا يستحقها أحد الا بمتابعته لرسول الله ﷺ والتسليم بما جاء به، وأنه ليس لها من الخصائص ما يجعلها تشارك الأنبياء في نزول الوحي عليهم. وكل فهم خلاف ذلك فهو فهم خاطئ لا مكان له في الإسلام.

رابعا : عدم تمكين الناشئة من الاطلاع على مؤلفات تلك الفرق المنحرفة لأنهم لم يصلوا الى درجة التمحيص التي تؤهلهم لمعرفة الغثّ من السّمين والجيد من الرديء مما قد يعرّضهم الى بلبلة فكرية لا يخرجون منها مبكرا.

خامسا : تحذير المسلمين من الفرق الضالة وكشفها على حقيقتها للناس اذ الباطل لا يحتاج الى معرفة بطلانه الا الى توضيح وبيان مع التنبيه على الطرق التي قد يسلكونها للخداع والتمويه من السحر والكهانة والتنويم المغناطيسي والايحاء النفسي المسمى بالاشراق وغير ذلك مما وصل إليه العلم الحديث.

ب ــ حماية المجتمعات الاسلامية من دعاة الضلال

يجب على الحكومات الاسلامية أن تحمى عقائد المسلمين ومجتمعاتهم من كل وارد غريب أو ضال مبتدع ينشر شبهاته أو شكوكه في داخل المجتمع الإسلامي إذ أن ذلك من واجبات الحكومة الاسلامية[1].

وقد رأينا من قبل مواقف الحكام المسلمين من أولئك الخارجين على عقيدة الختم وغيرها. وكل حكومة لا تقوم بذلك فقد خانت في مسئولياتها وفرّطت في واجباتها.

وقيام العلماء بواجب التوضيح والبيان.
الحكومات بالحزم والسلطـــان.
ترتفع رايـــة الايمـــان.

---

(١) الاحكام السلطانية ــ للماوردي ــ ص ١٥ ولابي يعلى ص ٢٧

الخـــاتمـــة

بعد أن انتهيت من هذه الدراسة التي أثبت فيها عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية وأبطلت فيها ــ الشبه التي قد ترد عليها ــ بعد ذلك أذكر هنا أهم ما توصلت اليه في هذا البحث :

أولا : تبين لي من هذه الدراسة أن القرآن الكريم لم يقتصر في تقرير عقيدة ختم النبوة على آية الأحزاب فقط ولكنه قرر تلك العقيدة ــ بطريق الاستلزام العقلي ــ في عدة آيات أخرى :

كالآيات الدالة على عموم الرسالة المحمدية.

وكالآيات الدالة على تعهد الله عزّ وجلّ بحفظ كتابه.

وكالآيات التي تقرر حجّية القرآن على كل من بلغه.

وكالآيات التي تطالب الناس بالايمان بالرسل السابقين والكتب السابقة فقط ولم تطلب الايمان بغيرهم.

وكالآيات الدالة على كمال الاسلام وتمامه.

الى غير ذلك من الآيات التي تقرر الختم وتؤكده.

ثانيا : وتبين لي ــ كذلك ــ أن النبي ﷺ قد كان مهتما بتقرير تلك العقيدة وتأكيدها بحيث انه قد قررها بمختلف الأساليب البيانية وفي مختلف المناسبات الخاصة والعامة ولم يترك شبهة يمكن أن تغبّش صورتها الا وأزالها حتى تركها واضحة جليّة.

ثالثا : ان الاجماع على عقيدة الختم ليس خاصا باصحاب رسول الله ﷺ بل استمر في الأمة من بعد تتوارثه في كل جيل من أجيالها الى عصرنا الحاضر ــ بمختلف تخصصاتها العلمية ومسئولياتها الاجتماعية.

رابعا : وتبين كذلك من دراسة حركات التنبؤ في العصور الاسلامية الأولى وفي العصر الحديث ــ الى جانب زيفها وبطلانها ــ أنها قد قامت مدفوعة بدوافع العصبية القبلية والعصبية الشعوبية والحقد اليهودي والصليبي. زد على ذلك الفكر الشيعي المنحرف والمجاهدات الصوفية الغالية والظروف السيئة التي مرت بها الأمة الاسلامية ابّان ظهور أكثر هذه الحركات ــ وخاصة المعاصرة منها.

هذه هي أهم النتائج العامة التي تبينت لي أثناء دراستي لهذا البحث.

وأخيرا فاني أسأل الله عزّ وجلّ ان ينفع بهذا البحث الأمة الاسلامية وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.. واني لأستغفر الله عزّ وجلّ مما أكون قد أخطأت فيه أو لم يحالفني فيه الصواب والله وحده هو حسبي ونعم الوكيل.

والحمد لله أولا وأخيرا.

قائمـــة المـــراجـع

القــرآن الكريــم.

ـ أ ـ

١) ابطال وحدة الوجود / لشيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية طبعة لجنة التراث / تحقيق محمد رشيد رضا / ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية.

٢) الاتقان في علوم القرآن / لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / تحقيق محمد أبو الفضل / طبع مطبعة المشهد الحسيني / الطبعة الأولى.

٣) الاحكام السلطانية / لأبي يعلى محمد بن الحسن الفراء / تحقيق محمد حامد فقي / مطبعة مصطفى الحلبي / الطبعة الثانية.

٤) الاحكام السلطانية / لأبي الحسن بن محمد بن حبيب الماوردي / مطبعة مصطفى الحلبي / الطبعة الثانية.

٥) احياء علوم الدين / لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي / مطبعة الشعب.

٦) الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة / لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / مطبعة دار التأليف.

٧) أساس البلاغة / لجار الله محمود بن عمر الزمخشري / مطبعة دار صادر ودار بيروت.

٨) الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام / للدكتور علي عبد الواحد وافي / طبعة مكتبة نهضة مصر / الطبعة الأولى.

٩) الاسلام والحضارة / لمحمد كرد علي / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / الطبعة الثالثة.

١٠) الاسلام قوة الغد العالمية / لباول شمتز / ترجمة محمد شامة / طبعة مكتبة وهبة الطبعة الأولى.

١١) الاسلام يتحدى / لوحيد الدين خان / تعريب ظفر الله خان / طبعة دار البحوث العلمية / الطبعة الثانية.

١٢) الأشباه والنظائر / لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / مطبعة مصطفى الحلبي.

١٣) الأشباه والنظائر / لزين العابدين بن ابراهيم بن نجيم / تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل / مطبعة المظهري.

١٤) أشعة الأنوار / لمحمد سالم البيحاني / مطبعة المدني.

١٥) أصل الشيعة وأصولها / لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء / مطبعة بيروت / الطبعة التاسعة.

١٦) أصول الكافي / لمحمد بن اسحاق الكليني / بشرح ابن المظفر / مطبعة النجف ١٣٧٦ هـ.

١٧) أصول الدين / لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي / مطبعة الدولة استانبول / الطبعة الأولى.

١٨) الاعتصام / لأبي اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي / طبعة المنار المصرية / الطبعة الأولى.

١٩) اعجاز القرآن / لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني / تحقيق السيد احمد صقر / مطبعة دار المعارف مصر / الطبعة الثالثة.

٢٠) الاعلام / خير الدين الزركلي / الطبعة الثانية.

٢١) اعلام النبوة / لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي / مطبعة دار الكتب العلمية.

٢٢) اعلام الموقعين / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية / مطبعة السعادة / تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد.

٢٣) افادة المستفيد بجوهرة التوحيد / لأحمد بن عيسى / مخطوطة بالحرم المكي.

٢٤) الافحام لأفئدة الباطنية الطغام / ليحيى بن حمزة العلوي / مطبعة شركة الاسكندرية / تحقيق فيصل بدير عون.

٢٥) الاقتصاد في الاعتقاد / لمحمد بن محمد الغزالي / مطبعة دار الأمانة / الطبعة الأولى.

٢٦) الأقدس / لبهاء الله الميرزا حسين بن علي المازندراني / ضمن كتاب خفايا الطائفة البهائية / طبعة النهضة العربية.

٢٧) اكمال اكمال المعلم شرح صحيح مسلم / لأبي عبد الله بن خلفة الوشتاني الأبيّ / مطبعة السعادة بمصر / الطبعة الأولى.

٢٨) انجام آتهم / للغلام احمد القادياني / طبعة تعليمي لاهور.

٢٩) انجيل برنابا / تحقيق سيف الله احمد فاضل / طبعة دار القلم / الطبعة الأولى.

٣٠) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به / لأبي بكر بن الطيب الباقلاني / مطبعة السنة المحمدية / الطبعة الثانية / تحقيق محمد زاهد الكوثري.

٣١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / لناصر الدين البيضاوي / المطبعة العثمانية المصرية.

٣٢) الايقان ـــ لبهاء الله الميرزا حسين بن علي المازندراني تعريب وطبع المحفل الروحاني المركزي للبهائيين بالقطر المصري / لعام ١٣٥٢ هـ.

٣٣) البابيون والبهائيون / لعبد الرزاق الحسني / مطبعة العرفان بصيدا الطبعة الثانية.

٣٤) بحر الكلام / لأبي المعين النسفي / مخطوطة بمكتبة الحرم.

٣٥) البحر المحيط / لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان / مطبعة السعادة / الطبعة الأولى.

٣٦) البداية والنهاية / لأبي الفداء اسماعيل بن كثير / طبعة مكتبة المعارف ومكتبة النصر / الطبعة الأولى.

٣٧) البرهان في علوم القرآن / لمحمد بن عبد الله الزركشي / طبعة عيسى البابي الحلبي / الطبعة الثانية / أبو الفضل إبراهيم.

٣٨) بغية المرتاد / لتقي الدين احمد بن عبد الحميد / مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة / لعام ١٣٢٦.

٣٩) البهائية بين الشريعة والقانون / لمحمد علي منصور / طبعة المكتب الاسلامي / الطبعة الأولى ـــ ضمن دراسات عن البهائية والبابية.

٤٠) البهائية سراب / لعبد الله النوري / طبعة دار العربية الطبعة الثالثة.

٤١) البهائية / لمحب الدين الخطيب / طبعة المكتب الاسلامي / الطبعة الثالثة.

٤٢) البيان العربي / لمحمد علي الشيرازي الملقب بالباب / طبعة دار النهضة العربية ضمن كتاب خفايا الطائفة البهائية.

٤٣) تاج العروس / لمحمد بن مرتضي الزبيدي / المطبعة الخيرية بمصر / الطبعة الأولى.

٤٤) تاريخ الطبري المشهور بتاريخ الرسل والملوك / لأبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري / طبعة دار المعارف / الطبعة الثانية / تحقيق محمد أبو الفضل.

٤٥) تاريخ ابن خلدون / لعبد الرحمن بن خلدون / المطبعة الباسلية / لعام ١٩٥٦ م.

٤٦) تاريخ الشعوب الاسلامية / لكارل بروكلمان / نقله إلى العربية نبية أمين فارس ومنير البعلبكي / طبعة دار العلم للملايين. بيروت / الطبعة الخامسة.

٤٧) تراث الاسلام / تأليف جمهرة من المستشرقين باشراف سيرتوماس ارنولد / عرّبه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي / طبعة دار الطليعة / الطبعة الثانية.

٤٨) تاريخ الأستاذ الامام / للشيخ رشيد رضا / مطبعة المنار / الطبعة الأولى.

٤٩) تاريخ اليعقوبي / لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي/ مطبعة دار صادر ودار بيروت/لعام ١٣٧٩هـ.

٥٠) تاريخ ابن الوردي / لزين الدين عمر بن الوردي / المطبعة الوهبية.

٥١) تاريخ اليمن الثقافي / لأحمد بن حسين شرف الدين / مطبعة الكيلاني/لعام ١٣٨٧هـ.

٥٢) تأويل مختلف الحديث / لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة / طبعة الكليات الأزهرية / تحقيق محمد زهري النجار.

٥٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد / لابراهيم البيجوري / المطبعة العلمية / الطبعة الأولى.

٥٤) تحفة الأحوذي بشرع جامعه الترمذي / لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري المطبعة السلفية.

٥٥) تذكرة ــ وحي مقدس / لغلام احمد القادياني / الشركة الاسلامية بربوة ــ باكستان طبعة دار الطليعة للطباعة والنشر.

٥٦) التسهيل لعلوم التنزيل / لمحمد بن احمد بن جزّي الكلبي / مطبعة مصطفى محمد الطبعة الأولى / حققه نخبة من العلماء.

٥٧) التشريع الجنائي / لعبد القادر عودة / طبعة مكتبة دار العروبة / الطبعة الثالثة.

٥٨) التصريح بما تواتر في نزول المسيح / لمحمد بن أنور شاه الكشميري / الناشر مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب / تحقيق عبد الفتاح ابو غدة.

٥٩) تفسير النسفي ــ المسمى بمدارك التنزيل / لأبي عبد الله بن احمد أبي البركات الله / طبعة دار احياء الكتب العربية.

٦٠) تفسير ابن كثير / لأبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي / مطبعة الاستقامة بالقاهرة / الطبعة الثالثة.

٦١) تفسير الجلالين / لجلال الدين السيوطي وجلال الدين محمد بن احمد المحلي / طبعة دار احياء الكتب العربية.

٦٢) التفسير الكبير / للفخر الرازي / الطبعة الأولى.

٦٣) تفسير المنار / لمحمد رشيد رضا / طبعة دار المنار / الطبعة الرابعة.

٦٤) تفسير ابي السعود / لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي / مطبعة السعادة / تحقيق عبد القادر احمد عطا.

٦٥) تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل / لمحمد جمال الدين القاسمي، طبعة دار الكتب العربية بمصر / الطبعة الأولى / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٦) تفسير مقاتل / لمقاتل بن سليمان / مطبعة المدني.

٦٧) تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان / لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري / مطبعة مصطفى الحلبي / الطبعة الأولى / تحقيق ابراهيم عطوه عوض.

٦٨) تلبيس ابليس / لأبي الفرج بن الجوزي / طبعة دار الوعي ـــ بيروت تحقيق خير الدين علي.

٦٩) التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة سنة / لأبي بكر السيوطي / طبعة دار المعرفة بالقاهرة : ضمن كتاب المجددون في الاسلام لأمين الخولي. الطبعة الأولى.

٧٠) تنزيه الشريعة / لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق / مطبعة عاطف / الطبعة الأولى / تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق.

٧١) تهذيب تاريخ ابن عساكر / لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر / مطبعة روضة الشام / لعام ١٣٣١ هـ.

٧٢) تهذيب الأسماء واللغات / لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي / المطبعة المنيرية.

٧٣) تهافت البابية والبهائية / للدكتور مصطفى عمران / طبعة دار الطباعة المحمدية / الطبعة الأولى.

٧٤) تقريب التهذيب / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني / طبعة دار الكتاب العربي الطبعة الأولى.

٧٥) التوحيد / لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي / طبعة دار المشرق بيروت / تحقيق الدكتور فتح الله خلف.

ـــ ج ـــ

٧٦) جامع البيان عن تأويل القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / مطبعة دار الكتب المصرية / الطبعة الأولى.

٧٧) الجامع لاحكام القرآن / لأبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي / مطبعة دار الكتب المصرية / الطبعة الأولى.

٧٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لشيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم ابن تيمية / مطبعة المدني / لعام ١٣٨٣ هـ.

٧٩) جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي / مطبعة الاعتماد بمصر / الطبعة الثانية / تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.

— ح —

٨٠) حاشية الخيّالي على شرح التفتازاني على العقائد النفسية / المطبعة الخيرية.

٨١) حاضر العالم الاسلامي / للوثروب ستودارد الأمريكي / بتعليقات الامير شكيب ارسلان / الطبعة الرابعة / لعام ١٣٩٤ هـ.

٨٢) الحاوي للفتاوي / لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / مطبعة السعادة بمصر / الطبعة الثالثة / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٨٣) حجة الله البالغة / لولي الله عبد الرحمن الدهلوي / طبعة دار المعرفة بيروت.

٨٤) حجة الله — لميرزا غلام احمد القادياني / ضمن سلسلة تصنيفات احمدية / طبعة عام ١٨٩٧ م.

٨٥) الحديقة الانيقة في شرح العروة الوثيقة في علم الشريعة والطريقة والحقيقة / لمحمد ابن عمر الحضرمي الشهير برحق / مطبعة المدني / تحقيق حسنين محمد مخلوف.

٨٦) حقيقة البابية والبهائية / الدكتور محسن عبد الحميد / طبعة المكتب الاسلامي / الطبعة الثانية.

٨٧) الحلل السندسية / للأمير شكيب ارسلان / مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر / الطبعة الأولى.

٨٨) حقيقة مذهب الاتحاديين / لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية / طبعة لجنة التراث العربي ضمن مجموعة الرسائل والمسائل / تحقيق محمد رشيد رضا.

٨٩) حمامة البشرى / لغلام احمد القادياني / طبعة سيالكوت.

٩٠) الحور العين / لأبي سعيد بن نشوان الحميري / طبع طهران / لعام ١٩٧٣ م.

— خ —

٩١) الخصائص الكبرى / لأبي عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / مطبعة المدني / تحقيق محمد خليل هراس.

٩٢) خصائص التصور الاسلامي / لسيد قطب / الطبعة الثانية / لعام ١٩٦٧ م.

٩٣) الخطط المقريزية / لأحمد بن علي بن عبد القادر المعرفو بالمقريزي / مطبعة النيل لعام ١٣٢٦ هـ.

٩٤) خفايا الطائفة البهائية / للدكتور احمد محمد عوف / طبعة النهضة العربية.

— د —

٩٥) دائرة معارف القرن الرابع عشر — العشرين — محمد فريد وجدي / مطبعة دائرة معارف القرن العشرين / الطبعة الثانية.

٩٦) الدر المنثور / لجلال الدين السيوطي / طبعة محمد أمين دمج.

٩٧) در ثمين / للغلام احمد القادياني / مطبعة وزير هندامرتسر / لعام ١٩٢٤ م.

٩٨) الدين والعلم / المشير احمد عزت باشا / ترجمة وتصحيح حمزة طاهر وعبد الوهاب عزام / طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة / لعام ١٣٦٩ هـ.

٩٩) الدعاة من المتألهين والمتنبئين والمتمهدين / لوجيه فارس الكيلاني / المطبعة العربية بمصر / لعام ١٣٤٣ هـ.

١٠٠) رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى ايمان فرعون / مطبعة المدني / الطبعة الأولى ضمن جامع الرسائل لابن تيمية ـــ تحقيق محمد رشاد سالم.

١٠١) الرسالة المحمدية / لسليمان الندوي / طبعة مكتبة دار الفتح بدمشق / الطبعة الثانية.

١٠٢) رسالة الى مشايخ الهند ومتصوفة افغانستان ومصر وغيرها / لغلام احمد القادياني.

١٠٣) رسالة في بعض سوانح القادياني وآبائه واخوانه في الدين / مطبعة سيالكوت / للغلام القادياني نفسه.

١٠٤) رسالة عذر / لغلام احمد القادياني / مطبع ضياء اسلام قاديان / لعام ١٣١٤ هـ. وهي ضمن كتاب حجة الله ـــ له.

١٠٥) روح المعاني / لمحمود الألوسي البغدادي / المطبعة المنيرية / الطبعة الثانية.

— ز —

١٠٦) زاد المعاد / لأبي عبد الله بن القيم / المطبعة المصرية / لعام ١٣٩٢ هـ.

١٠٧) زاد المسير / لأبي عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي / طبعة المكتب الاسلامي بدمشق / الطبعة الأولى.

— س —

١٠٨) السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير / للشيخ الامام الخطيب الشربيني.

١٠٩) سر الخلافة / لغلام احمد القادياني / مطبعة رياض الهندا موتسر / لعام ١٣١٢ هـ.

١١٠) سلسلة الاحاديث الصحيحة / لمحمد بن ناصر الدين الألباني / منشورات المكتب الاسلامي.

١١١) سنن ابن ماجة / لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة / مطبعة عيسى البابي الحلبي / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١١٢) سنن الترمذي / لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. مطابع الفجر الجديدة / الطبعة الأولى / تحقيق عزت عبيد الدعاس وطبعه احمد شاكر كذلك.

١١٣) سنن أبي داود / لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني / مطبعة السعادة الطبعة الثانية / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

١١٤) سنن النسائي / لأحمد بن شعيب بن علي النسائي / المطبعة المصرية بالأزهر.

١١٥) سنن الدارمي / لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي / مطبعة الاعتدال ــ وطبعه أخرى بالمطبعة الحديثة بدمشق / تحقيق محمد احمد دهمان.

١١٦) سيرة ابن هشام / لأبي محمد عبد الملك بن هشام / مطبعة مصطفى الحلبي بمصر / الطبعة الثانية / تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي.

— ش —

١١٧) الشافي في شرح أصول الكافي / لعبد الحسين بن عبد الله المظفر / مطبعة النجف / لعام ١٣٧٦ هـ.

١١٨) شرح العقيدة الطحاوية / لعلي بن محمد بن العز الحنفي / المطبعة السلفية بمكة المكرمة / لعام ١٣٤٩ هـ.

١١٩) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية / لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني / المطبعة الأزهرية / الطبعة الأولى.

١٢٠) شرح الأصول الخمسة / لعبد الجبار بن احمد / مطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الأولى / تحقيق احمد بن الحسين بن أبي هاشم.

١٢١) شرح الزرقاني على الموطأ / لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني / طبعة عبد الحميد احمد حنفي.

١٢٢) شرح النووي على صحيح مسلم / لمحي الدين يحيى بن شرف النووي / المطبعة المصرية.

١٢٣) شرح الكرماني على صحيح البخاري / المطبعة البهية المصرية / لعام ١٣٥١هـ.

١٢٤) شرح القصائد المشهورات / لأبي جعفر بن محمد النحاس / طبعة دار الحرية ببغداد / لعام ١٣٩٣هـ / تحقيق احمد خطاب.

١٢٥) شرح ابن عقيل / لبهاء الدين عبد الله بن عقيل / طبعة دار الاتحاد العربي / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

١٢٦) الشفاء / للقاضي عياض / مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

١٢٧) الشمائل المحمدية / لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي / مطابع الأمل الحديثة بسوريا / الطبعة الأولى / تحقيق عزت عبيد الدعاس. وطبعة مؤسسة الزعبي كذلك.

ـ ص ـ

١٢٨) صحيح البخاري / مطبعة دار احياء التراث العربي.

١٢٩) صحيح مسلم / لمسلم بن الحجاج القشيري / طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الأولى / محمد فؤاد عبد الباقي.

١٣٠) صحيح ابن خزيمة / لأبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة / طبعة المكتب الاسلامي تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.

١٣١) الصحاح / لاسماعيل بن حماد الجوهري / طبعة دار الكتاب.

١٣٢) الصراع بين الايمان والمادة / لأبي الحسن الندوي / طبعة دار القلم ــ الكويت.

١٣٣) الصلة بين التصوف والتشيع / للدكتور كامل مصطفى الشيبي / مطبعة دار المعارف بمصر / الطبعة الثانية.

ـ ض ـ

١٣٤) ضحى الاسلام / لأحمد أمين / طبعة مكتبة النهضة المصرية / الطبعة الرابعة.

ـ ط ـ

١٣٥) الطبقات الكبرى / لمحمد بن سعد / طبعة دار التحرير بالقاهرة / لعام ١٣٨٨هـ.

١٣٦) الطريق الى الاسلام / لمحمد اسد / طبعة دار العلم للملايين ببروت / ترجمة عفيف البعلبكي / الطبعة الثالثة.

— ع —

١٣٧) عارضة الأحوذي / لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي / طبعة دار العلم للجميع بسوريا.

١٣٨) العقد الفريد / لأحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي / مطبعة الاستقامة / الطبعة الثانية.

١٣٩) عقيدة المسلم / لمحمد الغزالي / طبعة دار الكتاب العربي بمصر / الطبعة الرابعة.

١٤٠) عقائد الامامية / لمحمد رضا المظفر / منشورات دار التبليغ الاسلامي / قم — ايران.

١٤١) العقيدة والشريعة / لاجناس جولد تسيهر / ترجمة محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق / الطبعة الثانية — مطابع دار الكتاب العربي.

١٤٢) عون المعبود / لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم ابادي / طبعة المكتبة السلفية / الطبعة الثانية.

— غ —

١٤٣) الغارة على العالم الاسلامي / تأليف أ. ل. شاتليه / ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي / المطبعة السلفية / الطبعة الثانية.

١٤٤) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني / ليحيى بن الحسين بن القاسم / طبعة الكتاب العربي — القاهرة — لعام ١٣٨٨ هـ — تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور.

— ف —

١٤٥) فتح الباري / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني / المطبعة السلفية.

١٤٦) فتح القدير / لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني / مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٤٧) الفتح الكبير / لجلال الدين السيوطي / طبعة دار الكتب العربية.

١٤٨) الفتوحات المكية / لمحي الدين بن عربي.

١٤٩) فجر الاسلام / لأحمد امين / طبعة مكتبة النهضة المصرية / الطبعة الحادية عشرة.

١٥٠) الفرقان / لتقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية / مطبعة محمد علي صبيح — ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية.

١٥١) الفتن والملاحم / للحافظ عماد الدين بن كثير / مطبعة مؤسسة النور بالرياض / الطبعة الأولى / تحقيق اسماعيل الانصاري.

١٥٢) الفرق بين الفرق / لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي / مطبعة المعارف.

١٥٣) فرق الشيعة / لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي / المطبعة الحيدرية بالنجف / الطبعة الرابعة / لمحمد صادق بحر العلوم.

١٥٤) فصوص الحكم / لمحي الدين بن عربي / مطبعة دار الكتاب العربي / تحقيق ابو العلا عفيفي.

١٥٥) الفصل في الملل والاهواء والنحل / لأبي محمد علي بن احمد بن حزم / المطبعة الادبية / الطبعة الأولى / وطبعة دار المعرفة كذلك.

١٥٦) الفقه الأكبر / لأبي حنيفة النعمان بن ثابت / بشرح ملا على القاري / طبع دار الكتب العربية.

١٥٧) الفكر الاسلامي الحديث / للدكتور محمد البهي / مطبعة دار الفكر — بيروت / الطبعة الخامسة.

١٥٨) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة / لمحمد بن علي الشوكاني / مطبعة بيروت / الطبعة الثانية / تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

١٥٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير / لمحمد عبد الرؤوف المناوي مطبعة مصطفى محمد / الطبعة الأولى.

١٦٠) في ظلال القرآن / لسيد قطب / الطبعة الخامسة.

ـ ق ـ

١٦١) القاديانية تاريخها وغاياتها / لكلرزار احمد مظاهري / وناصر الدين شاه ومحمد نواز / الطبعة الأولى.

١٦٢) القادياني والقاديانية / لأبي الحسن علي الحسني الندوي / طبعة الدار السعودية / الطبعة الرابعة.

١٦٣) القاديانية دراسات وتحليل / لاحسان الهي ظهير / طبعة ادارة ترجمان السنة بلاهور / الطبعة الثالثة.

١٦٤) القرآن العظيم / لمحمد الصادق العرجون / طبعة الكليات الازهرية.

١٦٥) القاموس المحيط / للفيروز ابادي / مطبعة عيسى البابي الحلبي / الطبعة الثانية / ترتيب الطاهر احمد الزاوي.

ـ ك ـ

١٦٦) الكامل / لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير / مطبعة دار صادر ودار بيروت / لعام ١٣٨٥.

١٦٧) الكامل / لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد / تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم.

١٦٨) كبرى اليقينيات الكونية / لمحمد سعيد رمضان / طبعة دار الفكر / طبعة رابعة.

١٦٩) الكتاب المقدس ـ طبعة دار الكتاب المقدس بالقاهرة.

١٧٠) الكشاف /لمحمود بن عمر الزمخشري / مطبعة مصطفى محمد / الطبعة الأولى.

١٧١) كشاف اصطلاحات / لمحمد بن علي الفاروقي التهانوي / ترجمة عبد النعيم محمد حسنين / تحقيق لطفي عبد البديع / طبعة المؤسسة المصرية العامة لعام / ١٣٨٢ م.

ـ ل ـ

١٧٢) لباب التأويل في معاني التنزيل / لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن.

١٧٣) لسان الميزان / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني / طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ــ حيدر اباد ــ الهند ــ الطبعة الأولى.

١٧٤) لسان العرب / لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ــ مطبعة دار صادر ودار بيروت.

١٧٥) لوامع الأنوار البهية / محمد بن أحمد السفاريني / طبعة آل ثاني.

١٧٦) ما هي القاديانية / لأبي الأعلى المودودي / طبعة دار القلم / لعام ١٣٨٩ هـ.

١٧٧) المجددون في الاسلام / لعبد المتعال الصعيدي / طبعة مكتبة الاداب.

١٧٨) مجلة المجتمع الكويتية / عدد ٣٠٤آ

١٧٩) مجمع البيان في تفسير القرآن / لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي. مطبعة دار مكتبة الحياة ــ بيروت.

١٨٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / لعلي بن أبي بكر الهيثمي / طبعة مكتبة القدسي بالقاهرة.

١٨١) محاضرات في النصرانية / لمحمد ابو زهرة / مطبعة دار الفكر العربي / الطبعة الرابعة.

١٨٢) المحكم والمحيط الاعظم في اللغة / لعلي بن اسماعيل بن سيدة / مطبعة مصطفى البابي الحلبي / الطبعة الأولى / تحقيق ابراهيم الابياري.

١٨٣) المحلى / لأبي محمد علي بن احمد بن حزم / طبعة مكتبة الجمهورية العربية لعام ١٣٨٧هـ.

١٨٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية / الاصل تأليف شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي / واختصره السيد محمود شكري الالوسي / المطبعة السلفية الطبعة الثانية.

١٨٥) المختصر في اخبار البشر / لعماد الدين اسماعيل أبي الفداء / طبعة دار المعرفة بيروت.

١٨٦) مدارج السالكين / لأبي عبد الله محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية / طبعة السنة المحمدية / تحقيق محمد حامد الفقي.

١٨٧) مذهب الباطنية وبطلانه / لمحمد بن الحسن الديلمي / مطبعة الدولة استانبول المصحح ـــ ز ـــ شروطمان.

١٨٨) مسائل الامامة / للناشئ الاكبر / المطبعة الكاثوليكية ببيروت / طبعة عام ١٩٧١ م / تحقيق يوسف فان اس.

١٨٩) المستدرك / لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري / طبعة مكتب المطبوعات الاسلامية ببيروت / ومطبعة النصر الحديثة.

١٩٠) مسند احمد / لاحمد بن حنبل / المطبعة الميمنية / وكذلك طبعة احمد محمد شاكر.

١٩١) مسند الحميدي / لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي / عني بنشره المجلس العلمي ـــ كراتشي / تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

١٩٢) مسند ابي داود الطالسي / لأبي داود الطيالسي / ترتيب احمد عبد الرحمن البنا / المطبعة المنيرية / عام ١٣٧٢هـ.

١٩٣) مسند الربيع بن حبيب / للربيع بن حبيب بن عمر الأزدي / المطبعة السلفية بالقاهرة / الطبعة الثانية / ترتيب أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني.

١٩٤) مشكاة المصابيح / لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي / طبعة المكتب الاسلامي بدمشق / تحقيق محمد ناصر الدين الالباني.

١٩٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي / مطبعة مصطفى الحلبي / تحقيق مصطفى السقا.

١٩٦) معالم التنزيل / للحسين بن مسعود الفراء البغوي / مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى / مطبوع مع تفسير ابن كثير.

١٩٧) معالم تاريخ الانسانية / هـ. ج. ولز / طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة / الطبعة الثانية / ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد.

١٩٨) المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية / مطبعة مصر.

١٩٩) معجم البلدان / لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي / طبعة دار صادر ودار بيروت ـــ بيروت.

٢٠٠) معجم متن اللغة / لأحمد رضا ــ طبعة دار مكتبة الحياة بيروت.

٢٠١) معجم مقاييس اللغة / لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا طبعة مصطفى الحلبي / الطبعة الثانية / تحقيق عبد السلام محمد هارون.

٢٠٢) المفردات في غريب القرآن / لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني / طبعة مصطفى الحلبي / لعام ١٣٨١ / تحقيق محمد سعيد كيلاني.

٢٠٣) مقالة سائح / تعريب محمد حسين بيجارة / مطبعة السعادة / لعام ١٣٤١هـ.

٢٠٤) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين / لأبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري مطبعة مكتبة النهضة / الطبعة الأولى / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٠٥) مقدمة ابن خلدون / لعبد الرحمن بن خلدون / طبعة إحياء التراث العربي بيروت.

٢٠٦) الملل والنحل / لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني / طبعة مؤسسة الحلبي وشركائه : لعام ١٣٧٨هـ. تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل.

٢٠٧) مناقب الاسلام / لأبي الحسن محمد يوسف العامري / مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ــ تحقيق احمد عبد الحميد غراب.

٢٠٨) مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة / للموفق بن احمد المكي / طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد ــ الهند / لعام ١٣٢١.

٢٠٩) المنار في الصحيح والضعيف / لابن قيم الجوزية / مطبعة الحرية.

٢١١) منهاج السنة / لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية / مطبعة بولاق الاميرية / الطبعة الأولى.

٢١٢) المهدية في الاسلام / لسعد محمد حسن / طبعة دار الكتاب العربي / لعام ١٣٧٣هـ.

٢١٢) مواهب الرحمن / للغلام احمد القادياني / مطبعة الشركة الاسلامية.

٢١٣) الموضوعات / لأبي الفرج بن الجوزي.

٢١٤) موطأ مالك / لمالك بن انس / مطبعة عيسى البابي الحلبي / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١٥) موارد الظمآن الى زوائد بن حبان / لعلي بن أبي بكر الهيثمي / المطبعة السلفية / تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة.

٢١٦) الموافقات / لأبي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي / تحقيق عبد الله دراز.

٢١٧) موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه / لأبي الأعلى المودودي / طبعة دار الفكر / الطبعة الثانية.

٢١٨) الموسوعة في سماحة الاسلام / لمحمد الصادق العرجون / طبعة سجل العرب.

٢١٩) ميزان الاعتدال / لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / طبعة عيسى الحلبي / وطبعة دار احياء الكتب العربية / تحقيق محمد علي البجاوي.

ـ ن ـ

٢٢٠) النبي الخاتم / لأبي الحسن الندوى / طبعة المختار الاسلامي / الطبة الأولى.

٢٢١) نزهة الخواطر لعبد الحي بن فخر الدين الحسني / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد / الطبعة الأولى.

٢٢٢) نزهة الخواطر لعبد الحي بن فخر الدين الحسني / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد / الطبعة الأولى.

٢٢٣) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية / للدكتور احمد محمود صبحي / طبعة دار المعارف بمصر.

٢٢٤) نهاية الأرب في فنون الأدب / لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النوري / مطبعة دار الكتب المصرية / لعام ١٣٤٣ هـ.

٢٢٥) النور الابهى في مفاوضات عبد البهاء المجيب عبد البهاء / تعريب لجنة الترجمة والنشر البهائية / مطبعة السعادة / الطبعة الأولى.

٢٢٦) نور الحق / للغلام احمد القادياني / مطبعة المصطفاوي بريس لأهور / لعام ١٣١١ هـ.

ـ هـ ـ

٢٢٧) الهدى والتبصرة / لميرزا غلام احمد القادياني / طبعة دار الامان بقاديان / لعام ١٩٠٢ م.

٢٢٨) هذه هي الصوفية / لعبد الرحمن الوكيل / مطبعة السنة المحمدية الطبعة الثالثة.

ـ و ـ

٢٢٩) الوصية / لغلام احمد القادياني / طبعة سيالكوت.

٢٣٠) ولاية الله والطريق اليها لابراهيم ابراهيم هلال / طبعة دار الكتب الحديثة.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

البـــاب الثـالث

المتنبئون في العصور الاسلامية الأولى

البـــاب الرابــع

حركــات التنبؤ في العصـــر الحديث

الفصـــل الثالث :

البـــاب الخامس

أسباب التنبؤ ونتائجه وواجب المسلمين تجاهه

الفصـــل الأول :

الفصــــل الثاني :

الفصــــل الثالث :

مع تحيات

شبكة ضد الأحمدية القاديانية

www.AntiAhmadiyya.net